

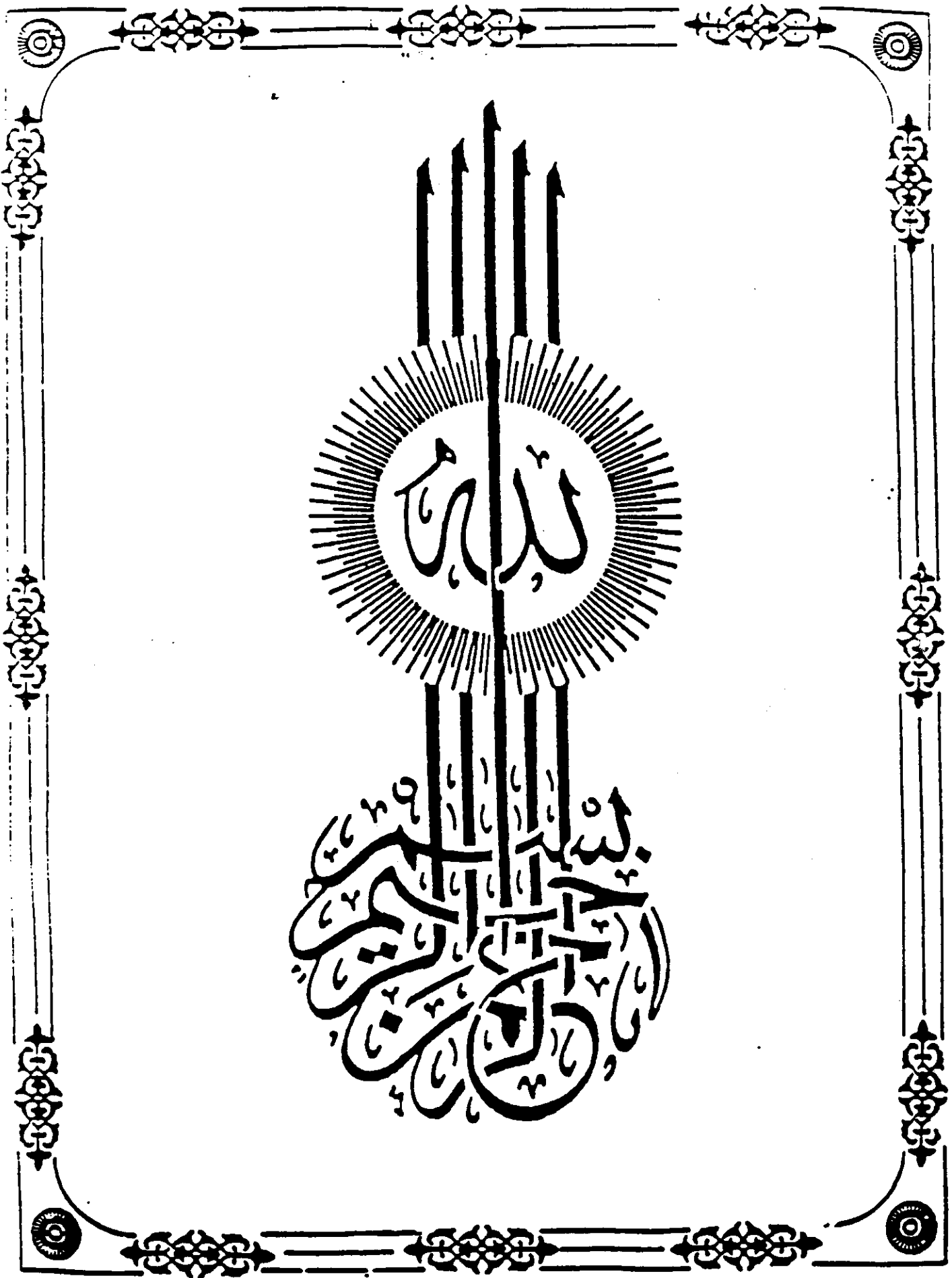
المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية  
كلية الدعوة والاعلام  
قسم الدعوة والاحتساب

الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز  
رسالة دكتوراه

إشراف :  
فضيلة الدكتور سعود بن محمد البشر

الباحث :  
محمد بن ناصر الشثري

الجزء الأول



اللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

أولاً : التمهيد :

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .  
والحمد لله الذي خصنا بِنعمة الاهتداء للسنة في حين ضل عنها أكثر الناس .  
نحمده سبحانه على هذه النعم والعظام ولمنن الجسام .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الأولى والآخرة .  
ونشهد أن محمدا عبده ورسوله، وخليفه من خلقه، بلغ رسالة ربه، ونصح أمته،  
وأقام حجة الله على خلقه، أكمل الله به الدين، وأتم به على عباده النعمة،  
فتوفي صلى الله عليه وسلم وقد ترك أمته على المحجة البيضاء، ليلها  
كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك .

صلى الله عليه وعلى أصحابه الذين حملوا رسالته، وبلغوا عنه أمته،  
وساروا على نهجه، فلم يغيروا ولم يبدلوا، رضي الله عنهم وعمن تبعهم  
ياحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد :

فإن الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى والنور والدين  
الحق؛ ليظهر على الدين كله ولو كره المشركون، فقام صلى الله عليه وسلم  
بما بعث به حق القيام، فدعا إلى الله تعالى وأرشد إليه، وجاهد في ذلك حتى  
أشرفت الأرض بنور الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجا .

وقد حمل الراية بعد صحابته الكرام رضى الله عنهم، فجاهدوا في سبيل  
إعلاء كلمة الله تعالى بما استطاعوا من قوة علمية وعملية، حتى كثر انتشار  
الإسلام في أنحاء المعمورة، ودخل كثير من أبناء الشعوب المجاورة في دين  
الله تعالى .

(ب)

ولم يزل من بعدهم من التابعين الأجلاء يقومون بما قاموا به، ويواصلون ما ابتدؤوه، لا يعيقهم عائق، ولا يشينهم أحد في سبيل تبليغ هذا الدين، والحفاظ على بيضته من عبث المفسدين.

ثم إن الله جل وعلا ابتلى أهل الإسلام بما أحدثه المبتدعون من أقوال شنيعة وأفكار سيئة منافية لأصل الدين، فانفتح باب من الشر عظيم، كثر بسببه الفساد والإفساد، وانتشر بسببه البغي والعناد.

إلا أن الله جل وعلا تدارك هذه الأمة بأن وعدها بإخراج مصلح يجدها لها دينها على رأس كل قرن، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدها لها دينها"<sup>(١)</sup>. فلم يزل المصلحون يتتابعون على هذه الأمة المحمدية، كلما بعد العهد بواحد خلفه آخر؛ وفاء من الله جل وعلا بهذا الوعد الحكيم، (إن الله لا يخلف الميعاد)<sup>(٢)</sup>.

وكان من هؤلاء المصلحين: الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، فقد نشأ في زمن اندرست فيه الآثار المحمدية، وانمحت المعالم الإسلامية، فلا راية إلا لأهل الشرك والبدع، لهم الصولة والجلولة، والعامّة تبع لهم، والخاصة دعاة لهم، قد ضلوا وأضلوا كثيرا، وضلوا عن سواء السبيل، لم يسلم من شباكهم أحد إلا نزر يسير، حتى أصبحت البدعة عندهم سنة، إذا غيرت قيل: غيرت السنة.

فلما رأى الشيخ رحمه الله حالهم وعرف ضلالهم، دعاهم إلى توحيد الله بالعبادة، وإفراده سبحانه بها.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٥٢٢/٤). وأبو داود في سننه - كتاب الملاحم - (٤٨٠/٤) قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥١/٢) سننه صحيح ورجاله ثقات رجال مسلم. أم

(٢) من الآية ٣١ من سورة الرعد.

(ج)

ولم يزل رحمه الله مجاهداً، صابراً على مايلقاه من أذى، داعياً إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، يسانده في ذلك - بعد عون الله تعالى - الإمام محمد بن سعود رحمه الله، إلى أن آتت هذه الدعوة المباركة ثمارها، وغرست غرساً طيباً، مازال الناس يعيشون في ظله، أثمرت تلامذة يدعون إلى الحق، وكتبوا تهديدي إليه، فسار الطلاب بهذه الدعوة في كل مكان، وسارت مؤلفات الحق مسار النهار، فانشرت صدور الموفقين لهذه الدعوة وقبلوها، ودعوا إليها، والتفت قلوبهم عليها - وإن تباعدت أقطارهم -، واتضح دينه الحق من دين الخرافيين القبوريين، (والله منم نوره ولو كره الكافرون)(١).

إلا أن هذه الدعوة المباركة لم تسلم من حروب شرسة شنها أعداؤها أعداء الدين، الذين شرقوا بدعوة الحق وكرهوها، فنصبوا لها أشد ألوان العدا، وسعوا في الإطاحة بها والقضاء عليها، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

فكتبوا الكتب التي تشوه صورة الدعوة بما أودع فيها من كذب وبهتان وافتراء على الدعوة وأهلها(٢)، لاحقيقة له ولا واقع، ووزعوا هذه الكتب على جميع أهل الأمصار. بل جلبوا الجيوش العارمة التي غزت بلاد الدعوة(٣)، فقتلت رجالها من علماء وقضاة ودعاة، وشردت أهلها، وأخافت سبيلها، ونهبت أموالها، وهدمت بيوتها، في وقائع جرت على أهل الإسلام لم يغفل العلم وأهل التاريخ عن تدوينها(٤)؛ ليعلم أبناء الإسلام ماجرى على أهل الدعوة من المحن العظام والفتن الجسام التي يراد بها الإسلام ذاته.

(١) من الآية ٨ من سورة الصنف.

(٢) ككتاب أحمد زيني دحلان المسمى: "الدرر السنية في الرد على الوهابية" وقد طبع مرات عديدة.

وكتاب "كشف النقاب عن عقائد ابن عبد الوهاب" لعلي نقي اللكنهوي، طبع في النجف بالعراق سنة ١٣٤٥هـ.

وكتاب "المنحة الوهبية في رد الوهابية" لداود بن جرجيس، طبع مرات عديدة، آخرها في استانبول سنة ١٤٠٣هـ وغيرها من الكتب.

(٣) كالحملات التي قامت بها الدولة التركية ضد أهل نجد، بقيادة إبراهيم باشا. انظر تاريخ ابن بشر المسمى (عنوان المجد).

(٤) كالشيخ سليمان بن سحمان - رحمه الله - في كتابه "الضياء الشارق في رد شبه المآذق المارق" ص ٩٦ وما بعدها.

ولكن كل هذه الوسائل التي بذلوها في سبيل إخماد نور هذه الدعوة الإصلاحية باءت بالفشل، فلم تحقق تقدما، ولم تقض لهم وطرا؛ لأن نور الله باق لا يزول، ودينه منصور لا محالة ولو كره الكافرون.

فحقق الله لعباده المؤمنين وعده بالنصر والتمكين في الأرض (١) على يدي الإمام الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، حيث رفع راية التوحيد خفاقة، فأعز الله به أهل هذه الدعوة، بعد أن كانوا أذلة، وأغناهم جل وعلا به بعد أن كانوا عيلة، فساروا تحت رايته السلفية يدعون إلى توحيد الله تعالى، ويصححون ما وقع فيه أكثر الناس من البدع، يجاهدون بذلك، لا يخشون أحدا إلا الله، بعد أن كانوا مستترين بدعوتهم، خائفين من بطش الناس بهم، فله الحمد من قبل ومن بعد.

وقد قام بالدعوة إلى الله تعالى في عهد ذلك الملك الصالح ثلة من العلماء العاملين، ونخبة من الصالحين المصلحين، أمثال: الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبدالله بن حسن (٢) وغيرهم. فقام الجميع بجهود جبارة في الدعوة إلى دين الله تعالى، كل على حسب ما يستطيع القيام به، فمنهم من برز في الدعوة إلى الله تعالى بالكتابة (٣)، ومنهم من برز في الدعوة إلى الله بالخطابة (٤)، ومنهم من جمع بينهما (٥).

(١) قال تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) سورة النور آية ٥٥.

(٢) وسوف تأتي - إن شاء الله - تراجمهم وأهم أعمالهم الدعوية في الباب الثالث من هذه الرسالة.

(٣) مثل الشيخ سليمان بن سحمان والشيخ إبراهيم بن عيسى والشيخ عبدالرحمن بن قاسم انظر الفصل الرابع من الباب الثالث.

(٤) أمثال الشيخ عثمان بن سليمان والشيخ عبدالله العجيري وغيرهما انظر الفصل الخامس من الباب الثالث.

(٥) مثل الشيخ عبدالرحمن بن سعدي والشيخ محمد بن مانع.

وقد كان الملك عبدالعزيز رحمه الله عوناً لهم في كل ذلك، بعد عون الله تعالى لهم، فقد سخرت الدولة كل إمكانياتها، وبذلت كل ماتملكه في سبيل تسهيل مهمة الدعوة إلى الله تعالى ونشر التوحيد، فتم ما أملت من بث الوعي الديني بين الناس، وانتشار المعتقد الصحيح، والقضاء على لؤثة البدع المنتشرة والشرك الفاشي في بعض أنحاء الجزيرة العربية. (١)

وبما أن هذه الجهود التي بذلت والإمكانات التي سخرت عظيمة جداً، فإن تدوينها وحفظها أمر في مكان عال من الأهمية، ولذا فقد رأيت أن أكتب في هذا الموضوع المهم بما يسر الله لي، سائلاً منه جل وعلا التوفيق والسداد في هذا البحث المبارك.

#### ثانياً : أسباب اختيار الموضوع :

وقد دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع دوافع كثيرة، أجملها فيما يلي :

- ١ - أنه لا يعرف عن الدعوة في هذا العهد (عهد الملك عبدالعزيز) إلا القليل، على الرغم من وجود حركة دعوية نشيطة في ذلك العصر.
- ٢ - أن معرفة هذه الحقبة من تاريخ الدعوة يسهم بفوائد، منها :
  - أ - معرفة تجارب الدعوة في تلك الفترة والاستفادة منها.
  - ب - ليعرف المشتغلون في حقل الدعوة منهاجاً من مناهج الدعوة في العصر الحديث، وكيف جمع الملك عبدالعزيز بين الدولة والدعوة.
  - ج - معرفة ما تفرع من هذه الدعوة من دعوات لها نشاطها في عالمنا المعاصر.
- ٣ - إيراد نموذج حي من الدولة التي سعى قائدها إلى تطبيق الشريعة في العصر الحديث، والرد بتجربة هذه الدولة الناجحة على دعاة العلمانية الذين يزعمون أن الإسلام لا يمكن أن تقوم عليه دولة في العصر الحديث.

(١) جزيرة العرب<sup>٢</sup> من أقصى عدن أبين إلى ريف العراق في الطول، وأما العرض فمن جدة وماوالاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام، قال الاحمي. (الروض المعطار في خبر الاقطار ص ١٦٣) وانظر: (معجم البلدان - ١٣٧/٢).

٤ - أنه لا يزال يوجد بيننا عدد قليل من العلماء الذين عايشوا الدعوة في ذلك العصر، ويعرفون الكثير من أنشطتها، ويخشى من ذهاب ما يعرفون بذهابهم، أمثال: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، والشيخ عبدالعزيز بن صالح بن مرشد. وقد استفدت هؤلاء وغيرهم من علماءنا في الوقت الحاضر في جزئيات هذا البحث، وأخذت منهم معلومات عديدة شاهدوها وحضروها، أو حكيت لهم فتناقلوها، فبذلك استطعت حفظ فوائدها من الأندراس والضياح. كما أن تلاميذ كبار الدعاة في عهد الملك عبدالعزيز موجودون بيننا، ويمكن الرجوع إليهم لمعرفة كثير من أوجه النشاط الدعوي في ذلك العهد والتوثيق لكثير من المعلومات والتراجم عن طريقهم. وهذا كله يجعل الكتابة عن هذا الموضوع في هذا الوقت له أهمية كبيرة، حيث يمكن توثيق كثير من المعلومات في هذا البحث بالأسانيد المتصلة.

٥ - أن قربي من موطن الدعوة مكنتني من معرفة الكثير من أماكن المعلومات التي تتوفر فيها الرسائل والمؤلفات المطبوعة والمخطوطة التي كتبها العلماء في عهد الملك عبدالعزيز.

٦ - بيان أن الملك عبدالعزيز رحمه الله قام ببناء هذه الدولة الإسلامية لإعلاء كلمة الله، حيث إنه رفع راية التوحيد، وجند الجنود حولها، وسار بهم لتطبيق شرع الله في البلاد، وليس كما قال المستشرقون إنه قام لاستعادة ملك آباءه وأجداده.

٧ - أن الكتابة عن الدعوة في هذا العصر تتميز عن البحث في الدعوة في العصور التاريخية الماضية - مثل العصر الأموي والعباسي - أنها دعوة حية معاصرة، تؤتي ثمارها في الدعوة إلى اليوم بإذن ربها، ويهم كل مسلم مخلص استمرارها. بخلاف الكتابة عن الدعوة في العصور العباسية السابقة، حيث مضى عصرها، ولانعرف عنها إلا ما في كتب التاريخ.



(ن)

٨ - بيان أثر العلماء العاملين في هذه الدعوة التي قاعدتها المملكة العربية السعودية.

٩ - أنها دراسة تحليلية نقدية، تبين المواضع الإيجابية (١) في الدعوة، وكيفية نتائجها الطيبة واستثمارها في الدعوة، وتبين الأمور السلبية (٢) التي هي من طبيعة البشر، وكيف نتلافها إلى الأصلاح.

١٠ - أن جميع من كتبوا عن الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله، إنما كتبوا عن جانب من الدعوة أو الدعاة في هذا العصر، فأردت أن أجمع شتات هذا الموضوع في رسالة واحدة، حيث لم يوجد من قام بهذا العمل الجليل. وقد اخترت أن يكون عنوان هذا البحث: الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز.

١١ - أن دراسة هذا الموضوع والاهتمام به هو من الوفاء للدعوة الإصلاحية التي لا تزال تنتقل في فضلها، فهو من البر بها، واعطائها حقها، ورد بعض جميلها.

### ثالثا : الحد الزمني والمكاني للبحث :

تبدأ الفترة الزمنية التي أكتب عن الدعوة فيها في هذا البحث من اليوم الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ، الموافق الخامس عشر من يناير سنة ١٩٠١م، وهو اليوم الذي وضع فيه الملك عبدالعزيز نواة هذه الدولة باستيلائه على مدينة الرياض. وتنتهي هذه الفترة الزمنية في اليوم الثالث من ربيع الأول سنة ١٣٧٣هـ، وهو يوم وفاة الملك عبدالعزيز رحمه الله في مدينة الطائف.

وسبب اختيار هذه المدة كاملة أنها فترة واحدة مترابطة، وينبغي بعضها على بعض، وأي تجزئة لها، ينتج عنه فجوة في البحث.

(١) انظر صفحة ٥٦ من هذا البحث ومابعدها.

(٢) انظر صفحة ٨٥ ومابعدها.

(ح)

أما المساحة المكانية التي أكتب عن الدعوة فيها في هذا البحث، فتشمل حدود الدولة السعودية في عهد الملك عبدالعزيز، والتي يتحرك فيها الدعاة بلا حواجز، والتي أطلق عليها عام ١٣٥١هـ المملكة العربية السعودية، والتي تحدد شمالاً بدولة الأردن والعراق، وجنوباً باليمن وعمان، وشرقاً بالخليج العربي والكويت وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة، وغرباً بالبحر الأحمر فكل ما في البحث يراد به المملكة بعمومها فالرسالة في منهج الدعوة والأسس التي قامت عليها في هذه البلاد مثل تقرير العقيدة وتحكيم الشريعة ونشر العلم.

**وابعا : الدراسات السابقة :**

باستقراء الكتب الموجودة، وعلى الرغم من كثرة الكتابات التي تكلمت عن تلك الفترة الزمنية - والتي تعد كثرتها مشكلة بحد ذاتها -، إلا أننا نجد أغلبها كتابات تعتمد على السرد التاريخي، مع تفاوتها الواضح من حيث التوثيق والتحقيق.

وهذه الكتابات تختلف باختلاف نزعات كتابها، مثل كتاب (ملوك العرب) تأليف أمين الريحاني المسيحي، وكتاب (صقر الجزيرة) تأليف أحمد عطار، وهكذا غيرها من الكتب...

وباستقراء الكتابات المتعلقة بتلك الفترة، لانجد الدراسات المستفرقة لموضوع الدعوة في هذا العصر، وإن كان هناك بعض الكتابات التي وإن تعلقت بالموضوع، لكنها لاتوصل إليه.

**ومن هذه الكتابات :**

أ - التنظيم القضائي في عهد الملك عبدالعزيز ، تأليف سعود بن دريب، وهو بحث يقتصر على القضاء، ويهتم بالتنظيمات الإدارية، دون الاعتناء بجانب الدعوة.

(ط)

ب - اهتمام الملك عبدالعزيز بالعتيدة الإسلامية، للشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، وهو محاضرة خطابية، مطبوعة في كتيب.

ج - التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز، تأليف عبداللطيف بن دهميش، وهو من ضمن البحوث التي أقيمت في مؤتمر الملك عبدالعزيز، ويتميز بالآتي :

١ - فيه شيء من ذكر مراحل التعليم وتاريخها، وأهم نظمها.

٢ - البحث إحصائي تاريخي.

٣ - ليس فيه دراسة أو تحليل لنظم التعليم وأهدافها ونتائجها وثمراتها، ولم يتطرق إلى الجانب الدعوي في النظم التعليمية ومراحلها.

٤ - غالب المعلومات التي في الكتاب عن التعليم في مكة المكرمة، فلم يشر إلى التعليم في غيرها من البلدان إلا نادراً.

٥ - يقتصر على الجانب التعليمي.

د - الملك عبدالعزيز والتاريخ، تأليف مصطفى حسين عطار، من ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر الملك عبدالعزيز، ويتميز بالآتي :

١ - ذكر بعض مراحل التعليم وطرقه، وبعض نظمه في عهد الملك عبدالعزيز.

٢ - في البحث بعض المعلومات التي تحتاج إلى تأكيد وتوثيق.

٣ - غالب المعلومات التي في البحث عن التعليم في الحجاز، ولم يشر إلى التعليم في غيره من البلدان إلا نادراً.

٤ - البحث مقتصر على نظام التعليم بدون دراسة تحليلية، ولا يتطرق للجانب الدعوي.

هـ - عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب، تأليف عبدالعزيز الرفاعي، من ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر الملك عبدالعزيز، ويتميز بالآتي :

١ - ذكر الكتب التي طبعها الملك عبدالعزيز في الهند ومصر والشام.

٢ - البحث استقي بالكامل من كتاب (الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز) للزركلي، ومن بحث بعنوان (حركة إحياء التراث قبل توحيد الجزيرة) للدكتور أحمد الضبيبي، ومعجم المطبوعات السعودية لشكري العناني، فليس فيه معلومات جديدة.

(ي)

- ٣ - لم يذكر الأسباب الداعية لنشر هذه الكتب، وأسباب تقديمها على غيرها من الكتب.
- ٤ - اقتصر على هذا الجانب (نشر الكتب)، ولم يتطرق إلى غيره من موضوعات الدعوة.
- ٥ - يتكلم عن هذا الموضوع من جانب أكاديمي أكثر من الجانب الدعوي الإسلامي.

باستقراء هذه الدراسات السابقة، نجد أنها تقتصر على جزئية محدودة، مما يستلزم وجود دراسة تلم أطراف الموضوع، وتجمع متفرقه، وتحلل دوافعه وأهدافه، وتنضّر أصوله، وتوضح مناهجه وأساليبه في دراسة علمية شاملة.

#### خامساً : خطة البحث :

مقدمة ، تشمل :

- ١ - تمهيد .
- ٢ - أسباب اختيار الموضوع .
- ٣ - الفترة الزمنية للبحث .
- ٤ - الدراسات السابقة .
- ٥ - خطة البحث .
- ٦ - منهج البحث .
- ٧ - الصعوبات التي واجهت الباحث .
- ٨ - شكر وتقدير .

تمهيد ، ويشمل :

- أولاً : حال الجزيرة العربية قبل عهد الملك عبدالعزيز من الناحية الدينية، والعلمية، والسياسية، والأمنية، والاجتماعية، والاقتصادية .
- ثانياً : لمحة موجزة عن سيرة الملك عبدالعزيز رحمه الله .
- ثالثاً : تأسيس الدولة .

(ك)

الباب الأول : جهود الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز، والأسس التي قامت عليها.

ويحتوي على مدخل ، وتمهيد، وأربعة فصول :

- مدخل عن مفهوم الدعوة السلفية والحاجة إليها.
- تمهيد عن الأحوال المحيطة بالدعوة.
- الفصل الأول : تقرير العقيدة ، وفيه مبحثان :
  - المبحث الأول : تقرير العقيدة الصحيحة .
  - المبحث الثاني : نشر العقيدة .
- الفصل الثاني : تقرير الشريعة ، وفيه مبحثان :
  - المبحث الأول : تقرير الشريعة في العبادات والمعاملات .
  - المبحث الثاني : إقامة الحدود الشرعية .
- الفصل الثالث : التزام الدولة بالدعوة .
- الفصل الرابع : تأسيس العلم ونشره .

الباب الثاني : وسائل الدعوة وأساليبها في عهد الملك عبدالعزيز.

ويحتوي على تمهيد وفصلان :

- تمهيد : في تعريف وسائل الدعوة وأساليبها .
- الفصل الأول : تقرير العقيدة، وفيه مبحثان :
  - المبحث الأول : الوسائل الأصلية ، وفيه عشرة مطالب .
  - المطلب الأول : إنشاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثرها في الدعوة .
  - المطلب الثاني : تعيين لقضاة والمفتين وجهودهم في الدعوة .
  - المطلب الثالث : التعليم فيا لمسجد .
  - المطلب الرابع : تعيين الأئمة والخطباء في المساجد للدعوة .

(ل)

- المطلب الخامس : إرسال العلماء والدعاة إلى البادية والهجر.
- المطلب السادس : رسائل العلماء ومكاتباتهم.
- المطلب السابع : التعريف بالمنهج السلفي خارج المملكة.
- المطلب الثامن : استقبال الوفود.
- المطلب التاسع : إقامة الجهاد.
- المطلب العاشر : إنشاء المدارس.

المبحث الثاني : الوسائل الإعلامية الحديثة، ويحتوي على تمهيد وثلاثة مطالب :

- التمهيد عن أهمية الوسائل الإعلامية الحديثة.
- المطلب الأول : الصحافة.
- المطلب الثاني : الإذاعة.
- المطلب الثالث : طباعة الكتب الإسلامية ونشرها.
- الفصل الثاني : أساليب الدعوة المستعملة في هذا العصر، وفيه مبحثان :
- المبحث الأول : الأساليب العملية ، ويحتوي على مطلبين :
- المطلب الأول : الدعوة بالقدوة الحسنة.
- المطلب الثاني : الدعوة بالحكمة.
- المبحث الثاني : الأساليب القولية ، ويحتوي على ثلاثة مطالب :
- المطلب الأول : الموعظة الحسنة.
- المطلب الثاني : المجادلة بالتي هي أحسن.
- المطلب الثالث : القصص وضرب الأمثال.
- الباب الثالث : نماذج من العلماء الدعاة في ذلك العصر .  
ويحتوي على تمهيد وخمسة فصول :
- الفصل الأول : الدعاة الذين اشتهروا بالإفتاء.
- الفصل الثاني : الدعاة الذين اشتهروا بالقضاء.
- الفصل الثالث : الدعاة الذين اشتهروا بالتعليم.

(م)

- الفصل الرابع : الدعاة الذين اشتهروا بالتأليف.
- الفصل الخامس : الدعاة الذين اشتهروا بالوعظ.

الخاتمة ، وتشمل أهم النتائج والتوصيات .

**سادسا : منهج البحث :**

- عزو الآيات إلى سور القرآن ، مع ذكر رقم الآية .
- تخريج الأحاديث النبوية بذكر مصدر الحديث من أحد كتب الحديث المعتمدة .
- تراجم الأعلام الذين ترد أسماؤهم في البحث ممن له دور بارز في المبحث الذي ورد اسمه فيه ، ترجمت له في هوامش المبحث نفسه ، وأما العلماء فقد جعلت تراجمهم في الباب الثالث الذي هو خاص بالعلماء .
- توثيق المعلومات ، فأذكر مع كل معلومة في الرسالة المصدر الذي نقلت منه تلك المعلومة ، مع رقم الجزء والصفحة .
- استخلاص النتائج ، حيث بذلت الجهد من أجل استخراج النتائج من خلال التعليق على المعلومات الواردة في الرسالة .
- أكتفي في الرسائل والخطب بالإشارة إلى نماذج منها لاستخلاص النتائج ، وأورد جزءا منها ، وما كان منها ذوا أهمية خاصة أوردته كاملا في الملاحق .
- أمهد لكل باب وفصل في الغالب بذكر المراد منه وبالاستدلال عليه ، ثم أتكلم عما يتعلق به من جهة الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز .
- ختمت الرسالة بقائمة المصادر ، محتوية على جميع البيانات المتعلقة بها .
- كما قمت بإعداد فهرس عامة تشمل فهرس الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأعلام ، والأماكن ، والمحتويات .

**سابعا : الصعوبات التي واجهت الباحث :**

لقد واجهني في البحث صعوبات عديدة وذلك لتشعب البحث وكثرة

## تهـمـيـح

أولا : حال الجزيرة قبيل عهد الملك عبدالعزيز

ثانيا : لمحة من مسيرة الملك عبدالعزيز .....

ثالثا : تأسيس الدولة .....



أولاً : حال الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبد العزيز

١ - الحالة الدينية :

لم تكن الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبدالعزيز من الناحية الدينية إلا صفحة في كتاب الأمة الإسلامية كلها ، أصابها ما أصاب الجميع من اضمحلال في القوة ووهن في العقيدة وتفشى الجهل ، والبدع ، والضلالات ، وفي النهاية كانت تسير في مؤخرة ركب العالم وكأن المسلمين يعيشون على هامشها .

إلا أن بعض أهل الجزيرة قد وفقهم الله تعالى لتصحيح العقيدة ، واتباع مذهب السلف ، وترك البدع والشركيات ، وذلك للأثر الذي تركته دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب المباركة في نفوسهم ؛ حيث غيرت كثيرا من عقائدهم المنحرفة واستقام سلوكهم على يد إمام الدعوة المجدد - رحمه الله - وقد استمروا بعد ذلك على هذا المنهج المستقيم في العقيدة ، وأصبح منهجهم سليما اقتداء بالصفوة الأولى من سلف أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهم يعبدون الله وحده لا يشركون به شيئا في العقيدة أو العمل .

ولاشك أن فترات الضعف التي مرت بها منطقة الجزيرة العربية قد أثرت في مسار الدعوة وأفقدتها العنصر الأساس في تماسكها والتزام الناس بها وهو قوة آل سعود وتأبيدهم لها .

فعندما دمرت الدرعية عام ١٢٣٣هـ وأيضاً عندما انهارت الدولة في دورها الثاني عام ١٣٠٨هـ ، مرت البلاد بفترة ضياع ، واضطراب عاشت البلاد فيها حالة من الفوضى الأمنية والاجتماعية ، وعدم الالتزام بالأحكام الشرعية

وعزف الكثير من الناس عن العلم وتلقيه. (١)

أما بالنسبة لمنطقة الحجاز فعلى الرغم من أن أهلها كانوا أسعد حظا من الناحية المادية، حيث كان أثرياء المسلمين يضعون قسما من أموالهم وقفا للحرمين، وكان المسلمون في الهند ومصر، والبلاد العربية الأخرى يبعثون بالصدقات الى أهل الحجاز قبل العهد السعودي الأخير. رغم هذا الشراء المادي نسبيا فإنهم كانوا أسوأ حالا من الناحية الدينية - قبل أن يوحد الملك عبدالعزيز نجدا والحجاز - حيث جلب حكامهم - عن طريق اتصالهم بالسلطين العثمانيين - جلبوا عادات وتقاليد أعجمية لاتقرها الشريعة الاسلامية نتجت عن الجهل بالدين بسبب اختلاط هؤلاء الناس بالوافدين إلى الحجاز من مختلف اقطار العالم مما جعل الحجاز مرتعا خصبا للبدع والخرافات وسوقا رائجة للطوائف والضلالات. (٢)

أضف الى ذلك وثنية القبور التي أفسد بها العثمانيون وعلماء السوء جوهر الدين الاسلامي وصيروا من الشعوب العربية التي حكموها مجموعة من الدراويش (٣) والسدنة (٤) على القبور (٥)، وروجوا الخرافات.

وقد انتشر بين عرب الحجاز وغيرهم ممن وقع تحت سلطة الدولة العثمانية وثنية القبور وصرف شيء من العبادة لغير الله، بل وجدت

(١) انظر ابن بشر، عثمان - عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١/ ٣٩٠ ط٤ الرياض ١٤٠٢هـ.

(٢) انظر كتاب تاريخ مكة لأحمد السباعي ج١/ ٢١٦ ط٦ سنة ١٤٠٤هـ نشر مكة حيث ذكر بعض البدع التي ابطلها الملك عبدالعزيز في مكة.

(٣) الدراويش : جمع درويش وهو في نظام الصوفية الزاهد الجوال (فارسيه دخيله)

(٤) السدنة : جمع سادن وهو خادم المعبد ويقال سادن فلان ، اذنه : حاجبه، المعجم الوسيط .

(٥) فهد المارك ، من شيم الملك عبدالعزيز ، ج٣/ ٢٧٨ ، الطبعة الاولى ١٣٩٨هـ بيروت .

تربة خصبة لزراع البدع ، والخرافات تتوافر فيها جميع وسائل نموها وازدهارها لهذه العقيدة الوثنية سواء في مكة التي فيها قبر خديجة - زوج النبي صلى الله عليه وسلم - أم المدينة التي فيها قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وصاحبه أبي بكر ، وعمر ، وفيها قبور كثير من الصحابة في مقبرة البقيع ، وقبور شهداء أحد قرب جبل أحد وغيرها رضى الله عنهم . حتى جده استطاع الدجالون أن يجعلوا فيها مزارا زعموا أنه قبر أم البشر حواء(١) .

ولقد ساءت الأمور لدرجة أن العالم الضليع بفقہ السنة ، والعالم بأن هذه الوثنية من صنع الدولة العثمانية في مرحلة انحطاطها - سواء أكان من أهل الحجاز ، أم جاء حاجا - لا يستطيع إعلان وثنية هؤلاء الدجالين خشية أن يفتوا بكفره ، أو يفتكوا به(٢) ، وكانت فئة قليلة من الحجاج ليس للدجالين عندهم أي نصيب لكونهم يعلمون أن الواجب على العبد عبادة الله تعالى وحده ، وأنه لا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله كائنا من كان(٣) .

إلا أن هذه الوثنية انتهت بظهور الملك عبدالعزيز الذي أخذ على عاتقه تجديد ما اندثر من معالم هذه الدعوة ، وتوحيد البلاد في ظل دولة إسلامية وأن يطهر البلاد من بقايا هذه الشركيات(٤) كما سيأتي ذلك مفصلا في هذا البحث .

(١) فهد المارك ، من شيم الملك عبدالعزيز ، ج٣/ص٢٩٧ ، ٢٩٨ بتصرف

(٢) مثلما حصل للشيخ أبي بكر خوقير من علماء مكة الذي سجنه الشريف حسين وعذبه بسبب إلتزامه بعقيدته السلف الصالح وقد مكث في السجن حتى فتح الملك عبدالعزيز مكة وأخرجه من السجن .

(٣) المرجع السابق ، ج٣/ص٢٧٩ - ٢٩٨ .

(٤) تاريخ ابن ربيعه / تحقيق د: عبدالله يوسف الشبل ص٥٠ .

والآثار ومصنفات علماء الإسلام (١).

## ٢ - الحالة العلمية ،

وجد في بعض مساجد الجزيرة (٢) حلقات ودروس علمية كما عرفت الرحلة في طلب العلم في الجزيرة العربية وكانوا يتأدون في أخذ العلم، وقد تميز وسط الجزيرة بصفاء في العقيدة واستقامة في المنهج ، واعتماد العالم والمتعلم منهم على كتاب الله العزيز والسنة المطهرة كمصدر أساس لأخذ العلم والتطبيق العملي .

وكان في البلاد بقية من العلماء (٣) تعلموا على أيدي أئمة الدعوة وتلاميذهم الذين قامت عليهم دعائم الدولة السعودية في سابق عهدها، وكان أغلب هؤلاء العلماء يتمتعون بذاكرة قوية حتى أن من يسمعهم يظن أنهم يقرأون في كتاب ، لاعتمادهم على حفظ المتون .

إلا أن هؤلاء العلماء كانوا من القلة بحيث نجد أن بعض القرى لا يوجد بها من يقرأ أو يكتب لانشغال الناس بكسب العيش علاوة على عدم الأمن وكثرة قطاع الطرق، وكان ذلك مانعا للبعض من الرحلة في طلب العلم إلى المدن التي يتوافر فيها العلماء مثل الرياض ومكة والمدينة ونحوها ، ومن الكتب التي كانوا يهتمون بدراستها فهما وتطبيقا : الأصول الثلاثة (٤) متن الأجرومية (٥) متن الرحبية (٦) عمدة الأحكام (٧) .

(١) ابن قاسم ، الدرر السنية ، ج٧/٣٢١-٣٢٣ مطبعة المكتب الاسلامي ببيروت ط (٢) ١٣٨٥هـ

(٢) وذلك في مساجد المدن الكبار

مثل المسجد الحرام، والمسجد النبوي، وجامع الرياض، وجامع الاحساء، وغيرها .

(٣) مثل الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ سعد بن عتيق، وغيرهم .

(٤) للشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - (١١١٥-١٢٠٦هـ) استنتجها من فتنه القبر وأسئلة الملائكة ، طبع عدة مرات .

(٥) متن الأجرومية في علم النحو للعلامة أبي عبدالله محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم ، المولود في سنة ٦٧٢هـ والمتوفي في سنة ٧٢٣هـ .

(٦) متن الرحبية في علم الفرائض للعلامة إبي عبدالله محمد بن الحسين الرحبي .

(٧) للحافظ أبي محمد عبدالغنى بن عبدالله بن علي المقدسي .

فقد كان قلب جزيرة العرب في فوضى سياسية يعمها الانقسام والتناحر والحروب ، فلما قامت الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧هـ وحدت البلاد وعمها الأمن والرخاء والتآلف، فلما سقطت تلك الدولة عام ١٢٣٣هـ رجعت الحال الى ماكانت عليه أو أشد ، الا أن الإمام تركي بن عبدالله (١) سعى إلى إعادة بنائها فتمكن من توحيد نجد والأحساء، ووجد جولا بأس به من الأمن وإقامة الدين ، الا أنه بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي (٢) حدث خلاف بين ابنائه وذلك أن سعود بن فيصل خرج عن طاعة أخيه الامام عبدالله وتقاتلا في عدة مواقع كان من أهمها وقعة عين جوده (٣) عام ١٢٨٧هـ والتي انتهت بهزيمة عبدالله وتفرق جيش الإمارة، وبهذا انثل عرش الولاية وتجرأت القبائل والبلدان بالخروج على طاعة الدولة.

وفي عام ١٣٠٢هـ هجم أولاد سعود بن فيصل على عمهم الإمام عبدالله وسجنوه فتدخل محمد بن رشيد واستولى على عاصمة البلاد الرياض، وفي عام ١٣٠٨هـ ترك الإمام عبدالرحمن بن فيصل الرياض إلى الكويست (٤)

(١) تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود . كان رحمه الله عادلا في الرعية حكيما شجاعا مقداما سخيا كريما كثير الخوف من الله . استولى على جميع أنحاء نجد والأحساء والقطيف وعمان . قدم اليه ابنه فيصل من مصر والشيخ عبدالرحمن بن حسن . واستمر حكمه خمس عشرة سنة . وقتل غدرا سنة ١٢٤٩هـ .

(سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود ، ص ٢٠، مطابع الرياض سنة ١٣٨٠هـ)

(٢) فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود استولى على الحكم بعد مقتل أبيه واستتب له الأمر أربع سنوات لكن الدولة العثمانية أوعزت لوالي مصر أن يوجه عساكره إلى نجد وقد استسلم فيصل وابناه عبدالله ومحمد سنة ١٢٥٤هـ بعد قتال شديد . رجع من مصر ١٢٥٧هـ واستقام له الأمر ١٢٥٨هـ إلى أن توفي عام ١٢٨٢هـ .

(سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود ، ص ٢٠-٢١)

(٣) جودة / بضم الجيم وإسكان الواو وفتح الدال المهملة وأخره ها منهل مياه غرب وادي المياه بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية وهي بقرب خط طول ٤٩-٤٨ وخط عرض ٤٧-٢٥، (انظر/ حمد الجاسر/ المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية، القسم الاول صفحة ٤٣٧، الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ نشر دار اليمامة).

(٤) سوف يأتي الكلام مفصلا على خروج الامام عبدالرحمن من الرياض وأثر ذلك في نشأة الملك عبدالعزيز.

وكذلك كانت في الأحساء حامية تابعة لهم ، وكان الأعراب يعيشون في هذين الإقليمين ، ويسلبون الأموال مع تغاضي الدولة العثمانية عنهم .

أما جنوب الجزيرة (عسير - وجيزان) فكان يتبع الدولة العثمانية تارة وتارة أخرى كان يستقل بها أهلها كإمارة آل عايض والإدريسي .

وكان يسودها الاضطراب السياسي مما تسبب في الحروب والفتن بين القبائل وانتشار الجهل والخرافات ، إلى أن تم لآل سعود السيطرة على تلك المنطقة ، فساد الأمن والاستقرار ، واجتث دابر الفساد والفوضى التي عمّت عموم منطقة الجنوب .

وهكذا كانت الجزيرة العربية ، فالدولة العثمانية هي الدولة الإسلامية المعترف بها دولياً ، ولذلك كانت هدفاً لمؤامرات الدول الغربية والاستعمارية والتي تستهدف استعمار ما بقي من العالم الإسلامي والعربي خاصة ، فتلك الدول تعادي الدولة العثمانية لاشفقة على العرب بل لافتراس ما بيدها ، ولم يكن يعني الدولة العثمانية في عهد انحطاطها من أمر الأقاليم الداخلة في حكمها سوى أمرين : الأول : الطاعة ، والثاني : الأموال التي تجبي من محاصيل الشعوب عن طريق الوالي العثماني على كل منطقة أو إقليم ، وسوف ترى - إن شاء الله - كيف أن الملك عبدالعزيز وحده بفضل الله هو الذي خرج بدولة عربية إسلامية مستقلة لا يسيطر عليها أي استعمار أجنبي . وكأنه كان ضمن القوى العظمى .

فكان مجرى الأحداث ينتجه إلى تقسيم البلاد الاسلامية الى دويلات أو كيانات لا وزن لها فاستطاع الملك عبدالعزيز - بعون الله - أن يقيم دولة إسلامية بقرار إسلامي تتويجا لحقيقة عربية انجزتها عقيدة الإسلام ، وإخلاص أتباعه(١) .

فما جاء عام ١٣٤٩هـ إلا وهو يسيطر على جميع هذه البلاد، وفي عام ١٣٥١هـ صدر الأمر الملكي برقم ٢٧١٦ وتاريخ ١٣٥١/٥/١٧هـ بإطلاق اسم المملكة العربية السعودية وشعارها لا اله إلا الله محمد رسول الله .

#### ٤ - الحالة الأمنية .

كان الأمن في جزيرة العرب - قبل عهد الملك عبدالعزيز - مفقودا والناس يغلب عليهم التمزق والتفرق والانقسام فيما بينهم والنزاع القبلي حتى بين المتجاورين في البلدان .

لهذا فقد اضطرب حبل الأمن وازداد الخوف وعمت الفوضى والسلب والنهب والقتل وإزهاق الأرواح ، فالحروب تقع بين القبائل - في البادية وبين القرى - لاتفه الأسباب ، أو بسبب الطمع والنهب ، إذ ليس هناك سلطة قوية مهيمنة تسيطر على الأمور فتردع هؤلاء عن ارتكاب هذه الأعمال .

ولا يعني الكلام عن فقد الأمن في هذه الفترة أن أهل الجزيرة كانوا عارين عن المثل العليا والقيم والشيم النبيلة بل إنها جزء لا يتجزأ من البنية الأساسية لشخصية أهل الجزيرة العربية .

(١) محمد جلال كشك ، السعوديون والحل الإسلامي ، ص ٢٥-٢٦ ، المطبعة الفنية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

وكانت الانقسامات الاقليمية والتجزئة القبلية والحروب الاهلية والغزوات القبلية من الامور الشائعة التي زعزعت الأمن قبل أن يوحد البلاد الملك عبدالعزيز رحمه الله.

وقد انقسمت الجزيرة العربية آنذاك الى أقاليم منفصلة ، لارابط بينها. (١)

وكانت الطرق مخوفة ومحفوفة بالمخاطر على عابريها والسالكين مسالكها من قطاعها فلا ينفذ مسافر من جهة الى جهة أخرى إلا بعد الجهد والمشقة. (٢)

وقد أثر هذا الجو الفوضوي والمضطرب على طلب العلم ، فكان لا يوجد من طلبه العلم الا قلة أكثرهم في المدن الكبيرة حيث يوجد العلماء وحلقات العلم ، كما كان يوجد في بعض القرى أناس أخذوا العلم وراثه عن آبائهم ، لكن - مع ذلك - كانت الحالة الأمنية المتردية غالبا ماتمنع الناس من السفر لطلب العلم.

وكان التنازع من أجل الرعي والأخذ بالثأر من أشهر الأسباب التي أسهمت في زعزعة الأمن في هذه المنطقة.

نقل الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد مثلا واقعيا لهذا التناحر والخلاف في كلامه عن أحد أودية الجزيرة فقال :

(١) فهد المارك ، من شيم الملك عبدالعزيز ، ج٣/ص١٦٣

(٢) الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد ، الجغرافية الأدبية ، ج٢ ، ص ٣٥٥ ، بتصريف ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ .



وادي الجريب(١) من أصلح بلاد الله لرعي الإبل ويقتتل عنده قبائل العرب من أجل الكلاً.

وقد قتل في ذلك الوادي من رؤساء عتيبة(٢) عدد كثير ، منهم ، تركي بن حميد أكبر رئيس في عتيبة في زمانه ثم من بعده ابن عمه سلطان بن هندي ابن حميد ، وهو أيضا من أكبر الرؤساء في زمانه ، وقتل في ذلك الوادي زايد ابن محيا رئيس الحناتيش من الروقة(٣) ، وقتل بعده ابن عمه فلاح بن محيا وقتل أيضا فيه شليل بن نجم ومارق الضيظ قتلت حرب ، وهو رئيس العضيان من الروقة ، وغزا بعده ابنه بدر بن مارق ليأخذ ثار أبيه فالحقت قبيلة حرب بأبيه ، وقتل في ذلك الوادي جديع بن زبيبه ، قتله دواس أحد الغيادين ، وهم بطن من حرب ، وقد وقعت على أثر هذه القتله حروب كثيرة . أما القتلى الذين هم ليسوا برؤساء فهم كثيرون في هذا الوادي(٤).

هذا النموذج يعطينا صورة واضحة عن الحالة الأمنية في الجزيرة العربية قبل تولي الملك عبدالعزيز زمام الأمور ، مما يدلنا على أن استتباب الأمن بعد توليه الحكم لم يكن بالأمر اليسير لولا عون الله وفضله .

#### ٥ - الأحوال الاجتماعية والاقتصادية :

كان النظام القبلي العربي هو السائد في هذه الفترة، وكانت كل قبيلة تحتل منطقة محددة وتسيطر على مراعيها وموارد مياهها بحيث لا تمر عبرها قبائل أخرى الا بإذنها أو بقوة السلاح .

أي أن الحياة القبلية ونظمها كانت أساس الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت حيث سيطرت عليها روح الغزو والمنازعات واستحكمت شريعة الغاب

- (١) وادي الجريب، بجيم معجمه مكسورة بعدها راء ثم ياء مثناة ساكنة ثم ياء كان يسمى قديما الجرب، وهو من الأودية الشهيرة في عالية نجد من اوسعها حوضاً وأطولها مجري وأكثرها روافد وأطيبها مرعى ويصب في وادي الرمة . (سعد الجنيدل/ المعجم الجغرافي العالية نجد رقم ١ ص ٢٩٨، نشر دار اليمامة بالرياض- بدون تاريخ طبع-).
- (٢) أحد أشهر قبائل الجزيرة وتنسب إلى قبيلة هوازن المضربية .
- (٣) الروقة أحد فرعي قبيلة عتيبة والفرع الثاني يدعى برقاً .
- (٤) ابن بليهد، المرجع السابق ، ص ٥٤٠ .

ثانيا : سيرة الملك عبد العزيز١ - نسبه ومولده :

قبل أن نذكر حال الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز يتعين علينا أن نذكر شيئا من سيرة قائد الدعوة الذي شاد صرحها وحمى دعواتها وسير العلماء للدعوة إلى دين الله في البلاد وأحاطهم بالحماية والدعم المادي والمعنوي .

١ - نسبه :

هو عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد ابن سعود (الذي تنتسب اليه الأسرة السعودية) ابن محمد بن مقرن بن مرخان ابن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي .

من بني حنيفة من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وقد أسس مانع المريدي بلدة الدرعية على ضفاف وادي حنيفة عام ٨٥٠هـ (١) .

وبدأ بزوغ شمس هذه الأسرة في سماء تاريخ العرب عام ١١٥٨هـ حينما التقى الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالأمير محمد بن سعود، على أمر قد قدره الله، وتعاهدا على نصره الدعوة إلى دين الله .

وعلى أثر ذلك قامت الدولة السعودية الأولى وأخذت في التوسع حتى شملت معظم أجزاء الجزيرة العربية ، (٢) إلى أن تكالب عليها خصومها

(١) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ٢/١٢ ومابعدها . ط . دار الملك عبدالعزيز عام ١٤٠٣هـ .

(٢) راجع في ذلك ابن بشر في عنوان المجد ج ١ ص ٤٧ .  
وابن غنام ، تاريخ نجد ، ج ٢ ص ٤ - ط ٢ بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

واستطاعوا التغلب عليها عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م؛ لكنها ما لبثت أن عادت على يد الإمام تركي بن عبدالله مؤسس الدولة السعودية الثانية عام ١٢٤٠هـ/١٨٢٥م، واستمرت في النمو إلى أن حدثت خلافات بين أبناء الإمام فيصل بن تركي أدت بها إلى الانحسار ثم التبدد إلى أن عادت بدعائم قوية على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل عام ١٣١٩هـ / ١٩٠٢م. (١)

### ب - مولده :

يذكر بعض المؤرخين أن الملك عبد العزيز ولد (٢) في اليوم التاسع عشر من شهر ذي الحجة، واختلفوا في السنة؛ فالمشهور لدى معظم المؤرخين أنه ولد عام ١٢٩٧ / ١٨٨٠م ، إلا أن الزركلي رجح أنه ولد عام ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م معتمداً في ذلك على رواية الأمير عبدالله بن عبدالرحمن الفيصل التي تؤيد ذلك. (٣)

ونميل إلى رأي الزركلي وذلك لأن وقائع الأحداث بعد ذلك تؤيد هذا الرأي، ومنها خروج عبدالعزيز ضمن وفد فاوض محمد الرشيد أوائل عام ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م عندما حاصر الرياض، ولا يمكن أن يشترك في مثل هذا الأمر إلا إذا كان ناضج العقل والفكر، أي أن عمره كان حوالي خمسة عشر عاماً لا أحد عشر عاماً، وكذلك سفره إلى كل من قطر والبحرين نيابة عن والده للبحث عن مأوى عقب خروجهم من الرياض عام ١٣٠٨هـ/١٨٩١م؛ وغير ذلك من مؤشرات ترجح أن مولده كان عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م.

(١) الزركلي ، شبه الجزيرة ج ١ ص ٤٧ - ط ٣ بيروت دار العلم للملايين .

(٢) أمه هي الأميرة سارة بنت أحمد السديري، توفيت عام ١٣٢٧هـ/١٩١٠م انظر فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية؛ ص ١٣ - الناشر مكتبة النصر الحديثة - الرياض ط ٢ ١٣٨٨هـ .

(٣) الزركلي - الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز؛ ص ١٠٠٩ .

يحب قراءة ( البداية والنهاية ) لابن كثير، و ( تاريخ الرسل والملوك ) للطبري ، و ( السيرة ) لابن هشام ، و ( المغني والشرح الكبير ) و ( الانصاف ) ، وفي التفسير كان يميل إلى تفسير ابن كثير ، والطبري ، والبغوي ؛ وكان يحب من الشعر ما يميز منه بالطابع الإسلامي . والنصائح (١) كما كان يكثر من تلاوة القرآن الكريم ، ما أمكنه ذلك ، فيخصص حوالي نصف ساعة يوميا لقراءة القرآن الكريم ، وكثيرا ما كان يستشهد من القرآن الكريم على ما يؤيد رأيه ، أو يوضحه . أو يؤكد موقفا من المواقف . (٢)

كما كان له ورد خاص يقرأه يوميا عن ظهر قلب . (٣)

وقد وضع لحياته نظاما دقيقا ، أعطى الجانب الديني منه نصيبا وافرا ، على الرغم من كثرة مشاغله ومسئولياته ، فهو غالبا لا ينام أكثر من ست ساعات في اليوم ، على ثلاث فترات ، منها أربع ساعات في الليل ، يصحو قبيل الفجر فيتوضأ ، ويصلي ركعتين ، ويقرأ بعضا من القرآن إلى أن يحين الفجر فيصلي ثم ينام ساعة ثم يقوم بعدها ليرعى مصالح الدولة ، وساعة أخرى بعد الغداء ، ثم المجلس الديني عقب صلاة المغرب (٤) ، وبهذا استطاع أن يجمع بين مانثأ عليه من تعاليم دينية ، وبين إدارته لأمور الدولة عندما أصبح في موقع المسئولية .

(١) انظر الدكتور سعود بن سعد الدريب ، الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة ص ٩ وأيضا ، فؤاد حمزة ، البلاد العربية السعودية ص ٣٠ ، مطبعة دار المطبوعات الحديثة ، جدة ط ١ سنة ١٤٠٨ هـ .

(٢) محمد المانع ، توحيد المملكة ص ٣١٤ ، مطبعة المطبوع الدمام ط ١ سنة ١٤٠٢ هـ .

(٣) هذا الورد تمت طباعته أكثر من مرة ، وتحت يد الباحث نسخة منه طبع الحرس الوطني وتشتمل على ١١٦ صفحة من الحجم الصغير ومعظم نصوصه من القرآن الكريم وصحيح السنة .

(٤) المانع ، المصدر السابق ص ٣١٥ ، والزركلي مرجع سبق ذكره ، ص ٦٢٥ ، ص ١٠٠٨ ، وأنظر أيضا ، عبد المنعم الغلامي ، الملك الراشد ص ٣٢٢ ، دار اللواء الرياض ١٤٠٠ هـ .

وكان قد تدرب على استعمال السيف وهو في الثامنة، كما تدرب على الوثوب على ظهور الخيل دون سرج أو لجام واستعمال البندقية، وينقل عن لسانه: أنه أحسن استعمال البندقية، وركوب الخيل، كأحد الفرسان، وهو في سن الصبا وأنه كان في السابعة حاد الطبع، دائم الحركة، لا يستطيع الاستقرار في مكان واحد، فترة طويلة (١) وقد حبا الله عبدالعزيز ببينة قوية، وقامة مديدة، فكان يفوق أقرانه، ويتفوق عليهم، واجتمع له مع قوة الجسم سلامة الرأي، فكان يشارك في الصلح بين القبائل، وهو في الثالثة عشر من عمره (٢) وغير ذلك من الأمور الجسام (٣)، وشهد في صباه الشار المتره للخصومات والنزاعات، والمعارك بين أعمامه (٤)، ثم العواقب الوخيمة التي ترقبت عليها من فقدان الملك، وضياع الوطن، واللجوء لموطن آخر. وغير ذلك من حوادث تركت آثارا عميقة في نفسه، وجرحا غائرا لم يندمل إلا بعد أن استرد مجد آباءه وأجداده.

لقد أدت تلك الفتن، والنزاعات على السلطه بالإمام عبدالرحمن إلى البعد عن الرياض، والهجرة إلى البادية هو، وأسرته عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١م وهنا تفرس عبدالعزيز على أعمال الفروسية، وخبرها أكثر من ذي قبل نتيجة لمخالطته فرسان البادية من بني مرة، والعجمان، ومجاراتهم في كافة أنواع الفروسية.

وأثناء ذلك علم المتصرف العثماني في الأحساء، عاكف باشا بوجود الإمام عبدالرحمن بالقرب من الأحساء، فبعث إليه مندوبا (٥) اجتمع به فسي

- (١) الزركلي، شبه الجزيرة، مرجع سبق ذكره، ج١ ص ٥٧.
- (٢) الدكتور سعود بن سعد الدريب، مصدر سابق، ص ١٠.
- (٣) راجع ماكتب في مولده من هذا البحث عن مشاركته في وفد مفاوضة محمد الرشيد.
- (٤) الزركلي، شبه الجزيرة، ج١ ص ٥٩، وانظر أيضا الريحاني، تاريخ نجد ومحلقاته ص ١١٤.
- (٥) كان المندوب هو الدكتور زخود عازار، طبيب الجيش العثماني في الأحساء وهو لبناني الأصل وبجيد اللغة العربية، انظر الريحاني تاريخ نجد، ص ١٠٦، مطبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط ١ سنة ١٩٨٠م.

عين النجم، قرب المبرز على بعد ميلين شمالي الهفوف يعرض عليه الولاية في الرياض على أن يعترف بسيادة الدولة، وعلى أن تدفع له الدولة خراجا سنويا، فاعتذر الإمام عبدالرحمن عن أن يكون حاكما على الرياض من قبل الدولة، متعللا بأنه يخشى أن يتقلب عليه أنصاره عندما يعلمون ذلك(١)

وهن أبرز أعمال عبد العزيز في تلك الفترة .

أن والده أرسله إلى الشيخ عيسى آل خليفه أمير البحرين ليستأذن في إقامة النساء، والأطفال، وكبار السن بجواره فذهب إليه، ونجح في مسعاه .

وبعد فترة أرسله والده إلى الأحساء ليفاوض المتصرف العثماني للسماح له بالإقامة في الأحساء، أو بجوارها، لكن سفارته هذه المرة لم تفلح(٢) ثم بعث إلى الشيخ قاسم آل ثاني أمير قطر، فأجاب مرحبا، فانتقل الجميع إلى قطر في صفر عام ١٣١٠هـ (١٨٩٢م) وظلوا مقيمين فيها حوالي أربعة أشهر ثم انتقلوا جميعا إلى الكويت منتصف عام ١٣١٠هـ/١٨٩٢م(٣) حيث أقاموا في الكويت حوالي تسع سنين، عرف فيها عبدالعزيز كيفية إدارة دفة الحكم، وأكسبته الحنكة، والخبرة السياسية فقد كان الشيخ مبارك الصباح من دهاة السياسيين العرب في عصره، وكانت الكويت في ذلك الوقت على مقربة من المناورات السياسية الدولية، والصراعات، والمنازعات بين الدول الكبرى، وأسلوب الهيمنة على الخليج العربي، والمنطقة العربية بشكل عام .

ولعله يمكن القول إنه منذ بداية مسيرة حياته وحتى هذه المرحلة انتهت مرحلة نشأته، وبدأت مرحلة أخرى من حياته، وهي العمل على استرداد ما فقد .

ومن المفيد في رأينا - قبل الدخول في مرحلة استعادته لملك آبائه أن نشير إلى بعض العوامل التي كان لها تأثير واضح في تكوين شخصية الملك عبدالعزيز القيادية بشيء من الإيجاز .

(١) الزركلي ؟ المصدر السابق ، ص ٦٢

(٢) الزركلي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٦٤

(٣) الزركلي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٦٦ ومابعدها

أ - يأتي في مقدمة تلك العوامل ، النشأة الدينية القويمة ، فقد ظهر أثر تلك النشأة في جميع أقواله، وأعماله، وكان للإلتزام، والتوجه الديني سواء لنفسه، ولأهله، ثم فيما بعد الدولة التي أسسها، وتجنيد طاقاته لخدمة الدعوة، كان لكل ذلك أثر واضح ونتائج ملموسة فنراه يتمسك بالعقيدة، ويحض على التمسك بها في كل مناسبة، ويحافظ على أداء الفرائض، قبل أن يبحث غيره على التمسك بها، ويقرأ القرآن الكريم ويستشهد بآياته، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وأقوال السلف الصالح، وعلماء أهل السنة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويرغب في فضائل الأعمال، ومكارم الأخلاق، ويلزم نفسه بذلك قبل أن يطالب بها غيره، ليكون قدوة لغيره، ولهذا وفقه الله، وآزره فيما سعى إليه .

هذه النشأة غرست في قلبه قوة الإيمان بالله، الذي كان من أبرز مميزات شخصيته، وكما يقول ابنه فيصل مارأيته، منذ نشأت، قد ضعف إيمان بالله، أو تخلى عن ثقته بنصر الله(١) فحفظه الله، وأيده بنصره .

ب - كان للمحنة التي مر بها ملك آبائه أثر بالغ في نمو شخصيته على الصبر، والمجادة، وصلابة العزيمة . وقوة الإرادة، وقد استحوذت وقائع هذه المحنة، وآثارها على نفسه منذ الصغر، وشحذت همته على استيعابها، والاستفادة منها بتلاشي أسبابها، وفيما بعد استعادة الملك، واتخاذها عبرة . ومما يوضح ذلك مارواه الريحاني أن الملك عبدالعزيز كان يحدث عن أسباب سقوط دولة آبائه(٢)، وكما جاء في خطبته في حج عام ١٣٥٨هـ؛ قوله: كل أمة تريد أن تنهض لابد لكل فرد فيها من أن يقوم بواجبات ثلاثة: أولها واجباته نحو الله والدين، وثانيها واجباته في حفظ

(١) الزركلي في مقدمة كتابه شبه الجزيرة ج١ ، ص ٢١

(٢) تاريخ نجد ، ص ١٠١

أمجاد اجداده وبلاده، وثالثها واجباته نحو شرفه الشخصي (١) فقد وعى هذا الدرس جيدا، وعمل على تلاشي أسبابه ودواعيه.

ج - ومن العوامل التي أثرت بشكل إيجابي على تكوين شخصيته سكناه في البادية مع آل مره والعجمان، فأكسبته صلابة العود مبكرا، واستوعب في مراحلها فنون القتال والفروسية، وأجاد الكر والفر وصقلت موهبته القتالية فظهر أثر ذلك عليه فيما بعد، أثناء حروبه الطويلة. وكان يقول "أنا ترعرعت في البادية فلا أعرف التلاعب بالكلام وتزويقه، ولكنني أعرف الحقيقة عارية من كل تزويق" (٢)

د - وكان لإقامته في الكويت على مقربة من موقع المسؤولية وصنع القرار، الإداري والسياسي أثر كذلك، فقد أتاح له ذلك الاطلاع على كيفية إدارة شئون الدولة، وأكسبته الخبرة والحكمة السياسية وراقب بعين بصيرة صراعات الدول الكبرى، ومناوراتها على المستوى المحلي والعالمي، وعرف كيف يتعامل بمهارة مع تلك السياسات عندما أصبح في موقع المسؤولية، إبان تأسيس الدولة، ولذلك حظى باحترام زعماء العالم المعاصرين له، ولا أدل على ذلك من رغبة أكبر زعيمين عالميين للاجتماع به عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وهما: الرئيس روزفلت، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، الذي اجتمع به بالبحيرات المرة في الإسماعيلية في ٢ ربيع الأول ١٣٦٤هـ (١٤ فبراير سنة ١٩٤٥م) ورئيس وزراء بريطانيا آنذاك تشرشل الذي اجتمع به في الفيوم يوم ٥ ربيع الأول

(١) الزركلي، شبه الجزيرة، ج٢ ص ٧٩٢

(٢) الزركلي، المصدر نفسه، ج٢ ص ٧٩٤ وأيضا د. عبدالعزيز شرف ومحمد ابراهيم شعبان، القاهرة، عبدالعزيز آل سعود والشخصية الإسلامية، ص ١٧٠، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ القاهرة.



سنة ١٣٦٤هـ (١٧ فبراير سنة ١٩٤٥م). أي عقب اجتماعه مع روزفلت بيومين وهما زعيمان كان لهما شأن في ذلك الوقت، واختيارهما الملك عبدالعزيز للاجتماع به، وبحث بعض الموضوعات التي تشغل العالم، وتهم المنطقة العربية، هو تقدير لدوره، وتوقير منهما لشخصيته.

### ٣ - صفاته

تعددت أقلام الباحثين الذين تناولوا شخصية الملك عبدالعزيز بالبحث والتحليل؛ فقد حظيت شخصيته بتقدير واهتمام من صفوة المفكرين العرب والغربيين، وبعثت شخصيته المثل العليا في نفوس الكثيرين في سائر البقاع الإسلامية.

فقد أكرمه الله؛ وأتاه بسطة في الجسم، والعقل حيث الفخامة، والرجولة، فالقامة مديدة، والأكتاف عريضة، والصدر رحب، وجسم كله قوة، ونشاط، وحركة. وعقل قوي، وجنان ذكي، وفكر متوقد، وبديهة حاضرة، وقلب يسع كل الرجال، والحوادث فلا يتزلزل، ولا يضعف بشيء منها فهو كالجبل الراسي.

ولسان فصيح، ومنطق قوي، وقول سديد، وحكم رائعة، وبلاغة تفحم السامع، وتغوده بخيط من حرير، فإذا هو طوع هذا الخطيب العظيم، ويد سخية لاتعرف للمال قيمة إلا ادخار المشوبة عند الله، ثم امتلاك أعناق الرجال، وقلوبهم، فهو لا يعرف (لا) ولا يخطر في باله أن يقولها لأي سائل، ولا أن يرد بها على أي مسترشد فضله، أو مجتد من كرمه، اللهم إلا فيما ينال من كرامة دينه، أو ملكه أو نفسه. (١)

(١) محمد الفتحي، اثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمرائي في الجزيرة العربية وغيرها ص ١١٠، ط القاهرة ١٣٥٤هـ.

سجايا فطر الله تعالى عليها عبدالعزيز : الحلم البعيد المدى ، والشجاعة النادرة ، وقوة الفصاحة التي لا تبارى ، والقلب المملوء بالعلم ، والحكمة ، فإذا خطب ملك القلوب ، وقاد النفوس العصية ، والكرم الذي يجعله كالريح المرسله ، والبساطة في كلامه ، ولباسه ، وطعامه ، ومجلسه وفي كل شأنه ، والتواضع الذي يملك على رائيه كل مشاعره ، والعدل الذي فتح بابه لكل مظلوم ، والتنبه الدقيق لكل شأن من شئون ملكه حتى لا تفوته صغيرة ، ولا كبيرة ، والصراحة في الحق حتى لا يخشى فيه أحدا ويحابي فيه أحدا ، ولا يدخر في نصره وسعاً . وقوة الذاكرة التي تعي الحوادث ، والمسائل العلمية مفصلة فلا يضيع منها شيئاً فيجمع شتاتها ، ويقرنها ببعضها ، ويستخلص منها التجارب يرسم به خطط عمله ، وأساليب حكمه ، ونظم مملكته .

ورحمة الأبوة ، وحنان المؤمن الذي قلبه مرآة ينطبع فيها شعور كل أخوانه وإحساساتهم فيفرح بما يفرحون ، ويتألم مما يتألمون . (١)

ولا عجب في ذلك فقد تجسمت فيه فضائل العرب ، ومآثرهم وتنوعت قدراته ، وملكاته مما يجعل من الصعب تقديم صفة على أخرى .

وسوف أتناول بشيء من الاختصار أهم الصفات ، والشيم التي كان يتحلى بها الملك عبدالعزيز - رحمه الله - والتي تشكل الجوانب الرئيسية في شخصيته :-

#### (١) التدين وقوة الإيمان :

كان عبدالعزيز منذ صباه ملتزماً بالتعاليم ، والآداب الشرعية متمسكاً بكتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم محكماً كتاب الله في أموره .

(١) انظر المرجع السابق ص ١١٢ .

فلم يعرف عنه في شبابه صبوة رغم أنه عاش أول شبابه في بلاد كان فيها نوع من التساهل؛ وفي الحديث "إن الله ليعجب من الشاب ليس له صبوة" (١).

أما صلته بالله عزوجل فنحسب أنها لم تكن صلة مقرونة برغبة دنيوية فعقيدته خالصة لوجه الله وإيمانه مطلق ليس له حد فلذلك تجد التوفيق حليفه في أعماله يتحدث الملك فيصل - رحمه الله - عن قوة إيمانه، فيقول: أول المزايا التي يتصف بها والذي قوة الإيمان، فما رأيت منذ نشأت قد ضعف إيمانه بالله أو تخلى عن ثقته بنصر الله (٢).

ويقول الشيخ محمد حامد الفقي سمعت الملك عبدالعزيز يقول (اسمعوا أيها الأخوان أنا عندي أمران لا أتهاون في شيء منهما ولا أتوانى في القضاء على من يحاول النيل منهما ولو بشعره؛

الأول: كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله اللهم صل وسلم وبارك عليه إني والله وبالله وتالله أقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة لأضن به (٣) (٠٠٠).

ومن أهم ثمرات تدين الملك عبدالعزيز أخذه بمبدأ الشورى، فلا يعرف الاستقلال بالرأي ولكن كانت المشورة الدائمة والاسترشاد بأراء العلماء دأبه ومنتهجه.

(١) الحديث رواه أحمد في مسنده ج٤ ص١٥١ عن عقبه بن عامر، قال في مجمع الزوائد

استاده حسن، ج١٠/٢٧٠.

(٢) الأحيدب من حياة الملك عبدالعزيز ص٣٧-٤٣ الطبعة الأولى الرياض ١٣٩٩هـ.

(٣) محمد الفقي، أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني ص١١٠.

ابا الكرم :

وكرم عبدالعزيز طبيعي لا تكلف فيه سواء على ضيوفه، أو على الفقراء،  
والمعوزين داخل البلاد، وخارجها.

وينفق إنفاق من لا يخشى الفقر، فكان يعطي بلا تقيد حتى وإن كانت  
خزينته فارغه، وكان ذلك يحزن ابن سليمان وزير ماليته لأنه أمام سخاء الملك  
يجد نفسه دائما مضطرا لتغيير ميزانيته (١)

ولا يخفى ما للكرم من أثر في نفوس الناس، حيث أكسب السخاء عبدالعزيز  
محبة في قلوب الناس حتى قيل : يفضل عبدالعزيز أن يستولي على أهل البلاد  
بسخائه لا بسلاحه.

جاءه رجل من قومه يشكو إليه ما يعانیه من الديون، وعدم قدرته على  
السداد فأمر أن يحقق في أمره فأثبت المحققون أن الرجل مدين بمئة جنيه من  
الذهب فأمر له بالف (٢)، وقصة هبته فرسه لرئيس وفد الأمير محمد بن رشيد  
مشهورة (٣)

ابا الشجاعة :

تميزت الجزيرة العربية بكثرة الرجال البواسل لكن الملك عبدالعزيز كان  
من أشجع رجالها، وليس أدل على ذلك من كثرة المعارك التي خاضها،  
والفتوحات التي تمت على يديه، وقد عد المؤرخون فتح الرياض على يد  
الملك عبدالعزيز أكبر دليل على شجاعته، فعند قدومه من الكويت اتخذ قرارا

(١) المانع ، توحيد المملكة العربية السعودية ، ص ٣١٩ بتصرف  
(٢) فهد المارك، من شيم الملك عبدالعزيز، ج٣ ص ٧٥ مرجع سابق .  
(٣) انظر تفصيل القصة في من شيم الملك ج٣/٢ ص ٩٣ فهد المارك .

بأن لا يقبل أنصاف الحلول؛ فإما أن يموت شجاعاً بطلاً فوق التربة التي هي مسقط رأسه، وإما أن يكون سيد البلاد (١)

وعندما دنا من الرياض سأل عن قبر شقيقه فيصل، وأوصى رفاقه إن هو استشهد أن يقبروه بجوار أخيه، وكان عبدالعزيز في تلك المغامرة يتقدم رجاله اليواصل فكان أول المتسلقين للمنزل المجاور لقصر المصمك الذي كان يحله عجلان (٢)

ومن الأمثلة على شجاعته أنه في موقعة الحريق وأثناء القتال دارت الدائرة على جيشه وهم الجنود بالفرار فبرز في مقدمة الصفوف ممتطياً جواده، ومنتقلاً سيفه ونادى: (أيها الإخوان من كان يحب عبدالعزيز فليبتدع، ومن كان يؤثر الراحة والعافية فليذهب إلى أهله فوالله لن أبرح هذا المكان حتى أبلغ النصر أو الموت) فسرت الحماسة، والحمية في نفوس الجنود، وعادوا فشدوا على أعدائهم وكان لهم الفوز (٣)

ومع هذه الشجاعة الفائقة لم يكن الملك عبدالعزيز يفتخر يوماً بهذه الشجاعة بل يعترف بأنه يستمدّها من قوة الله عز وجل فيقول:

"إن ما وهبني الله لم يكن بسبب قوتي، بل بسبب ضعفي، وقوته سبحانه (٤)".

وكان يتوج هذه الشجاعة صلابة هادئة، وحلم وأناة، وإصابة في الرأي لأن شجاعته جاءت من قوة إيمانه بالله.

(١) انظر عمر أبو زلام، عبدالعزيز آل سعود المبقرية في التحرير والتوحيد والتحصير ص ٢٦٧-٢٦٨ مطبعة دار الرأي العام التجارية، الكويت ط (١) سنة ١٤٠٥ هـ، ومحمد إبراهيم رحمو، أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز، ص ٤٦ مطبوعات داره الملك عبدالعزيز ط (٢) سنة ١٤٠٢ هـ.

(٢) المارك، من شيم الملك عبدالعزيز ج ٢ ص ١٤١، وعجلان هو قائد حامية ابن رشيد في الرياض.

(٣) الأحيدب، من حياة الملك عبدالعزيز ص ٣٩.

(٤) المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ص ٣٢٤، مرجع سابق.

أهـ العدل

لاستقيم الحياة، ولا تستقر بدون العدل الذي قامت عليه السموات والأرض.

ولما كان الملك عبدالعزيز مسترشدا - في كل أموره - بالشرعية الإسلامية، فقد كان تعامله مع كل إنسان من البدو البسطاء إلى الملوك الأجانب يتسم بالنزاهة التامة، والصراحة الكاملة، والعدل. فمنذ أن منّ الله عليه بفتح الرياض أسس دولته على العدل، وجعل لكل شخص الحق في أن يتقدم إليه بشكواه، أو يرفع إليه مظلّمته والويل كل الويل لمن يمنع عنه سائلا، أو يحجب عنه شاكيا، أو مظلوما. (١)

وكان لا يتوانى في إنفاذ الحق على أي شخص - صغيرا كان أم كبيرا - حتى لو كان من أبنائه، وأخوانه (٢)

يقول الملك فيصل :

(إن والذي لا يفرق بيننا، وبين أبنائ شعبه، وليس للعدالة ميزانان يزن بأحدهما لأبنائه، ويوزن بأخر لأبناء الشعب فالكل سواء عنده، والكل أبنائه) (٣)

ولم يقم بأية محاولة لاستثناء نفسه من حكم الشرع، وكان إذا أقام أي إنسان من رعاياه دعوى ضده، عين وكيله عنه لبتحاكم معه لدى قاضي يثق بعدله، وكان يخضع لحكم الشرع مهما كانت نتيجته، ومن كلماته المحببة إليه: "لا يدوم الملك إلا بدولة عادلة" (٤)

(١) انظر حمد ابراهيم الحقييل ، عبدالعزيز في التاريخ ، ص ٣٢ ، ط (٢) سنة ١٣٩٣ هـ ، الرياض .

(٢) الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ ، جهود الملك عبدالعزيز في خدمة العقيدة ، ص ٢٦ بتصرف ، طبع جامعة الامام محمد بن سعود ، ١٤٠٦ هـ .

(٣) الأحيدب ، من حياة الملك عبدالعزيز ، ص ٣٩ ، مرجع سابق .

(٤) المانع ، توحيد المملكة ، ص ٣٢٧ ، مرجع سابق .

هـ) الفراسة وقوة العقل .

لقد أودع الله - عز وجل - في شخصية الملك عبدالعزيز منذ نعومة أظفاره الذكاء، والفطنة، والتطلع إلى المجد مع مالديه من استعداد ذهني، واستعداد فطري في كل ما يفكر فيه، أو يقرأه، أو يسمعه .

فقد وهب الله ذاكرة، وإدراكا، وملاحظة، وفطنة، فكانت ذاكرته تشير الإعجاب حيث يمكنه أن يحمل في رأسه من المعلومات ما يكفي لملء مكتبه، وكانت لديه موهبة التذكر الفوري، فعلى سبيل المثال كان عالما بمعظم قبائل مملكته، وبطونها، وأفخاذها، وتواريخها، وتقاليدها .

وكان يستطيع في بضع ثوان من بدء حديثه مع أي بدوي أن يعرف من طريقة كلامه القبيلة التي ينتسب إليها، والفرع الذي ينحدر منه (١)

وا) العفو .

يكاد يكون العفو من أبرز شيم الملك عبدالعزيز، وكان إذا عفا أتبع عفوهِ إحساناً، وكان دائماً أقرب للعفو منه إلى العقاب، وشواهد عفوهِ، وإحسانهِ كثيرة فقد كان الملك عبدالعزيز يعفو عن الزعماء الذين انتصر عليهم، ويحسن إليهم، وكان هذا العفو يؤتي ثماره؛ بحيث يكسب ولاءهم، واحترامهم، وهذه السياسة أثبتت نجاحها باستثناء حالات نادرة، وخير مثال على ذلك أن كثيراً ممن حملوا السلاح ضد الملك عبدالعزيز، وسعوا إلى قتاله، ثم إذا أظفروه الله عليهم، عفا عنهم، بل وأكرمهم، وكانت البلدان المفتوحة تحاط بسياج من الصفع، والتسامح، والعفو الذي يعقبه فيض من التكريم . يزيل به ما بالنفوس المغلوبة من آثار . وبذلك استحوذ على قلوب خصومه

(١) المانع، توحيد المملكة العربية السعودية ص - ٣٣٠، مرجع سابق .

از) الحكمة والاناة في معالجة الامور :

إذا كان الحاكم يقود شعبه بقلبه فهو جدير بسيادة شعبه ، وإذا استحكمت الأمور استعمل الفكر والرأي قبل السيف .

هذا هو منهج الملك عبدالعزيز . . يؤكد أنه أقوى تأكيد أنه في اليوم الثالث من شوال سنة ١٣١٩هـ يوم أرسى أول لبنة في بناء المملكة العربية السعودية ، يوم فتح الرياض لم يرسل رجاله المحاربين ولم يسلم سيفه ولكنه مضى على سنة من قال : " اذهبوا فأنتم الطلقاء " (١)

انه كان يتجنب سفك الدماء إلى أبعد حد ويدفع في سبيل تجنبها أي ثمن لدرجة أن المحيطين به - بعض الأحيان - كانوا يشكون في شجاعته (٢)

اج) التواضع :

من عايش الملك عبدالعزيز يجد أنه لم يندفع أمام مغريات الحياة ففي الوقت الذي كان يقوم فيه بأعباء الحكم على أكمل وجه كان ملبسه عاديا ، وهو نفس الملابس القديم لم يغير فيه شيئا لا في التفصيل ولا في النوع كان يلبس الصوف في الشتاء والقطن في الصيف ، وعاش في قصره القديم ولم يغيره . حتى أنهم حاولوا أن يبنوا له قصرا من الحجر فقال لهم : لا تبنا لي شيئا آخر أنا مرتاح في منزلي ولا أحب أن أغيره ، فلم يغيره المال ولا بهارج الحياة وكانت أكلاته عادية ، وهي الأكلات نفسها التي اعتادها في السابق (٣)

(١) من بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز بعنوان (جوانب من عبقرية الملك عبدالعزيز) ص٧ القاه الشيخ عثمان الصالح والعبارة مشهورة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما فتح مكة المكرمة ، انظر/ ابن القيم / زاد المعاد / ج٢ ، ص١٨٤ / ط الحلي . القاهرة ١٣٩٠هـ .

(٢) من حياة الملك عبدالعزيز ، الأحيدب ، ص١٤٤

(٣) الكلام من وصف لحياة الملك عبدالعزيز قاله الملك فيصل - رحمه الله - انظر الاحيدب ، من حياة الملك عبدالعزيز ، ص٤١ ، مرجع سابق .



ط (١) حسن المنطق :

كان الملك عبدالعزيز متحدثاً بارعاً، وكان بليغاً في كل خطبه وكانت سيطرته على نفسه من القوة بحيث لا يتكلم كلمة في غير محلها أو زائدة على المقصود ولا يتحدث بكلمة يندم على قولها.

وكان كلامه مليئاً بالمجازات الذكية والحكم والأمثال التي تجعل سامعه يود لو أنه لا يتوقف عن الحديث.

تحدث مرة مع عبدالوهاب كاتب الحرم وأحد وزراء الشريف حسين السابقين ولدى مصافحة عبدالوهاب له علق على نعومة يدي الملك عبدالعزيز معبراً عن دهشته أن تكون يدي محارب مثله، فابتسم الملك واستشهد بالبيت المشهور:

ان الأفاعي وان لانت ملامها عند الثقلب في أنيابها العطب<sup>(١)</sup>

أ (١) القدرة على الكتمان والبرية :

كان الملك عبدالعزيز يخفي خططه عن أقرب المقربين إليه؛ كأسرته، ومستشاريه وهذا كان يحقق له عدم تسرب خططه إلى الأعداء، كما كان يصيب جواسيس أعدائه باليأس من أن ينالوا نجاحاً في مهامهم.

وهذه جوانب من الصفات التي كان يتحلى بها الملك عبدالعزيز، والتي أهلتها إلى أن يقود أمته إلى مراقي العز، والسؤدد لتتبوأ مكانها اللائق بين الأمم.

(١) محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ص ٣٣٠، مرجع سابق.

والى جانب هذه الصفات، ثمة صفات أخرى وجدت لها شواهد تاريخية من سيرته، إلا أنه لما كان البحث يدور أساساً على الدعوة في عهده، فقد آثرت أن أقتصر على هذه الجوانب ذات الصلة بوظيفة الدعوة، وأخلاق الداعي الصادق الكف.

وبهذه السجايا العظيمة، والخلال الكريمة بسط الله لعبدالعزیز هذا الملك، ووطأ له أكتاف هذه الدولة، وكذلك بهذه الروح المؤمنة الصادقة أتاح الله للجزيرة عهداً سعيداً عامراً بالأمن، والرخاء، ورغد العيش. وهو يذكرنا بعقب ذلك العهد الراشدي المثالي عهد عمر بن الخطاب، وإخوانه الخلفاء الراشدين رضی الله عنهم (١)، فقد جاهد الملك عبدالعزیز - قدر جهده - في السير على درب هذا العهد الرشيد.

(١) محمد الفتى، أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني ص ١١٣، مرجع سابق.

ثالثا : تأسيس الدولة :

سبقت الإشارة إلى أنه لم يكن في نجد حين استيلاء الملك عبدالعزيز على الرياض حكومة مركزية ذات نظم وأوضاع ثابتة ترعى مصالح الناس وتسهر على أمنهم وسلامتهم، وتقيم أحكام الشريعة وتمنع العدوان وتهتم بالمشروعات الإصلاحية التي هي دعامة العمران.

ولا يخفى أن الجهود التي بذلها الملك عبدالعزيز، في سبيل تأسيس الدولة، وتوحيد أجزائها، هي جهود تعد عملا غير عادي؛ لاسيما أن تلك الجهود قد استغرق مداها أكثر من ربع قرن واجه خلالها العديد من المصاعب التي توهم العزائم، لكن عزمته، وقوة إيمانه كانت أصلب وأشد، فتغلب عليها جميعا بتوفيق الله، لأن غايته كانت هي نصره دين الله، فنصره الله ومكنته.

وصدق الله تعالى إذ يقول: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين. ونمكن لهم في الأرض) (١) ويقول سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله يتصرمكم ويثبت أقدامكم) (٢) فكان نصر الله حليفه.

وقد مرت أعمال التأسيس بعدة مراحل، وكل مرحلة لها سمة خاصة تميزها عن غيرها، إلى حد ما، ولهذا فقد قسمناها إلى ثلاث مراحل وهي على النحو التالي:

(١) سورة القصص آية ٥ ، ٦

(٢) سورة محمد آية ٧

## ١ - المرحلة الأولى :

وتشمل : من فتح الرياض عام ١٣١٩هـ / ١٩٠٢م حتى انضمام حائل عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م.

ويعد استيلاء الملك عبدالعزيز على مدينة الرياض سنة ١٣١٩هـ من الإنجازات المهمة والبطولات الفذة. وصفها التاريخ بأنها حجر الأساس لهذا الملك الواسع، فهي ركيزة الانطلاق في مسيرة البناء.

وكان عبدالعزيز قد دخل الرياض عام ١٣١٨هـ وبينما كان يحاول الإستيلاء على المصمك بلغه هزيمة مبارك الصباح في وقعة الصريف على يد عبدالعزيز المتعب وأتاه أمر والده الإمام عبدالرحمن بترك الرياض والعودة إلى الكويت فنفذ تعليمات والده، وعاد للكويت (١) وقد ازداد عزمه على معاودة الكرة إلى الرياض وفاتح والده أكثر من مرة لكن والده كان يرأف به، ثم بعد إلحاح سمح له، وخاطب الشيخ مبارك في هذا، وخرج عبدالعزيز ومعه عدد قليل من أقربائه، وأنصار آل سعود في الكويت، وسار مخفياً قصده للرياض، وكأنه خرج ليفزوا بعض القبائل حتى لا يلفت الأنظار للهدف من خروجه، وسلك طرقاً وعرة للتمويه، إلى أن فاجأ عجلان الحاكم من قبل ابن الرشيد صباح يوم ٥ شوال ١٣١٩هـ (١٥ يناير ١٩١٢م) خارجاً من حصن المصمك الذي كان يبيت فيه وخلفه حراسه فقتلوا عليه، وعلى من قاوم من الحراس واستعاد الرياض.

وفي لحظة النصر صعد أحد رجال عبدالعزيز إلى أعلى برج في القلعة وأعلن :

(١) الريحاني : مصدر سابق ص ١١٩ ومابعدها، والزركلي، مصدر سابق، ج ١ ص ٧٦

" الحكم لله ثم لعبدالعزيز بن سعود أنتم في أمان وضمان "

وأقبل إليه أهلها مباركين ، ومبايعين (١) يتقدمهم العلماء وأكابر القوم ، ثم بعث إلى والده بخبر استيلائه على الرياض ، وطلب منه سرعة الحضور .

وهكذا بعد اثنتي عشرة سنة من النفي استعاد ذلك الأمير عاصمة آباءه من ابن رشيد وبقي عليه أن يفوز ببلادها . (٢)

إن خطة الملك عبدالعزيز لاستعادة الرياض تدل على قوة الإرادة والجرأه التي كان يتمتع بها ، فقد كان للسنوات التي قضاها متنقلا في الصحراء أثر واضح في قوة إرادته وكذلك حياته في الكويت كل ذلك مكنه من إستعادة ملك آباءه وأجداده ، ليعود السلطان إلى الدين ، ولتعود القوة لمساندة الشريعة ولتعود الاتفاقية التي أبرمت بين جده الإمام محمد بن سعود والإمام محمد بن عبدالوهاب موضع التنفيذ مرة أخرى فدولة الباطل ساعة ودولة الحق حتى قيام الساعة ، وعملية فتحه مدينة الرياض تعد من غرائب ما يحصل في التاريخ لكنها في حقيقه الأمر إرادة الله الذي أراد خيرا بالمسلمين وبالذعوة الإسلامية فيسر له فتح الرياض بالطريقة التي تدل على توفيق الله ورعايته .

ولم يكن ذلك الفتح فتحا بقوة السلاح وكثرة المال ولكنه كان فتحا بقوة الإيمان بالله عز وجل ثم بما توج به هذا الملك ملكه من عقيدة راسخة وتخطيط محكم .

(١) توجد تفاصيل عديدة لامجال لذكرها هنا بالنسبة لليلة المصمك ومن أراد الرجوع إليها فعليه بكتاب البلاد العربية السعودية لغزاد حمزه ص ٢٠ وغيره .

(٢) محمد المانع / توحيد المملكة ص ٤٨

ولم يقصد عبدالعزيز من فتح الرياض أن يقبع فيها بل كان لديه طموح واسع ونية مخلصه في لم شمل المسلمين المفرق وأن يوسع رقعة مملكته ويوطد الأمن والاستقرار فيها وأن يحكم كتاب الله وسنة رسوله في الكبير والصغير والغني والفقير والقريب والبعيد.

هذه النوايا الإصلاحية أعلنها الملك عبدالعزيز في كلمته المشهورة عند تسلمه الحكم والقيادة:

"اللهم إن كان قصدي إعلاء كلمة الله ونصرة الإسلام والمسلمين فأرجو منك التوفيق والتأييد والنصر وإن كان قصدي خلاف ذلك فأرجو منك أن تريحني بالموت العاجل" (١)

وكانت الخطوة الأولى في جولة الملك عبدالعزيز هي قيامه بتحسين الرياض وحماتها وإعادة بناء سورها الذي هدم في سنة ١٣١٨هـ ليكون العرين محصنا وقصر القيادة مصاناً. ثم بدأ يرسم الخطط المستهدفة لتوحيد الصفوف وتجميع أجزاء البلاد التي عصفت بها الأحداث خلف قيادة واحدة لأن الإسلام يبحث على لزوم الجماعة ثم سارت قوافل الخير ميممة مايليه من البلدان من أجل تغيير البيئة الاجتماعية ولم الشمل وتوحيد الكلمة وتوطيد الأمن والعدل.

وقد إعتبر أكثر المؤرخين فتح الرياض بدء التاريخ الحقيقي للدولة ومنذ أن أمسك الملك عبدالعزيز بزمام الأمور أخذ يدعو الناس بالحكمة واللين واللطف فأحسن إلى المحسن وعفا عن المسيء فدانت له نجد كلها في عام ١٣٢٦هـ - عبد حائل - وهو آنذاك يعاني أزمة حادة من قلة المال وكثرة

(١) سعد الرويشد، من تاريخ الملك عبدالعزيز ومواقفه النادرة، ص ٩  
بحث أقي في المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز ١٤٠٦هـ.

المناوئين له ومع هذا لم يظلم أحدا ولم يأخذ مال أحد بل يستدين ويقترض  
وفي كل مناسبة يرد للدائنين حقوقهم ويحتفظ لهم بالولاء (١)

وفي عام ١٣٣١هـ - بعد عشر سنوات من فتح الرياض ضم إليها الأحساء  
والقطيف (٢) وتوابعها وأنتزعهما من أيدي الحامية التركية في ليلة واحدة ثم  
انضمت عسير في شوال عام ١٣٣٨هـ / ١٩٢١م وتوطد الأمن فيها بصفة نهائية  
عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م وأخيرا في عام (١٣٤٠هـ) بعد أقل من عشر سنوات  
من ضم الأحساء وتوابعها - ضم بلدة حائل (٣)

- 
- (١) محمد المنيع / توحيد المملكة العربية السعودية ص ٧١  
(٢) الريحاني / تاريخ نجد / ج ٥ / ص ٢٠٥ وما بعدها.  
(٣) الريحاني / تاريخ نجد الحديث / ج ٥ ص ٢٧٧ وما بعدها.

وتشمل ماتم فتحه بعد انضمام حائل عام ١٣٤٠هـ (١٩٢١) وحتى توحيد المملكة عام ١٣٥١ (١٩٣٢م).

من المعروف أنه لا يوجد بين الحجاز، ونجد فواصل طبيعية يمكن أن يطلق عليها حدود فاصلة، وإنما هي مسميات من وضع الجغرافيين العرب الأوائل لتحديد مواضع، أو أماكن، يتصل بعضها ببعض، لاتمنع انسياح القبائل، أو رحيلهم منها وإليها، منذ العصر الجاهلي فكلها يطلق عليه شبه الجزيرة العربية، وعند إنشاء الدول في العصر الحديث رؤى أن توضع حدود روعي فيها عدة اعتبارات، منها المسميات التي وضعها العرب قديما، وأيضا ولاء القبائل، وانتمائها. وغير ذلك من الاعتبارات.

وكان جبل حضن هو الرابط بين مسمى الحجاز، ونجد. وكان يقال من رأى حضنا فقد أنجد، أي أصبح في أرض نجد (١) وتقع بلدتا تربة، والخرمة في جنوبه الشرقي أي في أرض نجد، وكانت هذه المنطقة مثار النزاع بين الملك عبدالعزيز، والشريف حسين.

على أن الشريف كان في طبعه الطمع، وفي خلقه الاعتداد بالنفس، وحب الظهور لدرجة الغرور، وقد وضع في اعتباره من البداية العمل على أن يحظى برضا الدولة العثمانية عليه، ويتقدم على منافسيه.

وسارع يؤلب القبائل في غرب نجد ليستميلها إلى صفه، وليستعد يها ضد عبدالعزيز، وهو يعلم أن عبدالعزيز مشغول بمواجهة ابن الرشيد (٢).

(١) انظر الربحاني ، المصدر السابق ص ٢١ ، وفؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب ص ٢٢ والزركلي ج ١ ، شبه الجزيرة ، ص ٣١٨ ، وزاد فيه : تبعد عنه تربة مسافة ٧٥ ميلا إلى الجنوب والخرمة ٥٠ ميلا إلى الشرق .

(٢) الزركلي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٠٦ .



لكن عبدالعزيز غض الطرف عن تصرفات الشريف لأن لديه ما هو أهم .

وراسل الشريف بالموءة(١) ورد الشريف التحية بمثلها، لفترة يسيرة، عاد بعدها يبث الفتنة بين قبائل نجد، ويضرم نارها وصبر عبدالعزيز، إلى أن كانت الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) وحاول الانجليز جذب عبدالعزيز إلى صفهم ضد الدولة العثمانية، فرفض، كما حاولت الدولة العثمانية جذب عبدالعزيز إلى صفها، فرفض أيضا وظل على الحياد، رغم الإغراء من الطرفين(٢) .

وقام الملك عبدالعزيز خلال الحرب بإرسال خطابات إلى الحكام العرب في المنطقة كي يجتمعوا، ويتدارسوا الموقف في المنطقة، ويتخذوا موقفا موحدا لصالح العرب والإسلام فلم يجد تجاوبا وكتب الوالي العثماني في جدة إلى عبدالعزيز، أثناء الحرب، يشرح له ارتبابه في إخلاص الشريف حسين للدولة، ويعدده إن هو (أي عبدالعزيز) جاء إلى الحجاز أن يسلمه له ويساعده(٣) كما تلقى عبدالعزيز خطابا في شوال ١٣٣٦هـ (١٩١٨م) من الفريق فخري باشا، القائد التركي في المدينة المنورة، يعرض عليه تزويده بالأسلحة والعتاد، لحرب من سماه "العاصي حسين" وفتح طريق مكة للحجاج المسلمين(٤) غير أن عبدالعزيز لم يستجب لكل ذلك وكان الشريف حسين قد أعلن الثورة في ٩ شعبان سنة ١٣٣٤هـ ضد الدولة التي عينته في منصب الشرافة، وانتهت الحرب العالمية عام ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) بهزيمة الدولة العثمانية، واستسلمت حاميتها في المدينة المنورة والطائف، للشريف حسين

(١) الزركلي ، المصدر السابق ، ج١ ص ٢٤٣، ٣٠٧، ٣٢٧ والريحاني، المصدر السابق، ص ١٩٠

(٢) محمد جلال كشك، السعوديون والحل الاسلامي ص ٤٥٨، ٤٥٩

(٣) الزركلي ، المصدر السابق ، ج١ ص ٣٠٨

(٤) الزركلي ، المصدر السابق ، ج١ ص ٢٤٣

واجتاحه الغرور، وبدا وكأنه هو الذي هزم الدولة.

وخيل للشريف أنه إذا استصرخ العرب يهبون لنجده من أقصى شبه الجزيرة سامعين مطيعين، وأن العالم الاسلامي يغضب لغضبه، فانتهازها فرصة وأمر ابنه عبدالله بأن يزحف بجيشه من المدينة المنورة للاستيلاء على تربة والخزرة فسار ابنه بجيش جرار، مجهز بأسلحة ومدافع عديدة، واحتل تربة، لكن القوات السعودية بقيادة خالد بن لؤي، وسلطان بن بجاد فاجأتهم ليلة ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) في تربة ومزقتهم كل ممزق ولم ينج منهم إلا القليل، ونجا عبدالله بن الحسين بصعوبة(١)

وزاد هذا من حنق الشريف، فواصل إشعال لهيب الفتنة، وأرسل قوة عسكرية مجهزة بالمدافع والرشاشات لمساعدة آل عايض في عسير على التمرد عام ١٣٤٠هـ (١٩٢١م) وحاول أبناؤه إحداث قلاقل على حدود نجد الشمالية ونشط هو في نشر المقالات في جريدة القبلة، وفي بعض صحف البلدان العربية(٢) للتجريح في عبدالعزيز وتحريض الناس عليه.

أما السلطان عبدالعزيز فقد عاد من موقعة تربة إلى الرياض، وفي ذهنه افتتاح عهد جديد مع الشريف، وإلقاء ستار على ماضى(٣).

لكن الشريف ازداد حنقا كما سبق أن قلنا، وتمادى في معاداة أهل نجد، ووضع العراقيل في سبيل دخولهم الحجاز، ومنعهم من أداء فريضة الحج لأكثر من ثلاثة أعوام حتى ضج أهل نجد فقد تعطل لديهم ركن من أركان الإسلام،

(١) الزركلي ، المصدر السابق، ج١ ، ص ٣٢٣ ، والريحاني ، المصدر السابق ، ص ٢٥٣-٢٥٧

(٢) الزركلي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٢٦

(٣) الزركلي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٢٣

وكان السلطان عبدالعزيز يحاول تهدئتهم، وامتصاص غضبهم، بأنه يبذل جهده لحل الخلافات، وتذليل السبل لآداء الفريضة لمن يرغب في أدائها.

خلال ذلك سافر الشريف حسين إلى عمان بشرق الأردن فخلعوا عليه لقب الخلافة، فازداد بذلك صلفاء، وغرورا، وعنادا وفي نفس الوقت زاد اضطهاده لأهل نجد، ومنع تجارهم من الأمتيار في الحجاز (١)

وعقد مؤتمر في الرياض عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) برئاسة الإمام عبدالرحمن الفيصل، وحضره حشد من العلماء وأمرء البلدان، ورؤساء القبائل والعشائر، وحضره عبدالعزيز، وأثير في هذا الاجتماع موضوع منع الحسين أهل نجد من أداء فريضة الحج. . . وتكلم بعضهم مطالبين بعدم الصبر بأكثر من هذا على ترك ركن من أركان الإسلام. . . وتكلم عن العلماء الشيخ سعد بن حمد بن عتيق فقال: إن الحج ركن من أركان الإسلام، ومسلمون نجد - والحمد لله - يستطيعون أداء هذه الفريضة على الوجه الأتم، بالرضا، أو بالقوة ولكن من أصول الشريعة النظر الى المصالح والمفاسد، فالأمر الذي يؤدي إلى ضرر أو مفسدة يدفع، فهل هناك مفسدة أو مضرة قد تنتج عن الترخيص لمسلمي نجد بالذهاب لبيت الله؟ ذلك مانود الوقوف عليه من الواقفين على السياسة.

وهنا اتجهت الأنظار إلى السلطان عبدالعزيز لتعرف مآلديه، فقال: نحن لانريد أن نحارب من يسالمتنا، ولانمتنع عن موالة من يوالينا، ولكن شريف مكة كان دائما - وهو الوارث بغضنا عن أسلافه - يزرع الشقاق بيننا، وبين عشائرتنا، ولقد بذلت كل ما في وسعي لحل المشاكل التي بيننا وبينه والتي هي أحسن، لكنه كلما دنوت منه تباعد. ولايزداد إلا نفورا، وجفاء. . . وإن الأمور تزداد سوءا، وارتاباكا، ولايحسن الاستمرار في خطة لانضمن حقوقنا، وتصون مصالحنا".

(١) الزركلي، ج ١ ص ٣٢٨، وفؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٩١

وكان هذا إيذاناً بالزحف، فقد صاح الحاضرون: توكلنا على الله... إلى الحجاز(١).... وأخذ عبدالعزيز يهيب، لمواجهة الشريف حسين.

وتقدمت طلائع الجيش السعودي، وعندما هم السلطان عبدالعزيز بمغادرة الرياض ليلحق بطلائع الجيش، قال: إني مسافر إلى مكة، لاللتسلط عليها بل لرفع المظالم عنها، إني مسافر إلى مهبط الوحي، لبسط أحكام الشريعة، ولن يكون في مكة بعد الآن سلطان لغير الشرع(٢). ودخلت طلائع الجيش مكة وهم بملابس الإحرام، منكسين أسلحتهم، وملبين، وطافوا حول البيت، وسعوا، ونادوا بالأمان، ثم تسلموا زمام الأمور يوم ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م). ولما وصل السلطان عبدالعزيز هو ومن معه إلى قرن المنازل، استبدل بملابسهم ملابس الإحرام، ثم استأنفوا السير، إلى أن دخلوا مكة ملبين بالعمرة، يوم الخميس ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ (٥ ديسمبر ١٩٢٤م)، فطافوا ثم سعوا ثم صلوا، وتوافد العديد من أهل مكة على السلطان يهثونه، ويبايعونه.

ثم طلب علماء مكة، وأعيانها الاجتماع بالسلطان، فحدد لهم (السبت ١٠ جمادى) ولما حضروا جميعاً قال فيهم:

(إن أفضل البقاع هي البقاع التي يقام فيها شرع الله، وأفضل الناس من اتبع أمر الله، وإن لهذا البيت شرفه ومقامه، منذ رفع قواعده سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد عظم العرب أمره في جاهليتهم، وإسلامهم... إن الذي أبغبه في هذه الديار أن يعمل بما في كتاب الله، وسنة رسوله... (٣) ثم اجتمع علماء مكة، وعلماء نجد، وتفاهموا، واتفقوا على أنه لا خلاف بينهم في أمور الدين.

(١) الريحاني، المصدر السابق، ص ٣٢٧، الزركلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٩

(٢) الزركلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٣٥

(٣) الريحاني، المصدر السابق، ص ٣٧٣ وما بعدها، والزركلي، المصدر السابق

وكان لكلمة السلطان في جموع العلماء أثرها الطيب، فقد أثلجت قلوبهم، وأزالت الآثار السيئة التي كان يبشها خصوم الدعوة السلفية، وتأكد لهم ذلك بعد أن تناقشوا مع علماء نجد... وعرفوا أنها دعوة مفترى عليها، وأنها ظلمت كثيرا فتحولوا إلى مناصرين لها، ومؤيدين لحامل لوائها، السلطان عبدالعزيز. وكان لهذا تأثيره فيما بعد حين اجتمع العلماء، والأعيان مطالبين عبدالعزيز بأن يكون حاكما عليهم لا يرتضون بغيره بديلا... سيما وأن حسن معاملته لهم، وعفوه الشامل عن ناصروا الشريف، وعاونوه، بل وتوليتهم للكثيرين منهم، في وظائف، ومناصب، كل هذا جعلهم يتمسكون به حاكما عليهم... وبلغ القمة في نظرهم عندما دخل جدة في ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤هـ (٢٣ ديسمبر ١٩٢٥م)، ومنح العفو العام عن الجميع، بما فيهم الضباط، والجنود، والقبائل التي حاربت.

فملك بكرمه قلوب الناس، وسيوفهم أيضا.

وكان البلاغ العام (١) الذي أذاعه في ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤هـ خير عامل على تحقيق الأمن، والأمان، ومما جاء فيه:

تفهمون أنني بذلت جهدي، وماتحت يدي، في تخليص الحجاز، لراحة أهله، وأمن الوافدين إليه، إطاعة لأمر الله، قال جل من قائل: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) (٢)، لقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس، أن ساد السكون، والأمن في الحجاز من أقصاه إلى أقصاه بعد هذه المدة الطويلة التي ذاق الناس فيها مر الحياة، وأتعابها.

ولما من الله بما من من هذا الفتح السلمي الذي كنا ننتظره، ونتوخاه، أعلنت العفو العام، عن جميع الجرائم السياسية في البلاد، أما الجرائم الأخرى فقد أحلت أمرها إلى القضاء الشرعي.

(١) الزركلي، المصدر السابق، ص ٣٤٩

(٢) البقرة، ١٢٥

وانني أبشركم - بحول الله وقوته - أن بلد الله الحرام في إقبال وخير وأمن وراحة، وانني إن شاء الله تعالى، سأبذل جهدي فيما يؤمن البلاد المقدسة ويجلب الراحة والاطمئنان لها.

لقد مضى يوم القول، ووصلنا إلى يوم البدء في العمل، فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، واتباع مرضاته، والحث على طاعته... من حقوقكم علينا النصح لكم في الباطن والظاهر، وحفظ دمائكم، وأعراضكم، وأموالكم إلا بحق الشريعة.

وحقنا عليكم المناصحة، والمسلم مرآة أخيه، فمن رأى منكم منكراً في أمر دينه أو دنياه، فليناصحنا فيه، فإن كان في الدين فالمرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإن كان في أمر الدنيا، فالعدل مبذول إن شاء الله للجميع على السواء... (١)

وكان هذا بلاغا للناس يحمل كل موثيق الأمن والطمأنينة وينبئ عن الصدق والإخلاص في القول والعمل، وما فتئت الأقوال تترجم إلى أعمال لخدمة الإسلام والمسلمين وخدمة البقاع المقدسة.

وعقب صلاة الجمعة يوم ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤هـ (١٠ يناير ١٩٢٦م) اجتمع جمع غفير من العلماء والأعيان والمواطنين بباب الصفا بالمسجد الحرام وبأيعوا عبدالعزيز ملكا على الحجاز، وأصبح لقبه: ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها (٢) وفي ٢٥ رجب سنة ١٣٤٥هـ (١٩ يناير ١٩٢٧م) عقد مؤتمرا في الرياض، ونادوا بعبدالعزيز ملكا على المملكة النجدية وملحقاتها وأصبح لقبه الرسمي (ملك الحجاز ونجد وملحقاتها) وأبلغ ذلك إلى الدول العربية والأجنبية فاعترفت به وفي ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ (٢٢ سبتمبر ١٩٣٢م) تم توحيد أجزاء المملكة، وصارت مملكة واحدة باسم المملكة العربية السعودية وصار اللقب الرسمي لعبدالعزيز هو: ملك المملكة العربية السعودية (٣)

(١) الزركلي، المصدر السابق، ص ٣٤٩، ٣٥٠

(٢) أمين الريحاني، المصدر السابق ص ٤٢٧

(٣) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٩٤

وكان من أبرز معالم الانجاز خلال هذه المرحلة : هو الغاء كافة النظم والقوانين التي كانت سائدة في الحجاز، ولاتتفق مع الشريعة الإسلامية(١) وكذلك ألغي نظام المحاكمات العرفية العشائرية والقبلية، والتي كان يعمل بها لدى أكثرية سكان البادية وأهل محلها الأحكام الشرعية(٢) كخطوة أولى نحو التقارب ولتتلاءم مع الحكم الجديد، وشخصية الحاكم الذي آل إليه أمر السلطة.

وبدأ إعادة التشكيل للأجهزة الإدارية والمالية والتشريعية والتنفيذية في الحجاز يتجه نحو الالتزام بتطبيق الشريعة الإسلامية.

وصدرت التعليمات الأساسية للحجاز في ٢١ صفر سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) ونص في القسم الأول منها على وحدة المملكة، وشكلها، وعاصمتها، ولغتها، ونص في المادة (٦) من القسم الثاني على أن الأحكام تكون دوما متفقة مع كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه الصحابة، والسلف الصالح.

وكان قبل ذلك قد تم إنشاء مجلس أهلي في ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ يتكون من أهل الحل والعقد للنظر في إدارة ماتحتاجه البلاد ثم أعيد تشكيله عام ١٣٤٤هـ وتحديد صلاحيات له.

وفي عام ١٣٤٥هـ أنشيء أول مجلس شورى، وأدمج فيه المجلس الأهلي، وأعيد تشكيله عام ١٣٤٦هـ مع وضع صلاحيات له، وكان يتكرر تشكيل أعضائه كل عام تقريبا(٣)

(١) انظر في ذلك حسين محمد نصيف، ماضي الحجاز وحاضره، ص ١٧  
 (٢) من بين ماتم الغاؤه قانون (أبي نعي) وقد كان خاصا بالأشراف وفيه كثير من الأمور المخالفة للإسلام.

(٣) فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٨٧ - ١٠٢

من توحيد المملكة عام ١٣٥١ حتى عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣م)

وقد اكتمل في هذه المرحلة توطيد دعائم المملكة، وأصبحت قوة ذات شأن، لها أثر كبير في خدمة الدعوة... وكانت أمور الدولة، وشؤونها بحاجة إلى تنظيم، وإعادة ترتيب، وقد بدأت تلك التنظيمات عقب ضم الحجاز، على الوجه الذي أوضحناه في المرحلة الثانية، وعندما تهيأت المناطق، والأقاليم، للتوحيد، والاندماج، صدر الأمر الملكي رقم ٢٧١٦ في ١٧ جمادى الأولى ١٣٥١ هـ (٢١ سبتمبر ١٩٣٢م) بتوحيد أجزاء المملكة، ونص في المادة (٢) منه على أن يسري مفعول هذا التحويل ابتداء من تاريخ إعلانه.

كما نص في المادة (٨) على أن يوم ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١ هـ، الموافق اليوم الأول من شهر الميزان، هو يوم اختيار هذا التوحيد (١) وقد ترتب على هذا التعديل اتخاذ العديد من الإجراءات، وكان من بينها:

(أ) تعديل النظام الأساسي للبلاد، على ضوء الوحدة الجديدة، وإحداث تشكيلات إدارية جديدة، تكون أكثر انطباقاً على الحالة الراهنة، واتساقاً مع الأوضاع التي تحتاجه البلاد.

وكان أهم ما تضمنته التعليمات الأساسية، البنود الآتية:

— المملكة، مرتبطة بعضها ببعض، ارتباطاً لا يقبل التجزئة، ولا الانفصال بوجه من الوجوه.

— الدولة، دولة ملكية، شورية، إسلامية - مستقلة في داخليتها وخارجيتها.

(١) فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٩٤، والزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ج ٢، ص ٥٦٥، ٥٦٦.



— إدارة المملكة، بيد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وهو مفيد بأحكام الشرع.

— جميع أحكام المملكة، تكون منطبقة على كتاب الله، وسنة رسوله وما كان عليه الصحابة، والسلف الصالح (١)

(ب) اننا نلاحظ أن مجلس الشورى قد نشط في أعماله، وكثيرا ما كانت تضاف له صلاحيات جديدة، خلال كل دورة من دورات تشكيله، التي كانت تستغرق عاما أو عامين أو أكثر وكان له أحيانا سلطة رقابية على الجهاز الحكومي وعلى تطبيق بعض النظم، ومدى ملاءمتها للشرع (٢) وقد افتتح الملك عبدالعزيز دورته عام ١٣٥١هـ بخطاب جاء فيه: "٠٠٠ يوكل الى المجلس في دورته الحالية العناية بشأن الحج والحجاج - لأن السعي في خدمتهم، في هذه البلاد المقدسة من أسباب التقرب إلى الله" (٣) وظل المجلس يؤدي دوره بنشاط خلال فترة كانت البلاد بحاجة ماسة إلى جهوده، للإشراف على وضع نظم وتعليمات تتفق مع مبادئ الشريعة الإسلامية كي تلتزم بها الأجهزة والهيئات الحكومية التي بدأت في النمو والتزايد والاتساع حسب حاجة البلاد. إلى أن انشئ مجلس الوكلاء.

(ج) مع دخول البلاد طور الإستقرار، بدأ إنشاء أجهزة الدولة وتوزيع التبعات والمسئوليات، فمثلا قبل إنشاء وزارة الخارجية وإبان سلطنة نجد، كان السلطان عبدالعزيز هو الذي يشرف بنفسه على جميع الشؤون الخارجية، يرسل الحكومات، ويتلقى أجوبتها ومراسلاتها، وكثيرا ما كان يملي الخطاب بنفسه، ويشارك في عقد الاتفاقيات والمعاهدات، أو يرسم خطوطها العريضة، ويرجع إليه المفاوضون في كافة التفاصيل، وبعد توحيد المملكة والأخذ بمبدأ توزيع المسئوليات، عهد إلى النائب العام

(١) الزركلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٤

(٢) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ١٠٤

(٣) فؤاد حمزة المصدر السابق، ص ١٠٨، ١٠٩

في الحجاز الأمير فيصل بن عبدالعزيز مهمة الشؤون الخارجية، وعندما تحولت الى وزارة في غرة رجب سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) تولاهما بالاضافة الى مسئولياته الاخرى (١) وكانت المملكة قد توسعت في علاقاتها الخارجية، وأصبح لها العديد من المندوبيات والممثلات في الدول العربية والإسلامية، وايضا في الدول الأجنبية فكانت وزارة الخارجية تعطي صورة حقيقية وصحيحة عن نشاط المملكة في خدمة الإسلام، وخدمة الدعوة الإسلامية، خلال هذه الفترة . . . بالإضافة إلى مهمتها في دعم العلاقات السياسية بين المملكة وبين الدول التي ترتبط معها بعلاقات سياسية . . . وكانت تستهدي برأي الملك عبدالعزيز في كل أمر تبرمه . . .

ثم أنشئت في فترات لاحقة أجهزة عهد إليها عبء الدعوة في الخارج . أو بالأحرى، العبء الأكبر منها وتصحيح مسارها في الخارج كما كان من أقدم الوزارات التي أنشئت وزارة المالية، فقد أنشئت عام ١٣٥١هـ وصدر لها نظام تعمل بموجبه يحتوي على ١٠٣ مواد .

ومع أنه كان يوجد مكتب لشؤون الحج ولجنة الحج والمطوفين ومكتب الطرق للإشراف على تمهيد الطرق لراحة الحجاج وكلها كانت تتبع وزارة المالية في ذلك الوقت إلا أن الملك عبدالعزيز كان يذهب إلى الحجاز في موسم الحج كل عام ليشرّف بنفسه على راحة حجاج بيت الله، وضيوف الرحمن، ويستقبل رؤساء وفود البلاد الإسلامية ويسمع ملاحظاتهم ويلبي إحتياجاتهم . . . ويلقي كلمة يحثهم فيها على التمسك بمبادئ الإسلام وعقيدته السمحاء . . . ويوزع على الفقراء المنح والأعطيات . . . والهدايا لرؤساء الوفود، وكان هذا يثلج صدورهم، ويجلب المودة، والمحبة إلى قلوبهم . . . ويزيل ماعلق بذهن بعضهم، من أكاذيب وافتراءات وتشوهات، حول أنصار الدعوة السلفية التي

(١) فؤاد حمزة ، المصدر السابق ، ص ١١٤ ، ١١٨ ، والزركلي ، المصدر السابق ج ١ ،

بشها خصومهم، في سالف العصر، من خلال الدعاية المفرضة. عرف الناس من خلال احتكاكهم المباشر، في موسم الحج وغيره، الحقيقة بكل دقائقها، واطلعوا بعين المشاهدة على ماتقوم به المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين. وخدمة الدعوة الإسلامية. ودعم الأقليات المسلمة، والوقوف بجوار إخوانهم المسلمين في المحن والملمات.

ونظرا للتزايد المضطرد لأعداد الحجاج الوافدين إلى البقاع المقدسة لتأدية فريضة الحج. فقد بدأت تضيق الأماكن المقدسة عن استيعابهم عاما بعد عام، لذا أمر الملك عبدالعزيز بعمل الدراسات اللازمة لتوسعة الحرم المكي والمطاف، والمسعى وذلك عام ١٣٧١هـ. (١)

ولاريب أن ذلك كله جعل العالم الإسلامي، ينظر للمملكة نظرة تقدير وإعجاب وهو الأمر الذي خدم الدعوة كثيرا، وسهل مهمة الدعاة في الخارج.

وكان منهجه في إدارة شؤون البلاد مبنيا على تنفيذ تعليمات ومبادئ الشرع الحنيف، وكل الصفات الأخلاقية الإسلامية، ألزم نفسه بها، قبل أن يلزم بها غيره، ولهذا كان قدوة لأبناء وطنه، ولمن عول عليهم في إدارة شؤون البلاد، وموظفي الأجهزة الحكومية التي أتسعت أواخر عهده، وشملت كل جزء في البلاد.

ولذا كان صارما مع كل من يحاول العبث بمصالح البلاد، أو الخروج عن الطريق السوي، الذي رسمه لنا الإسلام.

ونود أن نستخلص مما سبق أن الملك عبدالعزيز قد هياه الله لحمل لواء الدعوة، وآزره بنصر من عنده، ومنحه قوة استغلها عبدالعزيز في خدمة الإسلام،

(١) انظر حسين عبدالله باسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة، ص : ٢٩٢ ، ٢٩٣ ط ١٤٠٢/٢هـ جدة.

وخدمة الدعوة، وعمل على تأسيس دولة تجمع بين الأخذ بأساليب العصر الحديثة، لخدمة الإسلام، وخدمة الدعوة. . . مشبهاً بذلك أن الإسلام صالح لكل زمان، ومكان، وأنه لا تناقض بين الإسلام، وبين العلم الحديث، وأن الإسلام شامل، وجامع لأمور الدين، والدنيا معاً، وأن فيه العلاج لمشكلات المجتمعات الحديثة، الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وغيرها.

#### وفاته برحمه الله .

بعد أن أكمل عبدالعزيز مهمته الجليلة، وأفنى حياته في الجهاد لإعلاء كلمة الله، ودعم الصرح الذي بناه، وأصبحت المملكة مهيأة للقيام برسالتها. كان مرض الشيخوخة قد دبّ في جسده، واعتراه الوهن، والضعف لكنه كان يتجاهله ويتحامل كعادته، ولا يود أن يستسلم للمرض، وكان قد حان موسم الحج عام ١٣٧٢هـ، فانتقل من الرياض بالطائرة إلى الطائف في ٢٨ من ذي القعدة ١٣٧٢هـ ليكون مع الحجيج في حجهم، ويشرف على راحتهم كعادته، لكن صحته لم تساعد. فظل في الطائف، وأتاب عنه ولي عهده، ثم أمضى زهاء ثلاثة أشهر بين الحوية، والطائف وقد اشتد عليه المرض؛ وفي الطائف وافته منيته ضحى الاثنين ٢ ربيع الأول ١٣٧٣هـ (١٩٥٣/١١/٩م) وصلى عليه، ثم نقل بالطائرة إلى الرياض، فدفن في مقبرة العود (١) برحمه الله.

(١) الغلامي، المصدر السابق، ص ٣٩٢، والزركلي، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٤٣٧

## الباب الأول

### جهود الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز والأسس التي قامت عليها

ويحتوي على مدخل وتمهيد وفصلين :

- المدخل : مفهوم الدعوة السلفية والحاجة إليها .
- التمهيد : الأحوال المحيطة بالدعوة .
- الفصل الأول : الجهود الرسمية العامة في الدعوة .
- الفصل الثاني : الجهود الشخصية للملك عبدالعزيز في الدعوة

مدخل عن :

مفهوم الدعوة السلفية ومدى الحاجة اليها .

أولا : تعريف الدعوة :

الدعوة لفة ،

جاء في لسان العرب : "قال الليث : دعا يدعو دعوة ودعاء" (١)  
وفي مقاييس ابن فارس : "دعوت أدعو دعاء ؛ والدعوة إلى الطعام بالفتح ،  
والدعوة في النسب بالكسرة" (٢)  
ومثله ماجاء في الصحاح للجوهري (٣)  
وجاء في المعجم الوسيط : "دعاه إلى الشيء : حثه على قصده ، يقال  
دعاه إلى القتال ودعاه إلى الصلاة ، ودعاه إلى الدين وإلى المذهب حثه على  
اعتقاده" (٤)

الدعوة في الاصطلاح ،

عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : "الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى  
الايمان به ، وبما جاءت به رسله ، بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما  
أمرؤا" (٥)

- (١) ابن منظور : لسان العرب ج١٤/٢٦١ - دار صادر بيروت .  
(٢) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ؛ ج٢/٢٧٩ ؛ ط٢  
- ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .  
(٣) الجوهري : الصحاح ، تحقيق احمد عبدالغفور عطار ؛ ج٦/٢٣٣٦ ، ط١  
١٣٧٦هـ / ١٩٥٣م .  
(٤) المعجم الوسيط ، ج١/٢٨٦ . ط قطر ١٤٠٦هـ .  
(٥) مجموع الفتاوي ج ١٥ ص ١٥٧ - ١٥٨

وعرفها بعض المتأخرين بقوله "إبلاغ الناس دعوة الإسلام في كل زمان  
ومكان بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين" (١)

ومن هذه التعريفات يتضح لنا شمولية الدعوة ، وأنها الأسلوب والوسيلة  
لإيصال الدين الحق إلى الناس .

ثانياً : مفهوم الدعوة السلفية :

يتضح مفهوم السلف في اللغة بما جاء في لسان العرب قوله "سلف  
يسلف سلفاً وسلوفاً : تقدم . . . وقيل سلف الانسان من تقدمه بالموت من  
آبائه وذوى قرابته ، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح" (٢)

السلف في الاصطلاح :

السلف هم الذين التزموا بالكتاب والسنة ومنهج الصحابة والتابعين لهم  
بأحسان في العقيدة والشريعة عامة . (٣)

ومنهج السلف في تقرير العقيدة :

١ - تحكيم الكتاب والسنة الصحيحة في كل قضية من قضايا العقيدة وعدم  
رد شيء منها أو تأويله .

(١) علي بن صالح المرشد - مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ، ص ٢١ ، مطبعة  
مكتبة لينه - دمنهور / مصر ط١-١٤٠٩هـ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ج ٩ ص ١٥٨ - ١٥٩

(٣) د/ أحمد سعد حمدان / مقدمة كتاب / شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة / ج١  
ص ٥٣ / الطبعة الأولى دار طيبة .

٢ - الأخذ بما ورد عن الصحابة في بيان القضايا الدينية عامة وفي قضايا العقيدة خاصة.

٣ - عدم الخوض في المسائل الاعتقادية مما لا مجال للعقل فيه.

٤ - الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم (١).

٥ - إخلاص العبودية لله ونبذ الشرك بمختلف صورته التي ظهرت عند الشيعة والصوفية والقبوريين عامة.

فالدعوة السلفية - في حقيقتها - إحياء لعقيدة السلف المشار إليها - وتجديد لما اندثر منها بعد ما طمست معالمها وشوهت حقيقتها وران عليها من البدع والخرافات والانحرافات الشيء الكثير.

وقد بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب حقيقة الدعوة السلفية في رسالته للشيخ عبدالرحمن السويدي أحد كبار علماء العراق فقال :

(إني والحمد لله متبع ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين لله به هو مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة) (٢)

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يهدف من دعوته إلى تحقيق ما يلي :-

(١) د. احمد سعد حمدان، مقدمة كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ص٥٣، ط١ دار طيبة.

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب - مؤلفات الشيخ - القسم الخامس (الرسائل الشخصية) ص٣٦ طبع جامعة الامام - ١٣٩٨ هـ الرياض.



١ - توجه العباد بعبادتهم لله وحده فلا يصرفون شيئا منها لغير الله مهما كانت منزلته تحقيقا لقول الله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء...) (١)

٢ - تنقية العقيدة مما شابها وعلق بها من البدع والخرافات وتصحيح مسارها من الانحرافات التي حادت بها عن حقيقتها وأصالتها، والعودة بالإسلام إلى ما كان عليه أيام الرسول صلى الله عليه وسلم والصدر الأول من صفاء ونقاء.

٣ - إقامة مجتمع إسلامي يؤمن بالإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ومنهج حياة في ظل دولة إسلامية تطبق أحكام الإسلام في جميع شئون الحياة... (٢)

وقد استطاعت هذه الدعوة إقامة المجتمع الإسلامي الذي يطبق أحكام الإسلام ويقيم شعائره الظاهرة كالمحافظة على صلاة الجماعة وإيتاء الزكاة وتحكيم شرع الله وإقامة الحدود الشرعية. كما أحيى نظام الحسبة مما هيا الأمن والاستقرار في البلاد.

ثالثا : مدى الحاجة الى الدعوة :

لا يستطيع الإنسان أن يستغنى عن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى لأنها تحمل معها تعاليم الخالق - عز وجل - بدقتها وحكمتها فهو يعلم سر من خلق وظاهره وباطنه، ويعلم مصلحة الفرد والجماعة في كل زمان ومكان.

وقد وضعت الدعوة الإلهية أسس الحياة على مفاهيم ثابتة وقواعد متينة لا تختلف من مكان إلى آخر ولا تتغير بمرور الزمن، ولا تفرق في تعاملها بين أجناس البشر.

(١) سورة البينة ، الآية (٥).

(٢) انظر : محمد سلمان، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص٣٤ ، المطبعة السلفية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ.

والدعوة الاسلامية تقرر أن الكون لمالكة يضع فيه من الشرائع والأحكام ما يراه نافعا لهذا الإنسان الذي جعله خليفة في الأرض وقد بعث الله للإنسان رسلا يرشدونه الى ما ينفعه ويبعدونه عما يضره كما قال سبحانه "رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل" (١)

وإذا أمكن لبعض العقلاء أن يصل الى معرفة الله والاعتقاد بوجوده والإيمان به اعتمادا على عقولهم فليس لهم غنى عن الرسل لأن الرسل هم الصلة بين الخالق والمخلوق من حيث تبليغ الدعوة. قال الله تعالى :

"شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين" (٢)

والناس أمام الدعوة قسمان :

الأول : قسم استجاب لدعوة رسول الهدى صلى الله عليه وسلم ودخل في الإسلام فهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم المستجيبه (أمة الأجابه).

الثاني : قسم لم يستجب لدعوة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يدخل في الإسلام فهم (أمة الدعوة) (٣).

وبناء على هذا فالدعوة قسمان :

١ - دعوة حفظ ، توجه للمسلمين (أمة الأجابه) للمحافظة على دينهم واستكمال النقص.

٢ - دعوة جذب ، وتوجه إلى غير المسلمين (أمة الدعوة) لإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام.

(١) سورة النساء ، الآية (١٦٥)

(٢) سورة الشورى ، الآية (١٣)

(٣) انظر التقسيم عند حسن علي جابر ، الطريق الى جماعة المسلمين ص ٤٦ ، الطبعة

الثانية سنة ١٤٠٨ هـ مطبعة دار الوفاء.

# تمهيد

الأحوال المحيطة بالدعوة

ويحتوي على بحثين :

المبحث الأول : الأحوال الإيجابية المحيطة بالدعوة .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأحوال الإيجابية العامة .

المطلب الثاني : الأحوال الإيجابية الخاصة .

المبحث الثاني : عوائق في طريق الدعوة وسبل التغلب عليها .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : عوائق داخلية .

المطلب الثاني : عوائق خارجية .

## المبحث الأول

### الأحوال الإيجابية المحيطة بالدعوة

#### المطلب الأول : الأحوال الإيجابية العامة :

ساعدت بعض الأحوال الإيجابية الدعوة على المضي في رسالتها إبان عهد الملك عبدالعزيز، ومن أهم هذه العوامل :

#### أولاً : السمعة الطيبة للدولة السعودية في عهدنا السابق :

لكل أمة ولكل دولة ولكل أسرة ولكل فرد فضائل وحسنات وزلات وكبوات، إلا أن ماتحلت به الدولة السعودية منذ نشأتها من تاريخ متميز عن غيرها، من شيم وقيم ونصرتها للدعوة بكل قوة مكّنت لها في قلوب الناس وأكسبها السمعة الطيبة... هذه السمعة لم تأت من فراغ ولكن شواهدنا التاريخية كثيرة. فمنذ أن قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب- رحمه الله- بإحياء الدعوة السلفية وبذل كل غال ونفيس لتجديد أمر الدين وإعادة الإسلام إلى صفائه ونقاؤه. ثار عليه الحاسدون من العلماء والعوام والقادة المنحرفين وعزموا على القضاء عليه وعلى الدعوة الإصلاحية في مهدها مما اضطر الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن يلجأ إلى الدرعية في عهد الأمير محمد بن سعود الذي رحب به واقتنع بدعوته ووعده بنصرتة وعقدت بينهما وثيقة الحركة الإصلاحية ونشر الدعوة السلفية.

ومن ثم قام الإمامان الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود رحمهما الله وأنصارهما بكل ما أوتوا من قوة العلم والإيمان بنشر هذه الدعوة ورفعوا راية الجهاد وسعوا إلى شرح أهداف الدعوة وغاياتها حتى تمكنت من شق حجب الضلال وتمزيق الباطل وظهرت واضحة المفهوم والهدف. (١)

(١) راجع ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ص ٤٢

وقامت دولة الدعوة للحفاظ عليها والحماية لها، وأقامت شرع الله في البلاد ونفذت الحدود والتعزيرات وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر واهتمت بالشعائر الإسلامية عامة والصلاة خاصة.

وهكذا كان الأمير محمد بن سعود - الذي اقتنع بالدعوة وبصحة مانادى به الشيخ محمد بن عبدالوهاب- خير عون للشيخ في تحقيق أهداف الدعوة، كما كان نسله من بعده خير حماة لها ولإنجازاتها الخيرة إيماناً من آل سعود بأن ما يدعوا إليه الشيخ ما هو إلا الإسلام الصحيح الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ووفاء منهم بالمعهد الذي تضمنه الاتفاق بين الإمامين.

وأصبحت الدرعية المركز الرئيسي للدعوة وبدأت تمارس نشاطها فبعث الإمام الرسائل التي تشرح الدعوة ويبعث العلماء من أجل بيانها.

ومن أجل ذلك عضت دولة آل سعود الأولى على هذه الدعوة بالنواجذ فازدهرت، وكان من آثار ذلك أن تبوأَت هذه الدولة مكانة طيبة في نفوس المسلمين المخلصين ومحبة لدى العلماء الموحدين.

الا أن أعداء الإسلام وأعداء الدعوة لم يعجبهم نهضتها فعملوا على القضاء عليها وعلى أصحابها حتى أبلى أهلها بلاء حسناً فجاهدوا في الله جهاداً عظيماً متوكلين على الله مبتغين إحدى الحسينيين فمنهم من قضى نحبه ومنهم من بقى يجاهد لتكون كلمة الله هي العليا.

فقد قتل من آل سعود في الجهاد الدعوى أكثر من ثلاثين رجلاً خلال حكم الأمير محمد بن سعود منهم إثنان من أبنائه.

وقد استطاعت الدولة العثمانية أن تحرك أتباعها وتنقض على الدولة السعودية الأولى، لكنها لم تنجح في أن تنال من تلك العزيمة أو هذه الجذور الملتهبة في سويداء قلوب الأسرة السعودية حيث تمكن الإمام تركي بن عبدالله ابن سعود من إعادة روح الجهاد لهذه الحركة الإصلاحية بتأسيسه الدولة السعودية الثانية.

لقد احتضن الإمام تركي بن عبدالله الدعوة وناصرها فعادت إليها قوتها ومكانتها وظلت الدعوة قوية منصوره... طوال حكم الدولة السعودية الثانية.

وقد واجه آل سعود في هذه الأثناء ظروفًا صعبة ومواقف مختلفة حتى قامت دولتهم مرة ثالثة على يد الملك عبدالعزيز- رحمه الله- الذي تمكن من توحيد المملكة وتقوية سلطتها وجعل فيها سلطان الشريعة الإسلامية هو الغالب وفوق كل اعتبار دستورا وعملا، وأخذ على عاتقه نصرة الدعوة وإقامة دولة إسلامية تحكم شرع الله فعادت للدعوة قوتها ومكانتها وقد سار أبناؤه من بعده على نهج أبيهم إلى اليوم.

ويواصل أبناء عبدالعزيز المسيرة على نهجه، ويأتي الملك فهد- أمد الله في عمره على الحق والخير- فيؤكد على هذا المعنى فيقول: (المملكة العربية السعودية هي واحدة من دول أمة الإسلام هي منهم ولهم، نشأت أساسا لحمل لواء الدعوة إلى الله، ثم شرفها الله بخدمة بيته وحرمة نبيه، وهي إذ تنفذ تلك الواجبات إنما تتمثل ما أمر الله به من الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة. وما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم. (١)

(١) كلمة الملك فهد في إفتتاح المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز الذي اقامته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مدينة الرياض، عام ١٤٠٦هـ.

ولقد صدقت أقوالهم فكانت الشريعة... ولا زالت هي المحكمة...، وكلمة الله هي العليا، والدعوة إلى الله رسالة كل واحد من حكام تلك الدولة... بأدوارها الثلاثة يعمل على تحقيقها ورفع رايبتها.

وإذا تتبعنا مواقفهم وأفعالهم وأقوالهم على مدار تاريخهم نأكد لنا أنهم لم يكونوا حكاما فقط بل كانوا رجال دعوة أيضا.

فالإمام محمد بن سعود يقول لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ياشيخ إن هذا دين الله ورسوله، ولا شك فيه فأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به. والجهاد لمن خالف التوحيد) (١)

ويقول ابن بشر عن الامام تركي بن عبدالله- مؤسس الدولة السعودية الثانية (كان أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، يرسل النصائح لأهل البلدان العام والخاص يحضهم على القيام بشرائع الإسلام) (٢) مما يؤكد أنه من الداعين إلى الله المجاهدين في سبيله.

ويسير ابنه فيصل بن تركي على نهج أبيه حتى انه لو جمعت نصائحهم ومراسلاتهم المتضمنة للدعوة إلى الله وشرعه. وتعاهدهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يفترون من ذلك لبلغت كتابا.

وتأتي الدولة السعودية الثالثة استمرارا في هذا الاتجاه وتأكيدا له فكان الملك عبدالعزيز مايفتا يؤكد سيره على خطي أسلافه في نصرة الدعوة والتمسك بشرع الله والحرص على تحكيمه بل ويؤكد دائما أنه داعيه إلى الله. فمن أقواله الماثورة (نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالص من كل بدعه. نحن دعاة إلى العروة الوثقى) (٣)

(١) ابن غنام / تاريخ نجد ص ٨١

(٢) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد ج١ / ١١٣-١١٨

(٣) محيي الدين القاسبي المصحف والسيف، ص ٦٢، طبعة دار الناصر، ط٢، الرياض، كانت هذه العبارة من ضمن خطاب القاه في مكة المكرمة في الحفل الذي اقامته أمانة العاصمة على شرفه في غرة ذي الحجة ١٣٤٨هـ (٣ أبريل ١٩٣٠م).

وهكذا ترى أن آل سعود ناصرُوا الدعوة بما جعلهم أهلاً لتولي أمور المسلمين حيث توافرت فيهم الأوصاف الشرعية الواجب توافرها في ولاية الأمر، واشتهرت عدالتهم بين الجميع مما جعل الناس يبايعونهم على السمع والطاعة وعلى كتاب الله وسنة رسوله دون أن يجدوا في نفوسهم حرجاً ولأنهم دائماً حريصون على توثيق عرى الصداقة بينهم وبين رعيبتهم.

ولقد قامت السياسة الشرعية التي انتهجها آل سعود على الأسس الآتية :

أولاً : عقيدة التوحيد التي تجعل الناس يخلصون العبادة لله وحده لا شريك له ويعيشون أعزة مكرمين.

ثانياً : شريعة الإسلام التي تحفظ الحقوق والدماء وتنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وتضبط التعامل بين أفراد المجتمع وتضمن الأمن العام.

ثالثاً : حمل الدعوة الإسلامية ونشرها حيث أن الدعوة إلى الله من أعظم وظائف الدولة الإسلامية وأهمها.

رابعاً : إيجاد بيئة عامة صحيحة صالحة مجردة من المنكرات والانحرافات تعين على الاستقامة والصلاح وهذه المهمة منوطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

خامساً : تحقيق الوحدة الإيمانية التي هي أساس الوحدة السياسية والاجتماعية والجغرافية.

سادساً : الأخذ بأسباب التقدم وتحقيق النهضة الشاملة التي تيسر حياة الناس ومعايشهم وتراعي مصالحهم في ضوء هدي الإسلام ومقاييسه.

سابعاً : تحقيق الشورى التي أمر الإسلام بها ومدح من يأخذ بها إذ جعلها من صفات المؤمنين.



ثامنا : الدفاع عن الدين، والمقدسات .. الوطن، والمواطنين، والدولة .. هذه هي الأصول الكبرى التي قامت عليها الدولة السعودية (١) ونتيجة لهذا أطاعتهم الرعية، وسار الأمر بين آل سعود، وشعوبهم على الالتزام بشريعة الله في النظام السياسي الإسلامي.

ويوضح الإمام محمد بن عبد الوهاب بعض جوانب الحكم في علاقة الراعي بالرعية فيقول :

"فإن كان الأمير ما يجعل بطانته أهل الدين، صارت بطانته أهل الشر، وأهل الدين عليهم جمع الناس على أميرهم، والتفاضي عن زلت، وهذا أمر لا بد منه من أهل الدين يتفاضون عن أميرهم، وكذلك الأمير يتفاضى عنهم، ويجعلهم مشورته، وأهل مجلسه، ولا يسمع فيهم كلام العدوان، وترى الكل من أهل الدين، والأمير ما يعبد الله أحد منهم إلا برفيقه فأنتم توكلوا على الله، واستعينوا بالله على الائتلاف، والمحبة، واجتماع الكلمة فإن العدو يفرح إذا رأى أن الكل نافر عن رفاقه، والسبب أن العدو يرجو عود الباطل" (٢)

وسئل أبناء الشيخ محمد، وحمد بن ناصر- رحمهم الله- هل نصب الإمام فرض على الناس أم لا ؟ فأجابوا: الذي عليه أهل السنة، والجماعة أن الإمام يجب نصبه على الناس، وذلك أن أمور الإسلام لا تتم إلا بذلك؛ كالجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، وإنصاف الضعيف من القوي، وغير ذلك من أمور الدين، ولهذا أوجب الله طاعة أولي الأمر فقال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" (٣)

(١) كلمة لخادم الحرمين الشريفين القاهما بمناسبة صدور النظام الأساسي للحكم في الدولة السعودية، انظر نص الخطاب في جريدة الجزيرة عدد ٧٠٩٥ في يوم الاثنين

١٤١٢/٨/٢٨ هـ

(٢) الدرر السنية ج ٧ ص ٢٣٩

(٣) النساء / الآية ٥٩

وقال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)(١).  
وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلاسمع ولاطاعة"(٢).

وفي حديث العرياض بن سارية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أوصيكم بتقوى الله تعالى والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي. وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة"(٣)

ولا يستقيم الدين إلا بإمام ولهذا قال علي رضي الله عنه (لا بد للناس من امارة برة كانت أو فاجرة قالوا: ياأمير المؤمنين هذه البرة قد عرفنا فما بال الفاجرة؟ قال: يقام بها الحدود ويؤمن بها السبل)(٤)

يقول صلاح الدين مختار :

"تمكن آل سعود من السيطرة على البلاد لما قاموا به من جليل الأعمال والإعمار والانشاء، وكانوا - ومازالوا - حماة الدين الحنيف من كل نحلة وبدعة كما كانوا ومازالوا أكثر الأسر التي حكمت الجزيرة منذ زوال الملكية من أيدي العرب تغانيا في إحقاق الحق وإزهاق الباطل وإعلاء كلمة الله في السر والجهر"(٥).

(١) آل عمران / الآية ١٠٣

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٨٦٤)، بلفظ: "على المرء المسلم الطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا...". قال الألباني صحيح الإسناد (٢٣١٣) - صحيح سنن ابن ماجه. مطبعة المكتب الإسلامي ط(٢) سنة ١٤٠٨هـ.

(٣) أخرجه أبو دواد في سننه كتاب السنه باب لزوم السنه وابن ماجه (٤٢) بلفظ "عليكم" بدل "أوصيكم" بتمامه قال الألباني حديث صحيح (٤٠) صحيح سنن ابن ماجه والأرواء (٢٤٥٥)، بالمشكاة (١٦٥).

(٤) الدرر السنه ، ج٧ ، ص ٢٤٠ والأثر أخرجه بمعناه ابن ابي شيبة في مصنفه . ٥٦/١٥

(٥) تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، ج١/٢٨ ، ط منشورات دار الحياة - بيروت .

ولقد صور الإمام الشوكاني صاحب نيل الأوطار هذه السمعة الطيبة لآل سعود، ودولتهم في قصيدة له، فقال :

وأضعافها للمقرنين كلهم	هداة وري من محتدى فرع وائل
هم الناس أهل الباس يعرف فضلهم	جميع بني الدنيا فما للمجادل
قد جاهدوا في الله حق جهاده	إلى أن أقاموا بالظلي كل مائل
لقد نصرنا دين الإله وحزبه	كما دافعوا داعي الهوى بالقتال (١)

ثانياً ، رغبة العلماء في قيام دولة تلتزم العقيدة وتنظف الشريعة وتقيم الجهاد ،

قال الإمام ابن الجوزي :

"تزيد مرتبة السلطان العادل على قوام الليل، وصوام النهار، لأن نفع أولئك لا يتعداهم، ونفعه يتعدى، إذ ينظره يتعبد المتعبدون، ويشغل بالعلم المتعلمون، فكانه عبدالله بعبادة الكل" (٢). وعلى الرغم من أن العلم فريضة شرعية، وضرورة بشرية إلا أن الحالة الأمنية التي كانت تسود البلاد قبل تولي الملك عبدالعزيز، كانت لا تشجع على العلم، ونشره، وكانت كثيراً ما تمنع الرحلة في طلبه، أضف إلى ذلك الخلافات المستمرة بين القبائل، وسبق أن أشرنا إليها فضلاً عن الأحوال الاجتماعية المتردية، التي جعلت معظم الناس ينشغلون بكسب عيشهم، ولا يصرفون همهم في العلم، ونشره. وقد رأى العلماء أنه لا منقذ، ولا خلاص من هذه الأحوال المتردية إلا بالرجوع إلى الإسلام، ولكن كيف يمكن للإسلام أن يتسلم زمام البشر؟ والجواب : عن طريق دولة إسلامية تلتزم منهجه، وتحكم شرائعه.

(١) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ١١١ - ط٤ ، القاهرة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .  
(٢) ابن الجوزي ، الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء ، ص ٤٣ تحقيق فؤاد عبدالمنعم أحمد ، مطبعة دار الحرمين ط (٢) ١٤٠٢هـ .

كل هذه الظروف زادت من رغبة العلماء في دولة إسلامية تتحمل تكاليف الدعوة إلى الله عزوجل ، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتعين العلماء، وتساعدهم على نشر الدعوة بالقوة، والسلطان وفي الأثر: "إن الله يزرع بالسلطان ما لا يزرع بالقرآن" (١) .

قال تعالى "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" (٢)، ومن الأمور المسلم بها شرعاً؛ أن الجماعة لا بد لها من أمير يطاع، وجنود يطيعونه . ولقد حض رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأمير رجل إذا كان ثلاثة في سفر (٣) فكيف إذا كان الأمر يتعلق بأمة تمتد أرضها فتشغل أغلب أنحاء الجزيرة العربية .

وإن كان الصحابة، والتابعون يسيحون في الأرض جهاداً لنشر كلمة الله، وهم يعيشون في دار إسلام تظلمهم، وتطبق شريعتهم، ويرون ذلك فرضاً فإن الجهاد في هذه الفترة أكبر، وأكثر ضرورة لفرضين :

الأول : نشر الأمن، والطمأنينة بين الناس .

الثاني : إقامة الدين في هذه المنطقة .

ومن ثم اتخذ العلماء في نجد كل الأسباب الشرعية المساهمة في إقامة الدولة الإسلامية، التي تأخذ على عاتقها إقامة حكم الله، ثم تنطلق في الأرض

(١) هذا الأثر أخرجه رزين من رواية يحيى بن سعيد عن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - بلفظ: "ما يزرع الناس السلطان أكثر مما يزرعهم القرآن" وإسناده منقطع لأن يحيى بن سعيد لم يسمع من عثمان - رضى الله عنه - وهو مشهور من كلام عثمان - رضى الله عنه -

جامع الأصول في أحاديث الرسول - تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ، ج٤/٨٣ ، ٨٤

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٤

(٣) ونص الحديث أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد) باب القوم يسافرون يؤمرون أحدهم . قال الألباني : حسن صحيح (٢٢٧٢) - صحيح سنن أبي داود .

فتظهرها من عبث الشياطين حتى لا تكون فتنة في الأرض ويكون الدين كله لله، وأهم هذه الأسباب البيعة لمن يرونها أهلاً للإمامة وإقامة الحدود وإنصاف الضعيف من القوي وغير ذلك من أمور الدين والوقوف في وجه من يرون في إمامته ضرراً بالدين، ولم يجتمع عليه أهل نجد حاضرها وبأديها بل وقتاله إن كان من أهل البغي، وسوف أعرض بعض النماذج التي توضح موقف علماء نجد من بيعة بعض الأئمة من آل سعود طمعاً في إقامة الدولة الإسلامية التي تنفذ الأحكام الشرعية وتقيم علم الجهاد.

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في رسالة له إلى إخوانه العلماء: "تفهمون أن الجماعة فرض على الإسلام وعلى من دان بالإسلام كما قال تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (١) ولا تحصل الجماعة إلا بالسمع والطاعة لمن ولاء الله أمر المسلمين... وتفهمون أن الله سبحانه وتعالى جمعكم على إمامكم عبدالله بن فيصل بعد وفاة والده فيصل رحمه الله، فالذي بايع بايع وهم الأكثرون والذين لم يبايعوا بايع لهم كبارهم واجتمع عليه أهل نجد بأديهم وحاضرهم وسمعوا وأطاعوا ولا اختلف عليه أحد منهم" (٢)

ومن رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى محمد بن علي يقول فيها: "ومن المقرر في عقائد أهل السنة أن الجهاد ماض مع كل إمام بر أو فاجر. وأبوك وغيره يعلمون أن المسلمين بايعوا عبدالله. وسعود من جملة من بايع وأن البيعة صدرت عن مشورة من المسلمين على يد شيخهم وإمامهم في الدين والدنيا قدس الله روحه ونور ضريحه. وأنت وأبوك تعرفون حال عبدالله معنا فيما سلف والمؤمن يعامل ربه ولا يتشقى بما يفسد دينه نسأل الله لنا ولكم الثبات على دينه" (٣).

(١) آل عمران : الآية ١٠٣

(٢) عبدالرحمن بن قاسم ، الدرر السنية ج ٧ / ص ٢٤٤

(٣) المصدر السابق ج ٧ / ٢٤٤

ومن رسالة أخرى له يقول :  
وقد عرفتم أن أمر المسلمين لا يصلح إلا بإمام وأنه لا إسلام إلا بذلك  
ولا تتم المقاصد الدينية ولا تحصل الأركان الإسلامية وتظهر الأحكام القرآنية إلا  
مع الجماعة والإمامة، والفرقة عذاب وذهب في الدين والدنيا وقد أجمع  
المسلمون على جهاد عدوهم مع الإمام (١).

ومن رسالة إلى بني تميم يقول فيها : وما ذكرتم من جهة حالكم مع  
عبدالله وصدقكم معه صار معلوما، وقد بذلنا الاستطاعة في نصرته حتى نزل  
بالناس ما لا قبل لهم به وخشينا على الناس وسعينا بالصلح بإذن من عبدالله  
وألجأتنا الضرورة ودافعنا عن الاسلام والمسلمين ما لا قبل لهم به.

الى أن قال : والعاقل يدور مع الحق أينما دار. (٢)

وكتب الشيخ حمد بن عتيق الى الإمام سعود كتابا نذكر منه ما يلي : -  
أما قولك إن أهل نجد بايعوا عبدالله ذلا وقهرا فهذا قول معلوم عدم  
صحته، فإن أهل نجد بايعوا عبدالله ودخلوا في طاعته طوعا واختيارا وثبتت  
الولاية باتفاق الرعية. (٣)

ومن رسالة للشيخ عبدالله بن عبداللطيف لإخوانه العلماء : (فتجرد الحبر  
الجليل للدعوة إلى الله - أي الشيخ محمد بن عبدالوهاب - وآزره على ذلك  
من سبقت له من الله سابقة السعادة من أسلاف آل مقرن الماضين وآبائهم  
المتقدمين رحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم عن الإسلام خيرا فمأزالوا على ذلك  
على آثار حميدة ونعم عديدة يصنع لهم تعالى من عظيم صنعه وخفى لطفه

(١) عبدالرحمن بن قاسم ، الدرر السنية ، ج ٧ / ٢٤٦

(٢) المرجع السابق ، ج ٧ / ص ٢٤٧ ، ٢٤٨

(٣) المرجع السابق ، ج ٧ / ص ٢٦١

ماهداهم به الى دينه الذي ارتضاه لنفسه، واختصر به من شاء كرامته، وسعادته من خلقه، وأظهر لهم من الدولة، والصولة ماظهروا به على كافة العرب، وغدت لهم الرياسة، والإمامة لاتزاحمهم فيها العرب العربي، ولا يتناول إليها بنو ماء السماء. وصالحهم يرجو فوق ذلك مظهرًا، وجاهلهم يرتع في ثياب مجد لايعرف من حاكها. (١)

### ثالثًا ، نطلع المجتمع الى قيام دولة تقيم الأمن والعدل ،

إذا كان العلماء - قبل توحيد الملك عبدالعزيز المملكة العربية السعودية - يتطلعون إلى دولة موحدة، تلتزم أحكام الشريعة، فإن المجتمع كان أكثر تشوقًا إلى قيام هذه الدولة، فقد غفا المجتمع غفوة فقد على أثرها جوهر الدعوة في حياة الناس. فضاع منهم السلطان. وزالت المهابة، واحتلت الأرض. وسلبت الثروات. واندثرت الفضيلة، فالأمن مفقود، والفوضى عامة، والبدع متفشية، والخرافات منتشرة.

فقد كانت أغلب مناطق الجزيرة العربية في ذلك العهد في فرقة مستحكمة في الأفزاد، والجماعات، ومن تقاتل لاسبب له غير الرغبة فيما في أيدي الناس من مال، وجاء.

تلك الخلافات القائمة بين القبائل، والتي توجهت إليها الطاقات، والجهود، والأوقات، والحماسات، ووجدها الشيطان فرصة له، ومدخلا ليباعد بين القلوب، ويحول دون التعاون على طريق الدعوة.

ولقد كان لهذا التفرق - على مستوى الأفراد، والقبائل - ضرره على المنطقة، فقد جلب للأهالي الويلات، والمحن، والتنازع، والتقاتل بين الإمارات الصغيرة، والقبائل المختلفة، فالأمن مفقود. إذ ليس هناك رئيس قاهر يردع الظالم، وينصر المظلوم فكان البدو يتحاكمون إلى العرف لا إلى الشرع.

وكان أهل الحضر دائما يحارب بعضهم بعضا. وقد تعذر السبيل إلى القضاء على هذه الفوضى، والخلافات إلا بالسلطان القوي العادل ليؤلف هذه القلوب، وينشر الدين بين ربوع هذه القبائل... فكانت النفوس تتطلع إليه.

وكانت الجهالة متفشية، والعقائد مضحكة مبكية، وترك الناس كثيرا من شعائر الدين الأولية، بل جهلوا بها، وافتتنوا بالكهان، والمشعوذين، وغلوا في القبور، وأصحابها.

وقد يظن ظان أن سوء حال المجتمع، وهبوط مستواه، والبعد عن الإسلام وتعاليمه، يدفع إلى اليأس من الإصلاح، والانصراف عن واجب الدعوة إلى الله فهذا مسلك خاطئ، وتصرف سلبى، بل يجب أن يصبر المصلحون، والدعاة حتى لا تستشري الفتنة، ويعم خطرهما.

وقد هيا الله سبحانه وتعالى الأسباب لايقاظ هذه البلاد من غفوتها، ولتنقوم نهضة إسلامية جديدة قوية، فقام الملك عبدالعزيز متبعا النهج الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحث عليه الإسلام.

كما أن الطموح الذي تميز به الملك عبدالعزيز، دفع القوة الوطنية في نجد إلى شدة الإصرار على إعادة بناء الدولة السعودية في حدود الأطر السياسية، والدينية، والاجتماعية التي سارت عليها الدولة السعودية في دورها الأول.



فكان هذا الإصرار - مضافا إليه مجموعة مقومات بناء الدولة - بمثابة قوة الدفع اللازمة لتكوين البناء السياسي الجديد (١).

ومما يؤيد ذلك شهادة أحد المعاشين للمجتمع في تلك الفترة، وهو الشيخ محمد مغيربي، فقد صور هذا قائلا:

"أما العامل الأقوى في نجاح هذه الدعوة بتلك المدة القصيرة فسيبه يرجع على الأكثر؛ إلى ما كانت عليه القبائل من الفوضى بتفشي الجهل، وتأثير المطامع فأدى ذلك إلى تجاوز كل منهم على حقوق الآخرين، وانعدام الأمن على الأرواح، والأموال، وبما أن حالة كهذه غير طبيعية في الأقاليم، والشعوب أصبح كل فرد فيهم يتطلب الطمأنينة، ويلتمس سبيل السلام، فجاءت هذه الدعوة مطابقة لعقليتهم، واستعدادهم الفكري، ورغبتهم المفقودة (٢).

(١) عبدالفتاح أبوعلية؛ مصادر تاريخ البلاد السعودية ص ٢ ، طبعة دار المربع ط (١) سنة

١٣٩٩هـ

(٢) محمد مغيربي فتوح المدني، وهابية اليوم، ص ٢١ - ط تركيا ١٣٤٢هـ

## المطلب الثاني الأحوال الإيجابية الخاصة

هناك عوامل خاصة - الى جانب الأحوال العامة - ساعدت على نشر العقيدة الصحيحة وانتصار دولة الدعوة السلفية على يد الملك عبدالعزيز رحمه الله ومن أهم هذه العوامل :

### أولاً ، هنية الملك عبدالعزيز ومقدرته الفكرية والإدارية ،

تشكل شخصية الملك عبدالعزيز تاريخاً سياسياً وإدارياً كاملاً لا للدولة السعودية التي بناها بساعده وأقامها بحد حسامه بل للعالم الإسلامي كله ، فهو من بناء نهضته وقواد سفينته ومخططي تقدمه .

فقد تتابعت الأحداث الكبرى على الشرق العربي ، والتي غيرت وبدلت في أوضاعه الخاصة والعامة فأفاد منها وأحسن استفلالها وخرج منها بحصة الأسد . والملك عبدالعزيز وفقه الله لأنه أراد إعلاء كلمة الله وحفظ دينه وإظهاره ، فوفقه الله لمصلحة المسلمين في الوقت المناسب والمكان المناسب والحال المناسب . وهذا ليس غريباً على قائد منحه الله صفات الزعامة ومختلف معاني القيادة . ولعل من أبرز هذه المعاني الدهاء والحنكة التي تولدت لديه من التجارب العديدة والملمات المريرة ؛ فقد جاء ابن سعود في ظروف كثر فيها العدا والتناحر بين مختلف القبائل وكانت القوى السياسية المختلفة تتصارع من أجل الاستيلاء على العالم العربي والإسلامي فاستطاع موحد الجزيرة أن يؤلف بين القلوب داخليا وأن يوظف الخلافات الدولية لخدمة الدعوة الإسلامية .

هذه الحنكة لا تظهر في أساليبه الحربية فحسب ، بل هي أشبه بالإلهام الذي لاغنى عنه للقائد ؛ وهو دهاء القوى المؤمن .

يقول أحمد عطار :

ونصيب ابن سعود من كل هذا نصيب موفور رجحت كفته بالآخرين المعاصرين له ممن يعيشون ويحكمون حكمه وتضمهم بيئته وبلاد كبيئته وبلادهم، فلم يجتمع لأحد من حكام العرب وقوادهم ما اجتمع لابن سعود من الصفات الفاضلة والحكمة والدراية والأخلاق التي جعلته أهلاً للقيادة الحكيمة المظفرة، فهو بحق القائد العربي الأول الذي دان له كل جبار عنيد رغبة ورهبة، كما دان له كل مسالم رفيق وأعجب به العدو والصديق وقدره القريب والبعيد، وليس الإعجاب به مقصوراً على أتباعه وأهل لغته ودينه بل يتجاوزهم إلى بني الإنسان من كل لغة ودين وجنس (١)

فقد زود عبدالعزيز بالتجارب التي اختزنها أثناء قيادته البلاد ونضج رأيه وزادت حنكته وأصبح الرأي الحكيم المتزن سمة قراراته، وسخر القوة في خدمة الفكر السليم وسخر الشجاعة والإقدام في خدمة الحكمة والصبر فالقوة لاتندفع إلى الحرب والعدوان وإنما سارت تسعى في نشر الدعوة والأمن وجمع شمل المسلمين وتشبيد صرح الحرية وحماية الحدود من البغاة.

وليست أساليب القتال التي حذقها ابن سعود آتية عن طريق التلقين من أبيه أو تجاربه فحسب، بل إن لديه ملكات خاصة تؤمّله للنصر في أغلب الأحيان، فقد غزا الرياض في المرة الثانية واحتلها وصمم على البقاء بها غير أنه فكر في قوة خصمه ابن رشيد، فأعلن أنه اختصم مع أبيه عبدالرحمن وغادر الرياض متظاهراً بالنقمة والسخط فوصل النبا إلى ابن رشيد فأسرع بجيشه يريد الرياض مستغلاً هذه الخصومة فبدأ بالأب ليتفرغ بعد ذلك لعبدالعزيز ونزل "بنبان" ليرتب أموره، ثم فاجأ الملك عبدالعزيز في الخرج وضربه ضربة أبعدته عن الرياض بل عن نجد إلى الأبد (٢) ولم يكن ابن سعود عازماً على

(١) صقر الجزيرة ج ٧ / ص ١٣٧٣

(٢) المرجع السابق ج ٧ / ص ١٣٨٢

هذه الخطة لكنه ألهمها. ودرسها. وشرع ينفذها حين أيقن نجاحها.

ومن يجالس مبارك الصباح، وعبدالرحمن بن فيصل بن سعود، وأعظم المفكرين من رجال القبائل، ويظهر عليهم بعقله هو عبقرى موهوب (١). لقد جالس ابن سعود أعظم دهاة الإنجليز، وجبايرة السياسة فانتزع إعجابهم، وأخذ منهم الحق كاملاً.

وأعظم من ذلك الخطة التي اتبعها بعد غزو الحجاز، فأخرج الحسين وآله في مهارة فائقة، ولباقة سياسية جهلها من درسوا القانون، والفقه، والسياسة فقد أخرج الحسين وآله بحرب دون أن تشغب عليه الدول التي لها رعايا كثيرون في الحجاز (٢).

ومن حنكته السياسية أنه استطاع أن يمضي إلى مقاصده السياسية مشياً متزناً، فوسعه أن يسالم جيرانه، ويفرض على الدول الأوربية الكبيرة احترامه وتقديره، وما زال كذلك حتى نشبت الحرب العالمية فأعلن موقفه الحيادي، فسلم، وسلمت بلاده.

واستطاع الملك عبدالعزيز أن يقوي العلاقات بينه وبين الدول، وحرص على تنمية أواصر المودة، والأخاء بينه وبين من تجمعه بهم العهود السابقة، واستطاع أن يحل المسالمة، والصفاء مع خصومه آل الحسين، وغيرهم محل التباغض، والجفاء، كما أنه سعى في إطفاء الفتن بالحكمة، والروية، والأناة بشكل واضح حتى أنه ربح كل معاركه، وقضاياه ولم يخسر واحدة منها (٣).

(١) صقر الجزيرة ج ٧ / ص ١٣٨٥

(٢) المرجع السابق ج ٧ / ص ١٣٨٨

(٣) المرجع السابق ج ٧ / ص ١٣٩٠

ومن الأدلة على نفاذ بصيرته، أنه سئل كيف تركت آل رشيد، ومكنتهم من السلاح يحاربون بجانبك في تلك الفترة التي كانوا فيها واحدا من جملة الأخطار التي تحدد بك؟ فأجاب: "لم أتركهم يحاربون بجانب إخواني، وأبنائي، وعشيرتي إلا بعد أن وثقت بأن إخلاصهم لي يشابه إخلاصكم، ولا يختلف عن إخلاص أي واحد من إخواني، وأبنائي".

لقد أصبحت قلوب آل رشيد طوع بنائي، فلتذهب أجسامهم إلى حيث تريد" (١)

وهذا من حنكة الملك عبدالعزيز، فإن انتصاراته كانت تغسل جميع رواسب العداوة، ومخلفات الضغائن من قلوب خصومه.

أما عن المقدرة الإدارية لعبد العزيز، فيشهد لها ما وصلت إليه المملكة من تطور، ونمو سريع في المجالات الثقافية، والصناعية، والزراعية، والإقتصادية، وسائر مجالات الحياة فإن كل مظهر من مظاهر الرقي، والتطور فالواضح لحجرها الأساسي إنما هو عبدالعزيز.

هذا مع الأخذ في الحسبان أن إدارة المملكة؛ وهي ذات المساحة الواسعة المترامية الأطراف، وحديثة العهد بالوحدة - حيث بقايا رواسب الإمارات، والدويلات السابقة - كل هذا مع عدم توافر أساليب الإدارة الحديثة جعل من مهمة إدارة البلاد مهمة صعبة.

(١) كمال الكيلاني - صور من حياة عبدالعزيز / من رواية الأمير طلال بن عبدالعزيز ، ص ٩٧ - ط ١ ، الرياض ١٤٠٢ هـ

ولكن الملك عبدالعزيز وهب من المقدرة الفكرية ما أهله لضبط حركة الحياة فيها مستمداً فكره الإداري والسياسي من أصول العقيدة ومبادئ الشريعة.

فعلى الرغم من أن العلوم الإدارية علوم حديثة لم تكن منتشرة في عهد الملك عبدالعزيز إلا أن حنكته وعزمه الأكيد على بناء دولة إسلامية متحضرة جعله يسير في الطريق السليم بالتخطيط - وهو واحد من أهم عناصر الإدارة الحديثة - عرفه ابن سعود حينما كان ينادي "الأناة - الأناة - الرأي - الرأي" فتراه يحقق أهدافه بالتخطيط وإمعان الفكر ثم التنفيذ بالأناة واحدة بعد الأخرى.

فبدأ بفتح الرياض ثم تلاه فتح الأقاليم المجاورة لها. ثم جهز جيشه وسلاحه بالإيمان ثم فتح باقي الإمارات والأقاليم موحداً معظم شبه الجزيرة العربية في مملكة واحدة.

بعد ذلك أدخل التطور والمدنية إلى مملكته شيئاً فشيئاً، فكانت الإدارات الحكومية في عهده تتطور تدريجياً من إدارة إلى وكالة ثم إلى وزارة كلما اتسعت الأمور وتطورت.

والتنظيم عنصر آخر من عناصر الإدارة لا يقل أهمية عن التخطيط. فقد حرص الملك عبدالعزيز على تنظيم دولته. فالملك هو مرجع السلطات وهو الذي شكل الديوان الملكي ونظم مجلس الشورى. ونظم الجيش وسلحه بأحدث الأسلحة وجعله في ثلاث فرق: المدفعية والمشاة والفرسان، ولم يغفل الملك عبدالعزيز عن تنظيم علاقات المملكة مع إخوانها العرب والمسلمين والبلاد الأجنبية بما يحفظ لها استقلالها استمداً من التعاليم الإسلامية. (١)

(١) على البرمائي، قلعة الإسلام ومؤسساها العظيم، ص ٦٩-٧١ بتصرف  
دار الزهراء، الرياض ١٤٠٢ هـ.

وطبق الملك عبدالعزيز سياسة الباب المفتوح بمعناه الصحيح، حتى تشعر وكأنك في عهد الخلفاء الراشدين؛ فقد كتب منشورا، وعلقه بالحرم النبوي الشريف جاء فيه: من عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود، إلى شعب الجزيرة العربية، على كل فرد من رعيتنا يحس أن ظلما وقع عليه، أن يتقدم إلينا بالشكوى، وعلى كل من يتقدم بالشكوى، أن يبعث بها بطريق البرق، أو البريد المجاني على نفقتنا، وعلى كل موظف بالبريد، أن يتقبل الشكاوى من رعيتنا ولو كانت موجهة ضد أولادي، أو أحفادي، أو أهل بيتي. لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم، ولا أريد أن يحملني الله وزر أحد، أو عدم نجدة مظلوم، أو استخلاص حق مهضوم، ألا قد بلغت اللهم فاشهد (١)

ولقد أجاد أحمد فتحي حينما تحدث عن منهج ابن سعود، وفكره الذي بنى عليه دولته فقال:

بين النجوم الزهر ليس ترام	زعموك بالسيف ابتليت مكانة
بدم العدو بصفحتيه غرام	هيك اتخذت من المهند صاحباً
تصحو على ترتيله وتنغام	لا والذي بيديك طهر كتاب
تتناهل الإنكار والأفهام	ماشاد مجسك غير فكر دونه
فيها من الظلم المكين مقام	بالحق عالجت النفوس وإن يكن
من بعدما عثت به الأوهام (٢)	ورددت للدين الحنيف جلال

(١) محيي الدين القاسبي - المصحف والسيف - ص ٢٩٣  
 (٢) عبدالقدوس الأنصاري - الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر، ص ٢٤-٢٦، ط مؤسسة مكة للطباعة والأعلان سنة ١٣٩٤هـ.

لانيا : معرفته بأحوال سكان الجزيرة العربية :

ولد عبدالعزيز في نجد، ونشأ على ترابها، ولم يخرج من بلاد العرب، ولم يعرف فوق وطنه غير البحرين، والكويت، والبصرة، ومصر، وعرف عبدالعزيز الاعترافات السائدة، والمفاهيم المتعارف عليها بين أهل جزيرة العرب.

ومما لاشك فيه أن المناخ الجغرافي الذي يسود هذه المنطقة، بماله من إيجابيات، وسلبيات يؤثر بشكل مباشر على حياة الناس في الجزيرة، ويميزها بطابع مميز له من الإيجابيات ما يفوق سلبيات، كالصبر، وشدة التحمل، والكرم، والشجاعة، والوفاء، والمروءة، والإيثار على النفس، والبساطة في كل شيء، والتعاون، إلى جانب سلبيات المتمثلة في الحاجة، والشح في الرزق التي تضطر بعض ضعاف النفوس - أحيانا - إلى السلب، والنهب، وحيث كانت القبيلة تمثل البنية الأساسية لهذا المجتمع، كانت هذه القبائل لها عادات، وتقاليد، وأعراف.

وكانت السلطات المشرفة على القبائل تطبق التشريعات الإسلامية، وأحيانا تستعين بالصالح من هذه الأعراف، مما لا يتعارض مع مبادئ الإسلام.

وكانت معظم هذه العادات لها جذور موروثية، كما كان لها مسبباتها التي ارتكزت عليها جذورها البعيدة، وأيضا لها نتائجها، وربما كانت لها آثار سلبية مؤثرة.

(وكان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - عالما بكل قبائل مملكته، وبطونها، وأنحازها، وتواريخها، وعاداتها) (١)

(١) المانع، توحيد المملكة ص ٣٣٠



كما كانت لديه دراية بالطرق، والشعاب الممتدة داخل المملكة. وأهمية كل طريق نظرا لظروف توحيد المملكة التي جعلته كثير الحل، والترحال، فضلا عن وجود النية الصادقة لتوحيد المملكة، ونشر الدعوة، والتي تطلب خبرة بالطرق، والمسالك التي سيسلكها في فتوحاته.

وكان رحمه الله كثير الاهتمام باستقصاء أخبار القبائل، والأحداث المهمة التي تقع فيها.

وابن سعود يفهم نفسية البدوي فهما عميقا. فقد اخترقت نظرتة الحادة البذرة التي كونتها العصور في داخل النفس البدوية. ونفذت منها إلى ما هو أعمق، أي إلى غرائزها البشرية، فكان أدري كيف يعالج أمورهم بأسلوب يتداخل فيه الحزم مع الرفق مستعينا - بالله - ثم بما خبره من طبائعهم. وما فطرت عليه جبلتهم وهو ابن البادية الأصيل. (١)

ولم يقتصر الأمر عند المعرفة الشخصية لهذه البلاد، وطبائع أهلها، بل إنه كان يتابع أحوال القبائل، وتطور النزاع بين أهلها.

يقول الزركلي :

كان عبدالعزيز يتتبع باهتمام أخبار ما كانت عليه بادية العرب في عهد تفككها، واضطرابها... وتخبطها في أكثر تلك الأزمان على غير هدى، وتجاهلها التاريخ، أو جهلها فلم نعرف عنها غير أثر ضئيل مما كتبه المعنيون بأخبار الجزيرة، والرحالون المغامرون في بعض مجاهلها.

أما الملك عبدالعزيز - نفسه - فيقول عن بادية العرب، وهو من أعلم الناس بطبيعتها :

(١) عمر أبو زلام ، عبدالعزيز آل سعود - العبقريّة في التحرير والتوحيد والتحضير ص ٤٣

”مثل هذه البادية في حياتها، كمثل أرضها تظل قاحلة إلى أن يسقيها الغيث، فإذا سقيت اخضرت وازهرت.“

كذلك هي في رجالها تستمر عصورا وهي مستغرقة في جهالتها، وبرز فيها رجل يحسن تنظيمها، وتوجيهها فتقلب، والحياة ملء كل ناحية من نواحيها. (١)

والمأمل في كلمة الملك عبدالعزيز يلاحظ - خاصة الفقرة الأخيرة - النية الصادقة، والعزيمة الصلبة، والرغبة في تطوير حياة الناس، والمساهمة في إخراجهم من ظلمات الجهل بنشر تعاليم الشريعة، وفضائلها.

ولا يكفي لمن يسوس بلدا من البلاد أن يقتصر على المعرفة الدقيقة لطبائع أهلها، وشئون حياتهم، بل لابد وأن يتعداه إلى معرفة ما يدور في العالم من حوله؛ لذلك فإن عبدالعزيز كان يولي عناية كبيرة لمعرفة أخبار العالم الخارجي.

وجاء في كتاب الملك الراشد :

(يجب علينا أن نسجل عناية ابن سعود بتسقط أخبار البلاد المجاورة له . فلديه مصلحة استخبارات منظمة، تنقل إليه جميع ما يحدث بالضبط، والتفصيل، ويوافيه عماله بأخبار الحوادث الهامة) (٢). وعلى أثر هذه المعرفة الواسعة بأحوال الجزيرة العربية، وأحوال العالم الخارجي، انطلق الملك عبدالعزيز - بعد فتح الرياض - يسترد المدن، والأقاليم المجاورة له واحدا بعد الآخر، ليضع دعائم الاستقرار التي تمكن من تطبيق أحكام الشريعة ببسر، إكمالا للمسيرة التي أحيهاها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لرفع كلمة التوحيد عالية فوق كل اعتبار، كما أنه استطاع أن يجمع القبائل المختلفة، وأن يوحد بينها برباط الدين، والتوحيد، والكتاب.

(١) الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز ، ص ٢٩

(٢) عبد المنعم الغلامي؛ الملك الراشد ص ٣٣٠ - ط٢، الرياض ١٤٠٠هـ.

لناشا : مقدراته على كسب طاعة امراء القبائل والبلدان :

كان الملك عبدالعزيز مخلصا لشعبه إلى درجة كبيرة، وكان دائم الصلة بهم بمختلف الطرق، والأساليب . فبابه مفتوح لاستقبال من يريد من رعاياه في كثير من أوقات النهار، والليل، والإجتماعات اليومية يستقبل فيها الأفراد، والجماعات، والهيئات، فيسمع منهم، ويصغي إلى سرائر نفوسهم، ويفضي إليهم بالأحاديث العميقة المخلصة موجهها، وناصحا النصيح الخالص الذي يرمي إلى تعميق الروح الإسلامية فيهم جميعا .

والفطنة منحة من الله تصل ما بين النفوس، وتجتذب الأفتدة، وتكسب الاحترام، وترى الكبار صغارا في حضرته . وقد وهب الله عبدالعزيز من اللين في القول، وصدق السريرة، مامكته من أن يظفر بقلوب الأمراء، وأن يفوز بمكانة مرموقة بين شيوخ القبائل مشمولة بالاحترام، والتقدير لما رأوه عن قرب من الخصال الطيبة .

فقد كان أمراء القبائل يشقون به، وكان لهذه الثقة ما يبررها، فإكرام الأمراء، والنصح لهم مع ما يملكه من القوة العسكرية، فضلا عن أنه كان غالبا ما يدفع بالتي هي أحسن، فيتحول عدوه إلى صديق حميم، بسبب خلقه الكريم، وإحسانه العميم . ولقد كانت ظروف تأسيس المملكة مفعمة بكثير من المشاكل الحربية، والسياسية، وتخللها كثير من الفتن، والدسائس، والمكائد، لكنه استطاع أن يقضي عليها، وذلك بفضل الله، ثم باتصاله المباشر بأمراء القبائل، وإقناعهم بالحقائق، والتشاور بينهم مما لا يجعل مجالا للشك في حبه لهم، والإخلاص في معاملته . قال ابن سعود في أحد لقاءاته مع الأمراء، وشيوخ القبائل : ( يجب أن يصرح كل فرد بما في نفسه، ويقول ما يعتقد فيه المنفعة فهذا أمر واجب لأن مجال البحث، والتدقيق يوصل إلى نتائج حسنة فعلى الإنسان الاجتهاد، وعلى الله التوفيق) (١)

(١) فؤاد شاعر، الملك عبدالعزيز - سيرة لا تاريخ - ص ١١٢ ، الطبعة (٢) ١٤٠٩ هـ ، مطبعة مباركو للطباعة ، جدة .

ومهما كسب عبدالعزيز من ود الأمراء، واحترامهم فلا يمنعه ذلك من الوقوف بحزم في وجه العابث منهم. وذلك بالنصح، والإرشاد في أدب نبوي بالتعريض، وليس بالتصريح.

يقول رحمه الله :-

إن بعض الأمراء يفتشون على المناصب، والمراتب، وبعض العلماء يعملون على نيل المآرب، ولكن هؤلاء، وأولئك قد ضلوا الطريق. فإن العز ليس هذا طريقه، والطريق القويم لنيل العز، والفخار هو اتباع الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والتمسك بالدين. إنني أفخر بمن خدم الإسلام، والمسلمين، وأعتز بهم بل أخدمهم، وأعطيهم، وأساعدهم، وإنني أمقت كل من يحاول الدس على الدين، وعلى المسلمين، ولو كان من أسمى الناس مقاماً، وأعلام مكانة. (١)

وكم من زعيم من زعماء القبائل، والبهاء تحدوا ابن سعود فأظفره الله عليهم، فعفا عنهم، ووصلهم، وأسبغ عليهم من النعم ما يعد في حسابنا إسرافاً.

وكان رؤساء القبائل يأتون إلى مجلسه في حالة من العداء الصريح، ثم لاتبث شخصيته أن تطفى عليهم، فيكسبهم بابتسامته، وجاذبيته الأخاذة.

ونتيجة لهذا الحب، وهذه الثقة المتبادلة بين الملك عبدالعزيز، والأمراء أصبحوا جنوده المخلصين، وسواعده القوية.

وانطلق بهم الملك عبدالعزيز بعدما قرت عينه بجلوسه مجلس الأباء، والأجداد، وبعدهما أعاد للبيت السعودي مكانته، وجدده مفاخره.

انطلق بهم يسترد المدن، والأقاليم المجاورة واحدا بعد الآخر.  
يقول الأحيدب عن خروج عبدالعزيز بعد فتح الرياض لضم بقية البلاد :  
( فلم يلق كبير عناء بفضل الثقة المتبادلة، والمحبة الوشيجه بين أمراء  
هذا البيت، وبين أهل نجد، فلا يكاد أمير سعودي يظهر في ميدان حتى  
يتسابقوا في تأييده، ونصرته ويتراكموا لمبايعته، والانضواء تحت رايته.  
لا يتعاونون مع غيره، ولا يتفادون مع سواه مادام ذلك في مقدورهم، وفي حيز  
استطاعتهم.

ومرد هذا ما عرفوه بالتجارب الكثيرة المتتالية عبر التاريخ، وعبر الأيام من  
رائد الإخلاص في محبتهم، واهتمام في شؤونهم، وحرص على إقامة العدل  
بينهم (١).

لقد استطاع ابن سعود بمنطقه القوي، أن يقنع عظماء القبائل في غزوته  
الأولى على الرياض، وكانوا كارهين لذلك، لكنه استطاع أن يقنعهم حتى انقلبوا  
أنصاره قلبا، وقالبا. (٢)

(١) الأحيدب، من حياة الملك عبدالعزيز - ص ١٢٩  
(٢) أحمد عطار، صقر الجزيرة - ج ٧ / ١٣٨٥

كان الملك عبدالعزيز دائم التفكير فيما آلت إليه أحوال الناس في الجزيرة العربية ؛ فقد تسلط القوي على الضعيف وانتهكت حرمت الإسلام .

فكان كل فكره وطموحه هو الانتصار للإسلام ورفع راية التوحيد عالية خفاقة على الجزيرة العربية ، والحكم بالشريعة الإسلامية والسنة ، واتباع السلف الصالح ونشر العدل بين الناس وإقامة الحدود .

أي أن الملك عبدالعزيز لم يكن مجرد طالب للملك والجاه في الدنيا ، بل كان صاحب مبدأ وهدف روحي يجد فيه سعادته في الدنيا وسوف يسعده الله في الآخرة - إن شاء الله- فهو يعرف رسالته الإسلامية تمام المعرفة ويوصي بها أولاده- قال في وصيته لولي عهده :

(واعلم أننا نحن آل سعود ما أخذنا هذا الأمر بحولنا وقوتنا وإنما من به الله علينا بسبب كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله)(١) .

وكان الملك عبدالعزيز رحمه الله لا يولي أميراً على بلد أو جيش أو يعين قاضياً إلا ويوصيه بتقوى الله والتزام الإسلام والدعوة إليه . وكثيراً ما كان يردد (اللهم إن كان قصدي إعلاء كلمة الله ونصرة الإسلام والمسلمين فأرجو منك التوفيق والتأييد والنصر وإن كان قصدي خلاف ذلك فأرجو منك أن تريحني بالموت العاجل)(٢) ولاشك أن الله أعز بوجوده الإسلام والمسلمين ويعرف ذلك بالفرق الهائل بين حال المسلمين قبله وحالهم بعد توليه زمام الحكم .

(١) القصيمي ، الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفينهم ص ٢٣ - ط ٢ ، ١٩٨٩ م  
(٢) سعد الرويشد ، من تاريخ الملك عبدالعزيز ومواقفه النادرة ، ص ٩ .

وتقدم قول الملك عبدالعزيز - رحمه الله - :  
 (عندي أمران لا أتهاون في شيء منهما، ولا أتوانى في القضاء على من  
 يحاول النيل منهما، ولو بشعرة الأول : كلمة التوحيد "لا إله إلا الله محمد  
 رسول الله" اللهم صل وسلم، وبارك عليه . إني والله وبالله وتالله أقدم دمي،  
 ودم أولادي، وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة، ولا أضن بها .

الثاني : هذا الملك الذي جمع الله به شمل العرب بعد الفرقة، وأعزهم به  
 بعد الذلة، وكثرهم بعد القلة، فإني كذلك لا أدخر قطرة من دمي في سبيل الذود  
 عن حوضه . (١)

بهذا الإصرار القوي، والعزيمة الصلبة صار ابن سعود يحقق طموحه راجيا  
 الصعاب، والأهوال في مواجهة آل الرشيد، والدولة العثمانية، فكان يخرج من  
 المعارك مصابا بشظايا القنابل التركية، وكثيرا ما يخرج من ساحات الوغى، وهو  
 ينزف دما إلا أن كل هذه الأمور لم تثبط من عزمه، ولم تنل من إصراره، حتى  
 تغلب على كل هؤلاء، وشيد ملكه بإيمانه بالله، ثم بسيفه، وهيمن على شبه  
 الجزيرة، فانتشر الأمن، وساد حكم الشرع .

ومافتح ابن سعود بلدا، ولاغزا أرضا، ولا أقام حول الدين سياجا، ولا أحدث  
 في مملكته إصلاحا، إلا بهذا الإصرار على الجهاد في سبيل الله .

يقول المانع :

"كان ابن سعود إذا وضع لنفسه هدفا معيناً بذل قصارى جهده للوصول  
 إليه دون ملل . ومهما كانت النكسات، والعقبات، فإنها لم تكن لتثني عزمه عن  
 غايته النهائية . (٢)"

(١) محمد حامد الفقي ، اثر الدعوة الوهابية في الإصلاح العمراني والديني في جزيرة

العرب وغيرها، ص ١١٠ - ١١١

(٢) توحيد المملكة ص ٣٢٥

ومن أدلة إصراره؛ ما وقع بعد وقعة جراب حيث انهزم، وقتل كثير من جنوده، ونهب جيشه، ومخيمه، وحملته، وعاد برفقة خمسة عشر خيالا إلى بريدة، وفي أثناء سيره صادفه فيصل الحمود الرشيد، وأخذ يبكي متأثرا بالهزيمة فقال له :

"يا فيصل لاتبك فأنا والله بالأمس في حالة الخوف من أن يوكلني ربي على قوتي، والآن في حالة الرجاء أن ينصرنى الله، وسوف أسترد قوتي بحول الله قبل نهاية الشهر" (١)

وفعلا جهز نفسه، ولتم شعته من بريدة، وأغار غارتين، وطرده ابن رشيد، فكان رحمه الله من المؤمنين الذين يستمدون بالله من الضعف قوة.

وبنفس الإصرار، والعزيمة في المعارك كان إصراره في البناء، وتنظيم شئون الدولة، فأسس دولة شورية إسلامية مستقلة دستورها القرآن فقوانينها، وأحكامها مستمدة من كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه السلف الصالح.

وقد ثبت معه الدعاة المخلصون في الجزيرة، حتى نصرهم الله، وأيدهم، وأذل أهل الشرك، ودحرهم، وكانت كلمة الله هي العليا.

وكان للدعوة أثرها الواضح في توفير الأمن، وضبط حركة الحياة بما يبشر بأن هذه الجزيرة العربية ستعود إلى حمل رسالة الإسلام، وبأن تحولا في قيادة البشرية سيتم، وستعود القيادة إسلامية، وستكون هذه المرة عالمية بإذن الله. وتسعد الدنيا بهذا الدين الحنيف...

(١) الأحيب ؛ من حياة الملك عبدالعزيز ص ٤٨



## المبحث الثاني عوائق في طريق الدعوة وسبل التغلب عليها

### المطلب الأول عوائق داخلية

لم تكن الأرض ممهدة بلا عوائق أمام الملك عبدالعزيز على الرغم من كل العوامل المساعدة، وقد كانت العوائق نوعين داخلية تتصل بالوضع الحضاري في الجزيرة، وخارجية تتصل بالقوى المتربصة بالاسلام، ومن أهم العوائق الداخلية العوائق التالية :

#### أولاً : قلة الدعاة :

في ميدان العمل الاسلامي مشكلات عديدة تتعرض لها الدعوة كما يتعرض لها الدعاة.

وهذه المشكلات أوجدتها الظروف والمناخات المحيطة بالدعوة، ومشكلة قلة الدعاة واحدة من هذه المشكلات وهي هنا ترتبط ارتباطاً مباشراً بمساحة المملكة واتساع أراضيها وكثرة الهجر والقرى المتشعبة داخل هذه المساحة المترامية الأطراف خاصة بعد أن تم توحيد المملكة.

وعلى الرغم من حرص العلماء وعنايتهم بالعلم والتعليم - في هذه الفترة- الا أنهم لم يتمكنوا من توفير العدد الكافي للقيام بمهمة الدعوة في أنحاء البلاد نظراً لقلة الدعاة، ولهذا فقد تجد الكثير من القرى والمدن ليس فيها من يتولى مهمة الدعوة الى الله عز وجل.

بل إن بعض القرى لتخلو من المدرسين الذين يعلمون القراءة، والكتابة  
ناهيك عن رجال القضاء، والفتيا، وتحفيظ القرآن.

وقد يضطر الناس في مثل هذه الظروف إلى الاستعانة بأئمة، وخطباء  
جهلاء (١) ولعل السبب في ذلك - كما أشرنا سابقا (٢) يرجع للحالة الأمنية.  
والاجتماعية، حيث كانت البلاد مجزأة إقليميا، وقبلها بصورة تجعل أكبر هم  
الناس هو كسب العيش، فكان أهل البادية في جهل. لأنهم بعيدون عن ساحات  
العلم، والعلماء.

وهم بعد ذلك فيهم قليلو الدين، أو فاقدوه لأنه ليس لديهم من يعرفهم  
الدين، ومن يعرفهم حق الله على عبده فمثلا في رسالة كتبها الشيخ  
عبدالرحمن بن داود، للملك عبدالعزيز يطمنه على سير الدعوة، ويشكو من قلة  
العلماء جاء فيها :-

"المرجو أن يمتعنا وجميع المسلمين بوجودكم على طاعته، وأن يجمعنا  
وإياكم في دار كرامته، ومن طرف المسلمين أبشرك أنهم مقبلون على الخير  
البادية، والحاضرة، ولكن الجهل كثير، والمعلم قليل." (٣)

غير أنه لما توافر الأمن على يد الملك عبدالعزيز في العقد الثالث من  
القرن الرابع عشر، وما بعده، زاد عدد طلبة العلم نسبيا، فقد شرع الملك عبدالعزيز  
في إنقاذ أهل البادية بهمة قوية، وبشتى الأساليب، حيث بعث إليهم الأئمة، ومن  
يعلمونهم القراءة، والكتابة، وأمدهم بالمرشدين كي يعلموهم مبادئ الدين

(١) محمد بن ناصر الشري، اتحاف اللبيب ص ١٥، طبعة دار العاصمة، ط (١) سنة  
١٤١٠هـ.

(٢) راجع صفحة (٥) من هذا البحث.

(٣) الرسالة مخطوطة من الشيخ عبدالرحمن بن داود إلى الملك عبدالعزيز بتاريخ  
١٣٣٨/١/٣هـ "انظر ملاحق البحث"

والأخلاق الإسلامية ويحثوهم على الاستقرار في الهجر بدلا من الحل والترحال.

وقد أثمر هذا الجهد أطيب ثمر حيث أحب هؤلاء البدو الدين وتفانوا في حبه وأرخصوا أنفسهم وأموالهم في سبيله ثم أصبحوا بعد ذلك عضدا لابن سعود في مشروعاته ومن أقوى أنصاره في الحروب.

وكانوا يعتبرون القتال مع الملك تدينا اذ هو دفاع عن الاسلام، وتفانوا بعد ذلك في محاربة الشركيات حتى كانوا يعتبرون انفسهم "صبيا التوحيد" أي خدامه فانظر كيف انقلب حال القوم بعد التدين، وفي ذلك تجلية لقوله تعالى :

"يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم..." (١)

#### ثانياً ، العصبية القبلية ،

الواجب على كل من سلك طريق الدعوة أن يوطد نفسه على وعورة الطريق، وأنه لن يلقى الاستجابة السهلة القريبة الى ما يدعو اليه . . . فانه يدعو الناس ليتركوا ما ألفوا من عقائد وعادات ضارة ويدعوهم الى ما يخالف طباعهم وأهواءهم التي تتعارض مع تعاليم الاسلام.

ومن العقبات التي واجهت الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز تلك العصبية التي اتسمت بها القبائل .

(١) سورة الأنفال ، آية ٢٤

فعلى الرغم من الشجاعة، والشهامة التي تحلى بها أهل الجزيرة، فقد كان يسيطر على قلوبهم حب الزعامة، ويصبو بهم الطموح إلى الرئاسة، والسيادة اندفاعا وراء التنازع على البقاء في هالة العزة، والكرامة. وهذه طبيعة المجتمع القبلي. فكل قبيلة لها زعامة مستقلة، وتتنافس مع القبيلة المجاورة في أماكن الرعي، وموارد المياه، وبين هذه القبائل من الثأر، والمعارك ما يجعل لهيب الحرب لا ينطفئ، وبدلا من وجود الوحدة، والتضامن كنت ترى النفرة، والشقاق. (١)

وكان هذا الوضع الاجتماعي المتصارع، يمثل عائقا كبيرا للدعوة، وذلك أن الداعي إلى الإسلام، والخير، يكون منسوبا لإحدى القبائل، وهذا كاف لثلا يسمع منه باقي القبائل وإن كان ما يدعوه إليه هو الخير بعينه، بل إن حياته مهددة بالخطر إن كان خارج حدود قبيلته.

يقول المانع "لقد كان من أعظم مشكلات ابن سعود في بناء دولة مستقرة، تلك المشكلة التي واجهت كل زعيم في الصحراء، وهى نزعة رجال القبائل الحادة إلى الاستقلال، وحبهم للحرب، وسرعة تغيير ولائهم" (٢)

"إن من يعرف العهد الماضي الذي عاشه أولئك البدو، كيف كانت عليه حياتهم الاجتماعية التي موجز ما يقال عنها: أنها قامت على التعصب القبلي الجاهلي الأعمى، وافتراس قلوبهم لضعيفهم، واستباحة ما يقع بأيديهم عن طريق ما يعرف بالغزوة، أو بالحنشلة، أو الحيافة" (٣).

(١) انظر محمد مغربي المدني، وهابية اليوم، ص ٤

(٢) توحيد المملكة، ص ٧١

(٣) فهد المارك، من شيم الملك عبدالعزيز ج ٣/ ص ١٩٤

الحنشلة والحيافة "صورة مصغرة من صور الغزوة فالغزوة على المستوى الجماعي والحنشلة على مستوى قلة والحيافة على مستوى فردي.

وقد دامت هذه الحال في جزيرة العرب تقوى وتضعف حسب قوة الدولة القائمة وقوة سلطانها وتمسكها باحكام الشريعة، حتى جاء الملك عبدالعزيز الذي حرص على أن يزيل هذا الحاجز من طريق الدعاة فأخى بين هذه القبائل اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم حين آخى بين الأنصار والمهاجرين وهم من قبيلتين مختلفتين. فحصل بسبب ذلك بين هذه القبائل من التأخي والمحبة الشيء الكثير. ولاشك أن هذا من محاسن هذا الدين الحنيف حيث تتحول النفوس والقلوب قال تعالى :

"وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم"(١).

وصار الواحد منهم بعد التزامه بالدين لايقول أنا من قبيلة فلان بل يقول أنا من الإخوان وأصبح شعارهم (أنا أخو من أطاع الله) بل إنهم ينكرون على من يفتخر بقبيلته ويقولون هذا من دعوى الجاهلية ويؤدبون فاعله.

وكان الرجل يلقي قاتل أبيه وأخيه فيقول (الاسلام يجب ما قبله) وتمكن ابن سعود بماله من سطوة دينية بمساعدة العلماء من استئصال ما في هذه الجزيرة من عصبيات وتعصبات وجمع الدين الحنيف بين الغايات والمنافع والأفكار وانشغل الناس عن هذه العصبيات بنشر الدعوة وأعمال الإعمار والانشاء.

وانقلبوا الى حماة لهذا الدين من كل نحلة وبدعة وتحولوا من التعصب القبلي العنصري الى الإخاء في سبيل الله . ذكر أبي (١) أن معيض بن عبود من أمراء آل مسعود من قحطان قبل أن يلتزم بالدين تقابل مع رجل من قبيلة عتيبة يدعى مرزوق الغميسي فأراد كل واحد منهما قتل الآخر فكان كل واحد يجهز بندقيته ليفتك بأخيه فلا يفلح لثلاث مرات . فوجأ الله كل منهما من بطش أخيه .

ثم تلاقيا عند الملك عبدالعزيز بعد أن آخى الملك بين القبائل - فتعانقا وذكر كل منهما صاحبه بما كان يقع بينهما من تقاتل وحمد الله أن من عليهما بالأخوة الإسلامية، وهذا من ثمرات الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله . وبذلك سلك هؤلاء البدو طريق الدعوة الى الله ومناصرة الحق والذب عن العقيدة .

وواصلوا جهودهم متخذين القرآن منهجا وسلوكا وانطلقوا يحملون شعار التوحيد ويطبقون شريعة الله الخالدة .

ثالثا : علو البعض في الدين :

ان العمل للاسلام يعني العمل على هدم المجتمع الجاهلي في كل ركن من أركانه واقامة المجتمع الاسلامي في كل شأن من شؤونه .

(١) ابي هو الشيخ ناصر بن عبدالعزيز الشثري  
انظر ترجمته في اتحاف اللبيب ص ١١١

ويعني استئصال الجاهلية كلها سواء كانت جاهلية أفكار أو جاهلية نظم أو جاهلية أخلاق. ويعني كذلك مواجهة دعاة هذه الجاهلية والمدافعين عنها. فمن العوائق التي واجهت الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز الغلو في الدين الناشء عن الفهم الخاطيء لنصوص الكتاب والسنة، وذلك أن أهل الهجر لما التزموا بالدين حملهم حب الدين والتفاني من أجله أن أرخصوا أنفسهم وأموالهم في سبيله، لكن منهم من تجاوز حدود التقوى حتى غلو غلوا لا يرتضيه الدين وبالتالي لم يرض هذا الملك عبدالعزيز ولا العلماء. لأنه تجاوز حدود الدين الاسلامي السمح.

إن بعض علماء البادية لم يكونوا متمكنين في العلم، وانما كانوا ذوي صلاح ومجالسة وحفظ للنظم الوعظي، فجنحوا الى التشديد عن حسن قصد، والى التحريم والتكفير في كثير من الأمور عن جهل وكانوا سببا في غلو البادية يضربون الشخص ان طال ثوبه لأنه مسبل، ويضربونه ان زاد في تقصيره لأنه عري وشهرة، ويهجرون لأدنى سبب ومن هجروه مسكوا بجيبه حتى يرد عليهم ما سمعه منهم من سلام بجملة "رد على سلامي".

وكانوا يحكمون على بعض المصنوعات بأنها سحر ويوجبون لبس العمامة، ويحرمون العودة الى البادية، ويرون أن الدين سكن بيوت الطين. (١)

(١) ابو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري ، معركة الفقة والتأصيل قبل توحيد المملكة ، ص ٣ بحث غير مطبوع .

إنهم أنصاف متعلمين، ويحفظون المنظومات الوعظية، وفيهم جهل، وتزمت: وجفاء، ولم يكونوا على معرفة بأن أسلوب الدعوة إلى الله يكون بالحكمة، وذلك أن الشيطان لما رأى منهم الإقبال على تعلم الدين، والحرص على الخير، أيس أن يعيدهم إلى حالهم الأولى، فأخذ يفتح أبواب الشر، وحسنا لهم وزينها في قالب القوة، والصلابة في الدين. . . لذلك يقول ابن القيم:

(إن الشيطان يشم قلب العبد، فإن رأى فيه كسلا سعى في رده عن دينه بالكلية، وإن رأى فيه قوة سعى في حمله على مجاوزة الحد، والزيادة على ما شرع الله ورسوله) (١).

هذا وقد بالغ هؤلاء في غلوهم، وتجاوزوا الحد المشروع.

واتخذ غلوهم أشكالا عديدة منها :-

(١) جملة من رسالة الشيخين محمد بن عبداللطيف وعبدالله العنقري إلى طائفة الإخوان لما غلوا في الدين؛ مخطوطة مصورة من مكتبة الشيخ الوليد بن عبدالرحمن الفريان، وهذه الجملة نقلها بالمعنى من إغاثة اللهفان، وهذا نصها:

(ومن كيد العجيب: أنه يشام النفس، حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها: قوة الإقدام والشجاعة أو قوة الانكفاف والاحجام والمهانة؟ فإذا رأى الغالب على النفس المهانة والاحجام أخذ في تشييط وإضعاف همته وادارته عن المأمور به، وثقله عليه، فهون عليه تركه، حتى يتركه جملة، أو يقصر فيه ويتهاون به.

وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة أخذ يقلل عنده المأمور به، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة فيقصر بالأول ويتجاوز بالثاني كما قال بعض السلف: "ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو ولا يبالي بأيهما ظفر.

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، ج١/١١٥، ١١٦، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة الرياض الحديثة، البطحاء)



- ١ - إساءة الظن بولي الأمر وعدم الطاعة له .
- ٢ - اتهام العلماء بالمداهنة والدعوة الى عدم الأخذ عنهم .
- ٣ - الزام الأعراب سكنى القرى واعتبار الخروج منها معصية وعدم استقامة الدين لمن لم يهاجر الى هذه القرى .
- ٤ - التهاجر لاتفه سبب .
- ٥ - القول على الله بغير علم .

لكن العلماء والملك عبدالعزيز لم يعجبهم هذا الغلو فجدوا في حملهم على الاعتدال والقصد فاعتدل كثير منهم ، واقتصدوا وأصبحوا من أقوى أنصاره في الحق ، بل كان منهم الدعاة لمحاربة هذا الغلو .

وسوف أسوق ان شاء الله امثلة توضح موقف العلماء من هذا الغلو وذلك من خلال رسائلهم إلى الأخوان لما غلوا في الدين ينصحونهم بالحجة والأدلة الشرعية ويردون على شبه المغالين حول الأمور التالية :-

١ - الرد على من أجاز الخروج على ولي الأمر وإساءة به الظن :

يقول الشيخ محمد بن عبداللطيف والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري في رسالتهما إلى الأخوان :

(... ومما أدخل الشيطان أيضا إساءة الظن بولي الأمر أو عدم الطاعة له

فإن هذا من أعظم المعاصي، وهو من دين الجاهلية، الذين لا يرون السمع والطاعة لولي الأمر في العسر، والبسر، والمنشط، والمكروه حتى قال صلى الله عليه وسلم :

"اسمع واطع وإن أخذ مالك وضرب ظهرك" (١)

فتحرم معصيته، والاعتراض عليه في ولايته، وفي معاملته، وفي معاقبته لأنه نائب المسلمين، والناظر في مصالحهم، ونظره لهم، خير لهم من نظرهم لأنفسهم، لأن بولايته يستقيم نظام الدين، وتتفق كلمة المسلمين، لاسيما وقد من الله عليكم بإمام ولايته، ولاية دينية، وقد بذل النصح لعامة رعيته من المسلمين خصوصا المتدينين" (٢)

٢ - الرد على اتهام العلماء بالمداهنة والدعوة إلى عدم الأخذ عنهم :

قال كبار العلماء (٣) في ذلك الوقت في رسالة بعثوها إلى الأخوان؛ ومما ينبغي التنبيه عليه، ما وقع من كثير من الجهلة من اتهام أهل العلم، والدين بالمداهنة، والتقصير، وترك القيام بما يجب عليهم من أمر الله سبحانه، وكتمان ما يعلمون من الحق، والسكوت عن بيانه. ولم يدرك هؤلاء الجهلة أن اغتياب أهل العلم، والدين، والتفكك بأعراض المؤمنين سم قاتل، وداء دفين، وإثم

(١) رواه : مسلم - كتاب الإمارة، ج٣، ص ١٤٧٦ .

(٢) رسالة مخطوطة من الشيخ محمد بن عبداللطيف والشيخ العنقري إلى الأخوان، مخطوطة مصورة من مكتبة الشيخ الوليد الغريان .

(٣) هم الشيخ سعد بن عتيق والشيخ محمد بن عبداللطيف والشيخ عبدالله العنقري والشيخ عمر بن سليم والشيخ محمد بن ابراهيم .

واضح مبين قال تعالى : (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) . (١)

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكموا من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

فإذا سمع المنصف هذه الآيات ، والأحاديث ، والآثار ، وكلام المحققين من أهل العلم والبصائر ، وعلم أنه موقوف بين يدي الله ، ومسؤول عما يقول ويعمل : وقف عند حده ، واكتفى به عن غيره .

وأما من غلب عليه الجهل والهوى ، وأعجب برأيه ، فلاحيلة فيه نسأل الله العافية لنا ، ولإخواننا المسلمين ، إنه ولي ذلك ، والقادر عليه . (٢)

٣ - الرد على إنزام الأعراب سكنى القرى :

قال الشيخ عمر بن سليم : أن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث بريدته الذي رواه مسلم "كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية قال له ، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك لذلك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، فإن أبوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله ولا يكون لهم في الغنيمة والفى شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين" (٣)

(١) سورة الأحزاب ، ٥٨

(٢) الدرر السننية في الأجوبة النجدية ج٧/٢٨٤ ، ط ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

(٣) رواه مسلم بالفاظ مختلفة (ج٥ / ١٤٠) كتاب الجهاد - باب تأمير الأمير على البعث .

فدل الحديث، على أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أعراب، ولم يلزمهم بالهجرة إلى القرى، ومن ألزمهم بذلك، ورآه ديننا فقد شرع في الدين مالم يأذن به الله(١)

وفي ذلك يقول الشيخ محمد بن عبداللطيف، والشيخ عبدالله العنقري (الهجرة تجب من بلاد الشرك، إلى بلاد الإسلام، على كل من لم يقدر على إظهار دينه، فإن كان المحل الذي فيه الأعراب يظهر فيه شعائر الشرك، وتفعل فيه المحرمات، وتترك فيه الواجبات، فإن الهجرة تجب من ذلك المحل، إلى بلاد تظهر فيها شعائر الإسلام، سواء كان ذلك في بادية أو حاضرة.

وأما البادية الذين هم في ولاية إمام المسلمين، وهم مع ذلك ملتزمون بشرائع الإسلام؛ من الاتيان بأركان الإسلام الخمسة، وترك الشرك، والكفر، ولا يظهر فيهم شيء من نواقض الإسلام، فلا تجب عليهم الهجرة إلى القرى، ولا يجوز إلزامهم بذلك، ومن ألزمهم بذلك، ورضاه ديننا فقد شرع في الدين مالم يأذن به الله.

ومن ينسب إلزام بادية المسلمين بسكنى القرى إلى دين الله ورسوله، فقد افتري، وضل(٢)

٤ - الرد على التهاجر بغير سبب :

قال الشيخ محمد بن عبداللطيف، والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري في رسالتهم إلى الأخوان :

(١) الدرر السنية، ج٧/ص ٣١٥ .

(٢) المخطوطه السابقه .

"ومن الأمور التي أدخلها الشيطان في المسلمين لينال بها مقصوده في إغوائهم، واختلاف كلمتهم، وتفرقهم ما حملهم عليه من التهاجر على غير سبب يوجب ذلك، بل بمجرد الرأي المخالف للكتاب وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وهذا ينافي ما عقد الله بين المسلمين من الأخوة الإسلامية التي توجب التواصل، والتواد، والتراحم، والتعاطف، كما قال صلى الله عليه وسلم:

"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد" (١)

وقال صلى الله عليه وسلم "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" (٢)

وقال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) (٣)

وقال تعالى (ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) (٤)

- 
- (١) وردت في المخطوطه بلفظ المسلمين والصحيح ما اثبتناه اخرجه البخاري ومسلم بالفاظ متقاربه . البخاري (ج٣/٤٣٨ فتح الباري) كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهائم . مسلم (ج٨/٢٠٠) كتاب البر والصلة - باب تراحم الناس .
- (٢) وردت في المخطوطه بلفظ "المسلم كالبنيان" والصحيح ما اثبتناه . اخرجه البخاري (ج١/٤٦٥ فتح الباري) كتاب الصلاة - باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره .
- (٣) سورة آل عمران : آية ١٠٣ .
- (٤) سورة الأنفال : آية ٤٦ .

وقال صلى الله عليه وسلم "ولاتحاسدوا ولاتباغضوا ولاتدابروا ولاتقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم(١)"

وقد تقدم أن هجر أهل المعاصي تشرع إذا كانت المصلحة بذلك راجحة على مفسدته، فإذا لم يكن فيه مصلحة راجحة، لم يشرع لما يترتب على ذلك من المفاسد، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه.

والهجر إنما يشرع تأديباً، وتعزيراً بترك السلام عليه، وعدم تكليمه حتى ينزجر عن معصيته، وأما ضربه، وتعنيفه، فلا أصل له في الشرع(٢)

#### ٥ - في القول على الله وعلى رسوله بلا علم :

ليعلم الناصح لنفسه أن القول على الله بلا علم في أسمائه، وصفاته، وشرعه، وأحكامه ودينه : من أعظم المحرمات، كما قال الله تعالى : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)(٣)

وقال الله تعالى (ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون)(٤)

(١) أخرجه مسلم بدون "ولاتقاطعوا" (ج٨/١١، ١١) كتاب البر والصلة باب تحريم ظلم المسلم واحتقاره عن انس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه ابو داود في سننه عن انس بن مالك رضي الله عنه بلفظ لاتباغضوا ولاتحاسدوا ولاتدابروا، والترمذي بلفظ لاتحاسدوا... (١٩٣٥)

(٢) مخطوطة همصورة من مكتبة الشيخ الوليد بن عبدالرحمن الفريان.

(٣) سورة الأعراف ، الآية ٣٣

(٤) سورة النحل ، الآية ١١٦

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
(من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار) رواه البخاري (١)

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في إعلام الموقعين "في الكلام على  
الآية الأولى :

إنه سبحانه وتعالى رتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأهلها، وهو  
الفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريماً منه وهو: الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو  
أعظم تحريماً منها وهو: الشرك به سبحانه ثم رابع بما هو أشد تحريماً من  
ذلك كله وهو: القول عليه بلاعلم. وهذا يعم القول عليه سبحانه بلاعلم في  
أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وفي دينه، وشرعه.

وقال تعالى: (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام  
لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون \* متاع  
قليل ولهم عذاب أليم) (٢)

فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقولهم لما  
لم يحرمه: هذا حرام، ولما لم يحله: هذا حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنه  
لا يجوز للعبد أن يقول:

هذا حلال، وهذا حرام؛ إلا لما علم أن الله سبحانه أحله أو حرمه.

وقال بعض السلف: ليتق أحدكم أن يقول: أحل الله كذا، وحرم كذا.  
فيقول الله له: كذبت؛ لم أحل كذا، ولم أحرم كذا.

(١) في صحيحته - كتاب العلم - (٢٠١/١) عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٢) سورة النحل، الآية ١١٦، ١١٧.

فلا ينبغي أن يقول لما لا يعلم ورود الوحي المبين بتحليله وتحريمه :  
أحله الله ، وحرمه الله ، بمجرد التقليد ، أو بالتأويل . انتهى (١)

وهكذا واجه العلماء هذا الغلو بالحكمه، والأدلة حتى حدثت فتنة الدويش،  
والتي كان من أمرها ما كان، واستطاع الملك عبدالعزيز القضاء عليها، وإخمادها  
باعتبارها من أكبر آثار الغلو في عهده - رحمه الله -

#### رابعا ، الفرق المنحرفة ،

لقد ابتلى الإسلام منذ عصر نبيه - صلى الله عليه وسلم - بوجود  
مجموعات ممن أعلنوا الإسلام، ولكنهم انحرفوا بفكرهم، وعقيدتهم عنه، ثم بعد  
وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بدأت الفرق المنحرفة في التكاثر شيئا  
فشيئا .

وكان الدعاة يقفون في وجهها باللسان، واللسان، وقد استمرت هذه الفرق  
في العالم الإسلامي إلى يومنا هذا .

والمملكة العربية السعودية بصفتها جزءا من هذا العالم الإسلامي، لم  
تخل كغيرها من البلدان - من هذه الفرق المنحرفة، إلا أنها بفضل الله قليلة  
نسبيا إذا ما قورنت بغيرها من البلاد، وهذا بفضل الله، ثم بجهود الملك  
عبدالعزيز .

هذه الفرق المنحرفة تنظر إلى الدعاة نظرة شك لمجرد أنهم يخالفونهم في  
العقيدة، ويصمون آذانهم عن ما يدعو إليه الداعية من الخير، ولا شك أن هذا  
عائق، وحاجز قوي بين هذه الفرق، وبين الخير الذي تسوقه الدعوة للناس .

(١) اعلام الموقعين ١/٣٨-٣٩ ط الكليات الأزهرية ، القاهرة .



ومما منيت به الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز، وجود هذه الطوائف، والفرق المنحرفة، تلك الفرق التي نشأت في ظل الفوضى، وعدم الاستقرار في العصور المختلفة، ولم يفتن علماء الدعوة الى خطرها، إلا بعد أن تمكنت وانتشرت في بعض الأماكن.

وعلى الرغم من أن هذه الفرق كانت تشكل أقلية في شبه الجزيرة، إلا أنها كانت تزاوّل نشاطها بما اعتبره علماء الدعوة عائقاً من العوائق التي تقف في طريقها. إذ أن هذه الفرق عقبه أمام دعاة الحق، فقد تستميل قلوب العوام إلى مبادئها المنحرفة، خاصة أنها تعمل في ميدان الدعوة باسم الإسلام.

ولما أمسك الملك عبدالعزيز بزمام الأمور، وأسس دولته على مبادئ الشريعة الصحيحة، سعى مع العلماء المهتمين بالدعوة في إيقاف نشاط هذه الفرق كلياً مادام ثبت ضلال هذه الطوائف، أو زيغها عن نصوص الكتاب والسنة التي تنص بأن محمداً عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين، ولا نبي بعده، فألفت الكتب، ووزعت، وعمد العلماء إلى كتب السلف، فشرحوا الدين الصحيح، وفصلوه حتى يستطيع الفرد أن يميز الحق من الباطل.

وبذلك يكون ابن سعود قد عمل على تقليل أثر هذه المشكلة، التي عرقلت سير الدعوة في كثير من الجهات، وشغلت بال الدعاة، علماً بأن القضاء على نشاطهم ليس بالأمر الهين، بل الأمر يحتاج وقتاً غير قصير، مع صدق الجهد، لأن هناك مسلمين سطحيين، قد اعتنقوا مبادئ هذه الفرق منذ أمد بعيد، وافتتنوا بها، فشغلت أذهانهم الخالية بأفكارها المسمومة، وخدعتهم بأساليبها المعسولة، ولقنوهم الكفر، والإلحاد باسم الإسلام، وبفضل الله، ثم

رجال الدعوة بدأ نشاط هذه الفرق يضعف في الجهات التي تمكنت منها، وخف أثرها، وقل أتباعها، بعد الحركة العلمية الواسعة المنظمة، التي عمت البلاد في عهد الملك عبدالعزيز.

ولا يفوتنا أن ننوه الى أن تشجيع هذه الفرق المنحرفة كان من أخطر اسلحة الاستعمار ضد الاسلام ودعوته.

وفي هذا الإطار يقول الملك عبدالعزيز :

"من المسائل التي يجب أن نعمل بها، وتعد في طليعة خدمة الدين الحنيف هي تطهير الاسلام من الأدران والخرافات التي علفت بالدين وهو برىء منها" (١)

#### خامساً : انتشار الأمية :

وهي من الأسباب الظاهرة لتخلف المجتمعات وينتج عنها العديد من المشكلات في طريق الدعوة الى الله . حيث تسيطر العادات والتقاليد ويضعف الميل الى الاتصال بالمجتمعات المجاورة مما يؤدي الى انعدام الوعي بأهمية المجالات التعليمية والاجتماعية والادارية التي تعتبر خبرات ضرورية لتنمية المجتمع في تلك المناطق .

وبذلك مثلت هذه المشكلة عائقا كبيرا أمام الدعوة ونشاطها في ربط أواصر المجتمع وفتح أبواب المعرفة أمام الأفراد وربطهم بالواقع الذي يعيشونه

(١) أم القرى، عدد ٢٨٣، ٦ ذوالحجة ١٣٤٨هـ .

دخليا وخارجيا .

وإذا كان البدو الرحل يشكلون ثمانين في المئة من سكان نجد من الحضرة فان الأميين يشكلون منهم ما يقرب من تسعين في المئة (١) .

وقد نتجت هذه المشكلة من الفرقة، وعدم الاستقرار الذي ساد المملكة قبل التوحيد، والذي أدى إلى جعل حياة الناس العلمية ضعيفة الانتشار مقصورة على عدد محدود جدا من الأفراد . ولو لم يكن لدى بعض الناس حينذاك شعور بواجبهم نحو دراسة دينهم، ولغتهم لسادت الأمية تماما، ولعادت الجزيرة العربية إلى عصور الجهالة، ولكن أمانة العلم التي حملها نفر من العلماء المخلصين في أرجاء البلاد، أبقت على وميض من نور العلم الذي قضى على كثير من العقبات التي حالت دون إتمام عملية الإصلاح، ودخلت البلاد في نهضة حقيقية بفضل من الله، ثم بفضل همة الملك عبدالعزيز، ولاشك أن الإسلام يدعو إلى العلم، ويحث عليه، ويرغب فيه، وقد اهتم المسلمون الأوائل بالعلم، واعتنوا به، فبلغوا الغاية في علومهم، وثقافتهم حتى أصبحت مدنهم مراكز إشعاع، ومنازل هداية لمن اهتدى (٢) .

ولما كانت القراءة هي مفتاح أبواب العلم، كان أول منازل من القرآن قوله تعالى "اقرأ باسم ربك الذي خلق" (٣)، فالحالة الإجتماعية والحالة السياسية والأمنية، كل هذا كان من العوامل التي ساعدت على انتشار هذا المرض الخطير، الذي يجعل مهمة الدعاة أكثر صعوبة، وتعقيدا .

(١) فهد المارك، من شيم الملك عبدالعزيز ج٣/ص ٣٢١ .

(٢) د. شوكت عليان، الثقافة الاسلامية وتحديات العصر، ص١٨٢، الرياض، ط ١٤٠١هـ .

(٣) سورة العلق، الآية ١ .

ولم تعرف نجد التعليم بصورته الحالية قبل تولي الملك عبدالعزيز، بل كان التعليم يتم على الطريقة القديمة، فيجلس الطلاب على الأرض حيث يتعلمون قراءة المصحف الشريف، فقد كان هناك من يحفظ القرآن الكريم كله غيباً، ولكن ليس على الوجه الأكمل من ناحية التجويد.

ولم يكن في نجد قبل عهد الملك عبدالعزيز أية مدرسة لا ثانوية ولا ابتدائية، في حين كانت الحجاز أسعد حظاً حيث عرفت المدارس قبل تولي الملك عبدالعزيز بنصف القرن.

وبالرغم من وجود هذه المدارس بالحجاز إلا أنه بالرجوع إلى تعدادها نرى أنها لاتسهم إلا في محو أمية العدد القليل.

ومن يدرس علوم اللغة العربية قليل جداً ومن يدرسها أقل (١)

ولا ينبغي أن يفهم من زيادة عدد الأميين عدم اهتمام العلماء بالعلم والثقافة الدينية منذ قيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب كلاً. فانهم لم يدخروا وسعاً في نشر العلم والقضاء على الأمية ولكن- كما أشرنا فكل عصر يملئ ظروفه.

ولما من الله على هذه البلاد بالملك عبدالعزيز - وعلى الرغم من المهام العظام التي اضطلع بها والحروب التي خاضها والمشاكل التي واجهها والتبعات الكبيرة التي تحملها. فقد كان يدرك أثر العلم في بناء الدولة وتأثيره على شخصية الفرد والمجتمع فبذل قصارى جهده في محاربة الأمية ونشر العلم.

(١) فهد المارك، من شيم الملك عبدالعزيز، ج٣ / ٢٥٩-٢٦٠ (بتصرف)

فعمد الى البادية وأرسل اليها المرشدين والعلماء يعلمونهم مبادئ  
الاسلام وبعث المدرسين يعلمون الناس القراءة والكتابة والقرآن الكريم.

وفي احدى رحلات الشيخ عبدالعزيز الشري الى شمال المملكة داعيا الى  
الله يقول مرافقه الشيخ عبدالله بن جبرين :

(هناك قبائل كثيرة من الحاضرة، والبوادي، لا يعلمون شيئا، ولا يعرفون  
من الدين إلا أنهم مسلمون. وقد يقعون في المعاصي، والمنكرات عن جهل.

ناشئون منذ أن ولدوا إلى أن كبروا في جهل عميق لا يختلطون بأهل  
بلد، ولا يتعلمون، ولا يعلمون.

منهم من يحفظ بعض الجمل، أو الآيات، ولا يفهمها، ومنهم من يحرفها  
تحريفا، ويخل بالمعنى في الفاتحة وغيرها. (١)

ولما أقبل الناس على التعليم، وازداد عددهم تغير الواقع التعليمي في  
كل مناطق المملكة على مستوى أفضل، فأقيم التعليم، وأوجدت المدارس،  
ووضعت المناهج، وسياسة التعليم، وجلب المدرسون من عديد من البلدان،  
وحولت الكتاتيب إلى مدارس منظمة.

لم يكن في نجد مدرسة إبتدائية الا في الرياض، أو في المدن الثلاث  
(عنيزة)، و (شقراء)، و (المجمعة)، وقد وفر الملك لطلابها السكن، والغذاء  
الحسن الذي قد لايتوفر لكثير من أهل هذه المدن، بالاضافة الى منح مرتب  
شهري ثمن الكسوة، مع توفير الكتب الدراسية من قبل الحكومة، والمنتزج  
يمنح أربعة أمثال مرتب الأعزب (٢).

(١) اتحاف اللبيب، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

(٢) فهد المارك، من شيم الملك عبدالعزيز، ج٣ / ص ٣٣٢.

وأصبح هناك مدارس نظامية ذات مناهج في المدن، والقرى الكبيرة،  
بالإضافة إلى التعليم في المساجد في جميع أنحاء المملكة، والذي يعد نمطا  
متوارثا منذ العهود الإسلامية القديمة.

وسوف نتعرض لجهود ابن سعود في نشر العلم - إن شاء الله - بشيء من  
التفصيل في الفصول القادمة.

## المطلب الثاني العوائق الخارجية

أولاً : علماء الضلال :

لأن الجاهلين بأصول الدعوة لم تعجبهم هذه الدعوة السلفية وملهم الحقد من نهضتها المباركة الاسلامية التي ثبت أركانها أمراء هذه الدولة الاسلامية في الجزيرة العربية فمكروا للخلاص منها فلم يجدوا لهذه الحرب قوادا الا علماء الضلال . متظاهرين بالغضب والحمية لآل البيت والأولياء الصالحين . فتواطأت الأقلام على تشويه الدعوة وعرقلة سيرها فأشاعت بأن الملك عبدالعزيز ماهو الا مجدد للحركة التي أحيها محمد بن عبدالوهاب والتي تعادي المذاهب الأربعة- جهلا منهم بأصول هذه الدعوة- وأن حكومته وعلماء المملكة يكرهون الرسول- صلى الله عليه وسلم- ولا يصلون عليه ويعادون الأولياء وينكرون كرامتهم وغير ذلك مما يبعد الذوق عن سرده .

وقد كتبت هذه الأقلام عن الدعوة كل شيء الا حقيقتها وأهدافها فلم تتعرض لشيء من ذلك .

(وقلة الانصاف تحدث في العلم فسادا كبيرا فهي تخذله وتطمس شيئا من معالمه . والانصاف يؤيد العلم ويجعل موارده صافية سائغة . ولو أخذ الانصاف حظه من نفوس جميع الباحثين عن الحقائق لقلت مسائل الخلاف وانصافك للرجل يدل على صفاء سريرتك)(١)

والأقلام التي نهضت لمحاربة الدعوة السلفية في شبه الجزيرة العربية غير متحرية للصدق تنتمي غالبا الى طوائف الصوفية أو الفقهاء الجامدين المقدسين للآراء وأهل الكلام المتطرفين .

وقد سلكوا في محاربة الدعوة والدولة أسلوبيين :

١ - مهااربة سلبية :

وذلك بأن لا يذكروا لها حسنة عملتها ولا خيرا أسدته ولو كان فيه منفعة

(١) القيصي ، الفصل الحاسم ، ص ٨

الاسلام والمسلمين .

فقد تعاملوا عن كل حسنة ومزية من مزايا الدعوة والتي كانت بلاشك تصل إلى أسماعهم بل يرون أثارها وأحيانا يرونها ممثلة فيمن يأتيهم من الحجاج المنتسبين إلى هذه الدعوة .

فلاشك أنهم كانوا يسمعون عن أستقامتهم وتقيدهم بالأوامر الشرعية ويعددهم عن الفواحش وعن كل مايسيء إلى المسلم ويشينه وقيامهم بالفروض والواجبات بل وبالسنن على كل حال وعدم تساهلهم فيما فرضه الله سبحانه وتعالى وشرعه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مافيه الكفاية .

ولاشك أنهم رأوا من أثارها على الحاضرة والبادية من الأستقامة والصدق ومحاربة كل ما يخالف الشرع والمنع منه وحثها على أداء الواجبات وحفظ العهد بل وعدم التعرض للحجاج وعدم قطع الطريق ما هو مقنع لكل منصف يبتغي الحق .

وأن قيام هذه الدولة كان على أساس إسلامي صاف وهدفها هو إقامة دولة الاسلام على أصل الشرع الكتاب والسنة .

ولكن الهوى يعمى ويصم .

٢ - مهاجرة إيجابية .

وتتلخص في نشر الدعاية العدائية ضد الملك عبدالعزيز وحكومته بين طلاب العلم في البلدان (١) .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ان بعض البلاد الاسلامية العربية ذهبت تروج أن الدعوة التي تنتهجها الحكومة السعودية ملة جديدة ابتدعتها الوهابيون .

(١) المرجع السابق ، ص ١٨ ، ١٩ .



يقول الملك عبدالعزيز رحمه الله :

(من الناس من يقول آمنا بالله، وبما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنهم يسبون آل بيته، ويسبون عمر، وعثمان، وأصحابه، وكيف ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي" (١)، ولا نستطيع أن نفعل ذلك إلا باتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسلف الصالح.

والذي نمشي عليه هو طريق السلف، ونحن لانكفر أحدا إلا من كفره الله ورسوله، وليس لنا مذهب سوى مذهب السلف الصالح، ولا نؤيد بعض المذاهب على بعضها.

فأبو حنيفة، والشافعي، ومالك، وابن حنبل أئمتنا. فمن وجدنا الحديث الصحيح معه اتبعناه، فإن لم يكن هناك نص، فإنما هو الإجتهد في الفروع، والأصل كتاب الله، وسنة رسوله لا نفضل أحدا على أحد، ولا كبيرا على صغير.

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٢).

وهل يقبل العقل أن هناك من هو أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم، وأن هناك قبيلة أعز من قبيلة محمد صلى الله عليه وسلم، وهي قريش، ولكن النسب لا يغني عن الإنسان شيئا.

والتقوى ليست مجرد السجود، ولكن بالترفة بين الحق، والباطل، ومن قال أشهد أن لا إله إلا الله، ولم يقل وأشهد أن محمدا رسول الله لا تقبل منه، وكل إنسان لا يصلي على الرسول، فهو ضال، وكل من لا يرجو شفاعته محمد صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة، ومعنى طلب الشفاعة أن تقول: (يارب محمد شفّع فينا رسولك محمدا) (٣).

(١) طرف من حديث للمعري بن سارية - رضى الله عنه - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب

السنة، باب في لزوم السنة (الألباني) ٣٨٥١ صحيح سنن أبي داود. وأخرجه ابن ماجه

في سننه (٤٢) والألباني (٤٠) صحيح سنن ابن ماجه - حديث صحيح.

(٢) الحجرات، آية ٢٣.

(٣) من خطاب الملك عبدالعزيز في أعيان بيت الله الحرام من جريدة أم القرى بعدد

٦٨٨ الصادر في ١١ ذوالحجة سنة ١٣٥٦هـ.

ويقول رحمه الله :

يقولون إننا وهابية، والحقيقة أننا سلفيون محافظون على ديننا نتبع كتاب الله، وسنة رسوله، وليس بيننا، وبين المسلمين إلا كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (١) .

ولم يقتصر أمر علماء الضلال على مجرد النشر في الصحف، وكتب الثقافة الإسلامية، بل تعداه إلى تضمين مناهج التدريس- في هذه البلدان- الطعن على الوهابيين، والقدح في دين إمامهم الأول، ووصفه بما تبرأ منه الحقيقة، بل ونشروا أوصاف الخوارج، وحملوها على السعوديين (٢) .

قال الملك عبدالعزيز :

(لقد أوذينا في سبيل الدعوة إلى الله وقوتلنا قتالا شديدا، ولكننا صبرنا، وصمدنا) (٣)

أما الأقلام النزيهة ممن كتبوا عن تاريخ العرب، والمسلمين- حتى المستشرقين- فلا تجد كاتباً إلا ويصوغ كلمات المدح بحق الملك الذي كان يزداد كل يوم حبا في القلوب، وبعدا في الصيت .

ومن ينكر أن الحكومة السعودية في عهده كانت الحكومة الإسلامية الناهضة المستقلة التي نهضت بالعرب، والإسلام الصحيح، وأشادت بهما بعدما كادت تفضي عليها العوامل السياسية، ومن ينكر وثباتها إلى الرقي والإصلاح ؟

من ينكر ذلك فكأنما ينكر ضوء الشمس في رابعة النهار. أما علماء الدعوة في المملكة، فلم يقفوا مكتوفي الأيدي تجاه هذا التعدي على دين الله، وعلى إمام المسلمين، ودعوتهم السلفية .

(١) من خطاب الملك في منى سنة ١٣٦٥هـ نشرته جريدة أم القرى بعدد رقم ١١٣٢ الصادر في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٦٥هـ .

(٢) القصيمي- الفصل الحاسم ، ص ٢٤ ، ص ١١٨ .

(٣) من خطاب الملك في المأدبة الكبرى للحجاج في السادس من ذي الحجة سنة ١٣٤٩هـ، أم القرى ١٣ ذي الحجة عام ١٣٤٩هـ عدد ٣٣٣ .

فخرجت أقلامهم صواعق مرسله في كثير من الكتب (١) والنشرات ترد شبه علماء الضلال، وكانت صوارم مسلولة على أعداء الدعوة السلفية نظما ونثرا.

ووضعت كل ماجاء بهذه الشبه على بساط المناقشة الهادئة العادلة ليرى المخطيء من المصيب، فانتصرت للدعوة ونسفت كل ماصبته هذه الأقلام المأجورة في عقول الناس من خرافات وصار الحق من نصيب هذه الدعوة السلفية واعترف الجميع بالعجز عن المعارضة والمنازعة.

وهذا ليس غريبا على دعوة ناصر الحق فنصرها . وهذه الدعوة السلفية لاتعني الا أن يفهم الناس الاسلام في العصر الحديث كما فهمه المسلمون الأولون نابذين البدع والخرافات وراء ظهورهم سعيا وراء الوحدة الاسلامية الكبرى، تلك الوحدة التي تقوم على أساس تحقيق التوحيد.

جاء في الفصل الحاسم :

والناس يعلمون أنه لا يوجد اليوم تحت الشمس أعمل من الوهابيين بالقرآن ولا أتقى لله منهم (خاصة في ذلك العصر) ويعلمون أن الحكومة السعودية تستضيء بنور القرآن في جميع ما تأتي وماتذر، في حين أن أكثر البلاد الاسلامية تتخبط في ظلمات القوانين الأوروبية (٢)

(١) منها الصواعق المرسله الشهابية على الشبهة الداحضة الشامية- للعلامة سليمان بن سحمان، مطبعة المصطفوية سنة ١٣٣٥هـ، بمبي - الهند، وغيره الكثير من هذه الكتب للشيخ سليمان وغيره من العلماء.

(٢) القصيمي ، ص ١١٩ .

على الرغم من الأدلة الواضحة على طهارة الدعوة السلفية، فإنها لم تسلم من مكر أصحاب الأفكار، والشعارات، والتيارات الهدامة.

فإن أعداء الدعوة الإسلامية يدبرون لحربها كل يوم وسيلة، ويحشدون للوقوف في وجهها كل يوم قوة، سواء في ذلك الحشود الفكرية، أو العسكرية.

وقد ابتلى العالم الإسلامي في العقد التاسع من القرن الثالث عشر الهجري بكثير من التيارات الوافدة مثل القومية (١)، العلمانية (٢)، والاشتراكية (٣) (هذه المبادئ تعادي الإسلام بما تشتمل عليه من نظم لا تتفق مع مبادئ الإسلام، ولا يعترف بها الإسلام).

وقد زرع أعداء الإسلام لها دعاة بين المسلمين، كان أغلبهم من نصارى العرب، (فظهر مبادئ القومية العربية كان على يد رجال الفكر، وغالبهم من اللبنانيين والمسيحيين الذين تشغفوا في المدارس الأمريكية في بلادهم) (٤).

(١) القومية : دعوة جاملية الحادية تهدف الى محاربة الاسلام والتخلص من احكامه وتعاليمة أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الاسلام والقضاء عليه.

الشيخ / عبدالعزيز بن باز، المجموعة الميسرة، ص ٤٠٣ .

(٢) العلمانية: دعوة الى اقامة الحياة على غير دين، وتعنى في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم . (المجموعة الميسرة، ص ٣٦٧).

(٣) الاشتراكية: مذهب سياسي واقتصادي يقوم على سيطرة الدولة على وسائل الانتاج والمساواة في التوزيع والتخطيط الشامل، د. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط ج١، ص ٤٨٦، مطبعة قطر الوطنية سنة ١٩٨٠م.

(٤) د. علي عبدالحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ١٨٢، مطبعة دار البحوث الكويتية، ط١-١٣٩٩هـ.

وفي سبيل احياء هذه الدعوات جندت الأقلام في كثير من الصحف  
السيارة مثل صحيفة "المقطم" (١) والهلال (٢) والمقتطف (٣) .

وكان هؤلاء الكتاب ينتهجون في سبيل الترويج لهذه التيارات الهدامة  
أبرع الأساليب وينفقون عليها بسخاء فتراهم يصفونها بأحسن النعوت، فهي  
التقدمية وهي السبيل الى التطور والرقي والازدهار.

وفي العالم العربي قوي التيار العلماني وقامت أحزاب وحركات تستبعد  
الاسلام وتطالب بالتغريب (٤) ويربط أصحاب هذه الدعوات والأفكار بين  
مبادئ دعواتهم وواقع المسلمين والأحوال السائدة في المجتمعات الاسلامية  
حيث التطور الذي عم الغرب فيزعمون أن هذا الازدهار نتاج تطبيق البلاد  
الغربية لتلك المبادئ.

وفي المقابل يصفون دعاة الاسلام بالرجعية ويزعمون أن الاسلام هو  
سبب التأخر والرجعية يقول الملك عبدالعزيز :

(في بلاد العرب والاسلام أناس يساعدون الأجنبي على الاضرار بجزيرة  
العرب والاسلام وضربها في الصميم والحق الأذى بنا) (٥).

- 
- (١) صحيفة المقطم : جريدة سياسية تجارية خبرية يومية صدرت يوم الاثنين ٤ مارس  
١٨٨٩م الموافق ٣ رجب ١٣٠٦هـ .
- (٢) صحيفة الهلال : شهرية - دار الهلال - القاهرة - ١٨٩٢م .
- (٣) صحيفة المقتطف : مجلة شهرية انشاءها، بمقرب صروف وفارس نمر، صدرت سنة  
١٨٧٦م .
- (٤) محمد جلال كشك، السعوديون والحل الاسلامي، ص ٢٧ .
- (٥) أم القرى (٣٢٠) ذي القعدة سنة ١٣٥١هـ .

ويقول رحمه الله :

( يقولون ان المسلمين في تأخر، وبحثوا ليجدوا طريقة لتقدم المسلمين فما وجدوا طريقة أمامهم الا أن يقلدوا الأوربيين، ولكنهم لم يقلدوا الأوربيين فيما كان سببا لقوتهم ومنعتهم... بل قلدوهم فيما يخالف ما ينتسب اليه المسلم وقلدوا ملاحظتهم في الاعراض عن دين الله. ثم هم بعد ذلك يدعون أنهم مسلمون وأنهم يدافعون عن الاسلام(١)

وكان لهذه الدعوات الهدامة مراكز قوية في مصر والشام حيث سعت لنشر العلمانية وتوجيه الأنظار نحو المادية أو بمعنى آخر الاتجاه نحو الغرب وتقليده والأخذ عنه في كل مناحي الحياة، والمطالبة باقصاء علماء الدين باعتبارهم عوائق في طريق هذا التطور، كما سعت هذه الدعوات الى إنشاء المدارس العصرية بمناهجها المعادية للإسلام لمحاولة نقض عرى الإسلام وسعوا الى احلال الحروف واللغات الأجنبية محل العربية في الكتابات في سائر أنحاء العالم.

وكان هناك من يطالب بالغاء المحاكم الشرعية وسيادة القانون الوضعي ومنع تعدد الزوجات وأن تمنح الفتاة الحرية الكاملة بحيث تفعل ما تريد ولو كان في ذلك مخالفة الشرع.

(فمظاهر هذا الغزو عبارة عن حملات التغريب للحضارة الاسلامية وللمسلمين أنفسهم لتغريب التعليم والثقافة والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتغريب الاخلاق والآداب. ثم تكون قمة التغريب بتغريب اللسان عن لغة القرآن الكريم(٢).

(١) الخطبة نشرت بجريدة أم القرى بالعدد (٢٢٢) الصادر في ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٩هـ.

(٢) الغزو الفكري ، د. علي عبدالحليم محمود، ص ٢٣ .

كل ذلك شهده العالم الإسلامي وروجت له الأبواق العميلة، بل إن هذه الدعوات وجدت لها أنصارا من أصحاب المظالم، والشهوات فبذلوا الجهد، وأثمر جهدهم أن إعتنقها الكثير من الثوريين العرب، والذين قاموا بانقلابات في بلادهم، فخلت لهم الساحة لتطبيق مبادئهم، وأفكار هذه الدعوات في بلادهم.

وقد حاربوا الإسلام، وأبعدوه عن الحياة، وقتلوا دعاة الإسلام في بلادهم يقول عبد البديع صقر :

(من الصعوبات التي تواجه الدعوة؛ إنقياد بعض المسلمين للآراء، والمبادئ المستوردة، واتخاذها ديناً، أو في مكان الدين برغم ما يبدو للعيان من فسادها نظرياً، وبرغم ما جرت على معتنقيها من دمار، وأضرار في التطبيق العملي) (١)

والواقع أن هذه الدعوات الهدامة حينما جاءت إلى بلاد العرب، وجدت بعض القلوب تطوف حول صنم المادة، ووجدت قلوباً أخرى تطوف حول صنم الشهوات، كما وجدت قلوباً تطوف حول وثن التصوف، فساقتها كلها من حول تلك المعبودات الرخيصة، وجمعتها، وذوبتها في بوتقة القومية، وشعاراتها الخلابية، ودعتها إلى تمجيد العلمانية الرخيصة.

وليس لهذه النظريات، والمبادئ من هدف أكبر، ولا أجل من أن تجد لها من الأعوان، والأنصار من يطبقونها على أبناء الأمة الإسلامية، فيباعد بها بين المسلمين، ودينهم، ويقارب بها بينهم، وبين النظريات، والمبادئ المعادية لهم.

(١) عبد البديع صقر، كيف ندعو الناس، ص ١٥٨، مطبعة المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة، سنة ١٣٩٩ هـ.

وهم بذلك يحققون كسبا بتحويل المسلمين عن دينهم الى تلك  
النظريات (١) .

(لقد شهدت هذه الأمة خلال ربيع القرن الماضي محاولات متلاحقة من  
التجارب الفاشلة على كل صعيد . . . . .)

فعلى الصعيد السياسي فشلت الاتجاهات القومية في اقامة أي شكل من  
أشكال الوحدة حتى بين قطرين عربيين اثنين .

وعلى الصعيد الاقتصادي أخفقت النظريات المستوردة - رأسمالية  
واشترابية . في ايجاد مجتمع الكفاية والعدل (٢) .

والمملكة العربية السعودية كواحدة من البلاد العربية والاسلامية تتأثر بما  
يوجد على الساحة العربية والاسلامية سلبا وايجابا بل ان هذه البلاد كانت  
مستهدفة بهذه الافكار لعلمهم بما تتمتع به من زعامة في العالم الاسلامي  
حيث أنها بلاد الحرمين وحصن الاسلام .

لكن بفضل الله فإن الذين تأثروا بهذه المبادئ في المملكة أفراد قلائل  
تمكن العلماء منهم ودحضوا حججهم وكشفوا زيف ما يدعون اليه .

كما يرجع الفضل بعد الله في سلامة البلاد من هذا الوباء الفكري الى  
فقهاء الدعوة السلفية التي جدها الملك عبدالعزيز حيث وقفت هذه الدعوة  
المباركة سدا منيعا أمام تيارات الالحاد والفساد وما انحرف من اعتقادات

(١) د . علي عبدالحليم محمود، الغزو الفكري ، ص ١٤٩ .

(٢) فتحي يكن ، كيف ندعو الى الاسلام ، ص ٥٠ ، ط ٣ - مؤسسة الرسالة ١٣٩٧ هـ .



ولا تزال . كذلك ومن المفيد أن نذكر هنا أنه في الوقت الذي سعى فيه لنشر كتب العلم . ففي الوقت نفسه اهتم الملك عبدالعزيز بمنع الكتب والنشرات المخلة بالأخلاق والعقائد من دخولها البلاد حتى أنه أمر بوضع نظام للجمارك لضبط هذه الكتب والنشرات (١) .

وكان يهدف من وراء هذه الاجراءات أن يحفظ للشباب عقيدته نقية طاهرة وأن يصون طلاب العلم من الانزلاق وراء هذه التيارات الهدامة . . .

### ثالثاً ، الاستعمار ، (٢)

الاستعمار من أقوى العوائق التي تقف في طريق الدعوة . فما أصاب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من أضرار في العقيدة أو السلوك الا وللاستعمار تخطيط ومشاركة فيه سواء الاستعمار الغربي أو الشرقي .

وما الحركات القومية والاتجاهات المادية وغيرها من معاول الهدم الا أدوات هو المحرك لمؤامراتها والمنظم لها ، فلا يزال يشير الغبار حول طريق الدعوة كي يطمس معالم هذا الطريق على الناس .

فالاستعمار الذي سيطر على كثير من البلدان العربية والاسلامية لم يكن يخطط لاستغلال ثروات تلك البلدان فحسب - كما يظن الكثير - بل كان من أهم مخططاته محاربة الاسلام وتجهيل المسلمين بدينهم ، وذلك بجميع الوسائل الممكنة له الظاهرة والخفية .

(١) الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ ، جهود الملك عبدالعزيز في خدمة العقيدة ، ص ٣١ .

(٢) استعمره : في المكان جعله يعمره ، استعمرت دولة دولة فرضت عليها سيادتها واستغلتها ومنها المستعمرة : إقليم يحكمه اجنبي يستوطنه أو يكتفي باستغلاله اقتصاديا أو عسكريا (المعجم الوسيط ج ٢/ ص ٦٢٧) .

وفي سبيل تحقيق مخططاته ضد الإسلام، قام يشجع مدارس التنصير، ويدون مناهجها، لكي ينصرف إليها المسلمون. تاركين تعاليم الإسلام، ومدارسه، وقد نجحت خطته هذه في كثير من البلدان.

وهو الذي شجع الطوائف المنحرفة، والتي تعمل باسم الإسلام في ميدان الدعوة، كالكاديانية، وبعض الطوائف الصوفية، ليتمكن من ضرب الدعوة الإسلامية من الداخل بأيد تنتمي إليها، وهذا من أخطر الأسلحة التي مارسها الإستعمار ضد الإسلام، ودعوته.

كما عمد الإستعمار إلى نشر الثقافة الغربية على نطاق واسع، في الوقت الذي أعلن فيه الحرب على الثقافة الإسلامية، ولم يكتف بذلك، بل نادى باعتبار اللغة الإنجليزية لغة رسمية في كثير من البلدان العربية، والإسلامية مما جعل شبابنا يقبلون على تعلم هذه اللغة مع جهلهم بلغتهم الأصلية.

ونجح الإستعمار في بعض هذه البلدان أن يحمل السذج من شبابنا على كراهية الإسلام، وأهله بدعوى أنه دين تعصب، وتأخر، فوقع الشباب فريسة سهلة لهذه الأفكار لجهلهم بحقيقة الإسلام.

#### ومن آثار الإستعمار :

- أ - التحزب وسهولة قيام الخصومات بين أفراد الأمة، والتطاحن على الحكم، والسلطة، واستنفاد الطاقة العسكرية، والبطولية في ذلك.
- ب - الاستهانة بالدين، وأهله، ونبذ فكرة التدين، والاستسلام لمادية الحياة، وعزل الدين عن الدولة.
- ج - الإعجاب بكل ما هو أجنبي من فكر، وتجارة، أو أشخاص.

د - الضعف العسكري واستبعاد فكرة الجهاد لاعلاء كلمة الله وتزييف التاريخ وملئه بالمغالطات والهجوم على تراثنا المجيد.

هـ - الضعف الاقتصادي عندما سلبت معظم الميزات والموارد من أهل الوطن واستولى عليها أعداؤه ولقد تجمعت رواسب هذا الواقع الأليم في مجتمعاتنا حتى صارت مهمة الدعوة من الأمور الشديدة التعقيد. (١)

والملك عبدالعزيز رحمه الله - لكونه مسلما يحب جمع كلمة الاسلام والمسلمين - قد فطن الى كل هذه الأساليب الاستعمارية ووعاها فحمى البلاد من مكرهم وصانها من عبث مخططاتهم فهو الذي قال : (العرب هم الضحية، والجاني على نفسه بجهله فاذا وعى العربي مصالحه واذا تعلم فسيدافع عن هذه المصالح ويسد الثغرات التي ينفذ منها الاستعمار. أما الانجليز فهم الاستعمار المغتصب الظالم) (٢).

وهكذا وقف الاستعمار حجر عثرة في سبيل الدعوة الاسلامية ولم يغادر البلاد العربية والاسلامية حتى ترك عملاء مدربين على نشر أفكاره والترويج لها. وبفضل الله ثم حنكة الملك عبدالعزيز وفراسته التي ألهمه الله عز وجل لم يعط الفرصة لأحد، ولم يمكن أدوات الاستعمار من تنفيذ مخططاتهم في المملكة أو غيرها ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

والاستعمار الغربي ليس وحده في الساحة، بل هناك الاستعمار الشرقي الملحد وهو أشد ضراوة وأكثر حقدًا على الدعوة الاسلامية وأهلها.

فقد استطاع أن يخدع السذج من الفقراء فوعدهم بالشراء ليشيرهم ضد الأغنياء فصنق له الفقراء وهتفوا له بالبقاء.

(١) عبد البديع صقر، كيف ندعو الناس، ص ١٦٠.

(٢) محمد جلال كشك، انظر السعوديون والحل الاسلامي، ص ٤٨.

(ولا يزال يفسد في الأرض ويسفك الدماء ويهلك الحرث والنسل ويكسب الأصدقاء من أناس من بني جلدتنا وينتسبون الى ديننا فاصبحوا يتكلمون بلسانه رغم أنه الاستعمار الذي لم يترك للناس ديناً ولا دنياً)(١) .

والمملكة بفضل الله عز وجل قد سلمت من هذا الاستعمار الملحد ثم بفضل تمسكها بالعقيدة التي تتنافى والحاده، حرص الملك عبدالعزيز على عدم إتاحة الفرصة ليدخلها الاستعمار، وقد حفظها الله ورعاها ومكن من يقيم شرع الله فيها .

كما أن الاستعمار الغربي لم يكن له سلطان على هذه البلاد في عهد الملك عبدالعزيز وحتى الآن .

فالاستقلالية هي سمة قرارات هذا البلد منذ عهد الملك عبدالعزيز ولاتأثير على المنهج أو القرار الا للاسلام .

(ان من الصعوبات الخارجية التي تواجه الدعوة أن كلا المعسكرين الشرقي والغربي يرون أن تمسك هذا الشرق باسلامه يضر مصالحهم التجارية ضرراً بليغاً، وهذا حق .

فلو تمسك المسلمون - مثلاً - بقوله تعالى : "يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم"(٢) لاقفلت آلاف البنوك أبوابها)(٣) .

(١) د. محمد إيمان الجملي، أضواء على طريقة الدعوة الى الاسلام، ص ٢٣٠، ط الرئاسة

العامة للإفتاء والدعوة والارشاد، سنة ١٤٠٤هـ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٧٦

(٣) عبد البديع صقر، كيف ندعو الناس، ص ١٦١

يقول الشيخ محمد الغزالي :

(تفرست في بدائل كثيرة قدمها الإستعمار لنا لكي تصرفنا عن دين محمد... إنها بدائل في ميادين السياسة، والإقتصاد، والقانون، والأخلاق والأدب والسلوك.

قالوا الولاء للتراب الوطني... قلنا نحن نحب أوطاننا، ولكن ولاءنا لرب الأرض، والسماء... قالوا الولاء للدم، والجنس... قلنا نحن نحب قومنا، ولكن حبنا لربنا أقوى، وأوثق، ولا تناقض بين حبنا لربنا، وحبنا لأهلنا.

وبدأت غارات اليهود على فلسطين يؤزرها الحقد الاستعماري القديم، وإذا بيهود اليمن، والعراق، ينضمون إلى يهود بولندا، وروسيا في ضربنا أين الوطنية المزعومة؟ سبحان الله كأن الوطنية استجلبت لتمزيق الإسلام وحده... إذن المراد الإلتفاف بالامة الإسلامية وحدها، ومخادعتها عن رسالتها... إن الحقد كله على الإسلام، ونبي الإسلام، ورجال الإسلام، ودعاة الإسلام وإن استتر تحت عناوين خداعة، وكلمات حديثة (١).

(١) محمد الغزالي، هموم داعية، ص ١٠٤، طبع دار الحرمين ط ١، سنة ١٤٠٣ هـ.

## الفصل الأول

### الجهود الرسمية العامة في الدعوة

ويحتوي على مبحثين :

- المبحث الأول : تقرير الشريعة.
- المبحث الثاني : تأسيس العلم ونشره.

**المبحث الأول**  
**تقرير الشريعة**

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : تقرير الشريعة في العبادات  
والمعاملات .
- المطلب الثاني : اقامة الحدود الشرعية .

## المطلب الأول

### تقرير الشريعة في العبادات والمعاملات

الشريعة معناها في اللغة : المواضع التي ينحدر فيها الماء . ومعنى شرع أي نهج وأوضح وبين المسالك ، وقد شرع لهم يشرع شرعا أي سن (١) .

وهي في الاصطلاح ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام (٢) .

وقد سمي الله ماجاء به الأنبياء شريعة قال تعالى : "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" (٣) .

والمراد بما شرعه الله : توحيده وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وبسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما .

وقال عز وجل مخاطبا رسله : ( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ) (٤) .

وقال تعالى مخاطبا نبيه - صلى الله عليه وسلم - :  
( ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ) (٥) .

والشريعة هنا الأمر والنهي والحدود والفرائض فما أوصى الله به نبيه صلى الله عليه وسلم يسمى شريعة (٦) .

(١) لسان العرب ، ج ١٠ / ص ٤٠ .

(٢) المعجم الوسيط ، ج ١ / ص ١٧٩ .

(٣) سورة الشورى / الآية ١٣ .

(٤) سورة القائدة / الآية ٤٨ .

(٥) سورة الجاثية / الآية ١٨ .

(٦) د. سعود بن سعد الدريب : التنظيم القضائي في المملكة في ضوء الشريعة - ص ٢٢٤ ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ، الرياض ، مطابع حنيفه للأنست .



وتتميز الشريعة الإسلامية بأنها شريعة شاملة كاملة تنظم كل الحقوق والواجبات، فهي دين ودولة تنظم حياة الفرد والجماعة تنظيماً يسعدون به في الدنيا وينالون به الأجر والنعيم الأبدي في الآخرة.

والشريعة تنتظم عدة أحكام هي :

- ١ - العقيدة والأخلاق والعبادات .
- ٢ - الأحكام العملية من معاملات مالية وأحوال شخصية والجرائم والعقوبات .
- ٣ - الأحكام الدولية .
- ٤ - الأحكام الدستورية التي تنظم علاقة الفرد بالدولة (١) .

والإسلام عقيدة وشريعة، شريعة للعمل والحياة، شريعة للنظام والتطبيق، شريعة للسعادة والتقدم، شريعة تنظم علاقة الإنسان بربه وتحكم علاقته بنفسه وتواكب علاقته بأفراد مجتمعه، فالإسلام دين ودولة إيمان ونظام.

والتحاكم إلى الشريعة الإسلامية أمر مرتبط بالإيمان بالله عز وجل والشريعة من عند الله، وهذا يضمن خلوها من معاني النقص والهوى والجهل لأن الله تعالى له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله، وعليه فإن أثر هذا الكمال يظهر فيما يشرعه من أحكام ومناهج فلا بد وأن يكون كاملاً.

هذا بخلاف ما يرضه البشر من أحكام فإنه لا ينفك عن معاني النقص والهوى والجهل؛ إذ أنها معاني لاصقة بالبشر يستحيل تجردهم عنها بالكلية ومن ثم تظهر فيما يشرعونه.

والشريعة الإسلامية نظام شامل لجميع شؤون الحياة وسلوك الإنسان. والشريعة الإسلامية تامة كاملة غطت كل الجوانب التي لم تأت في الشرائع السابقة بما أهلها أن تكون خاتمة للشرائع.

(١) د. سعود الدريب : المرجع السابق ، ص ٢٤ ، ٢٥

قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)(١) .

ومن هذا الشمول والكمال لا حاجة لمجئ شريعة أخرى . والشريعة الاسلامية ما جاءت الا لتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة ، واستقراء نصوصها يؤكد ذلك أن مقصود أحكامها حفظ الضرورات - الدين والنفس والعقل والمال والنسل - وحفظ الحاجيات والتحسينيات .

قال ابن قيم الجوزية :-

(ان الشريعة مبناهما وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وان دخلت فيها بالتأويل فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة واصدقها)(٢) .

والشريعة أمر ماض لا يرد ولا يناقش فلا تؤخذ فيه آراء الناس ولا خياراتهم قال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)(٣) .

إذا فهذه الشريعة فيها كل المقومات التي تجعلها صالحة للجميع في كل زمان ومكان وهذا من فضل الله على الانسان .

وسوف يكون بحثنا الآن عن جهود الملك عبدالعزيز في مجال تقرير الشريعة في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية .

\* \* \*

(١) المائدة / الآية ٣ .

(٢) ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين ، ج٣ / ص ١٤ .

(٣) الأحزاب / الآية ٣٦ .

بنى الملك عبدالعزيز دولته وأقام نظامه في المكان نفسه الذي بعث فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل عليه الوحي فيه وجاهد فيه وأقام دولته فيه .

هو المكان نفسه الذي شهد الدولة الإسلامية للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعاً .

وان كان المؤرخون يقسمون تاريخ الدولة السعودية إلى ثلاثة عهود فان وجه الشبه بين هذه العهود هو حرص الحكام والعلماء في العهود الثلاثة على الأسس والمبادئ الإسلامية وتقديم التوضيحات في سبيل نشر الدعوة السلفية واتخاذ الشريعة الغراء منهجاً للبلاد .

وقد كانت جزيرة العرب قبل عهد الملك عبدالعزيز أيام حكم العثمانيين ممزقة الشمل؛ حيث كانت أحكام الشريعة غير مطبقة تطبيقاً سليماً أو غير مطبقة بالمرّة واستبدل بها أحكام جرت مجرى العرف وكان التمسك بها شديداً لأنها من وضع السلف ولأن الخلف وجدوا آباءهم معتزين بها ومطبقين لها وهذا مما جعل تغيير هذه الأوضاع البعيدة عن الإسلام أمراً في غاية الصعوبة .

ومما جاء عن الشيخ محمد رشيد رضا أن العرب إبتلوا بالترك المتعصبين لجنسهم يحاولون هدم لغتهم فدينهم أو يكونوا تركاً فكان من أمرهم ما كان .

ثم ابتلى العرب (ابتلاء حسناً) بعبدة العزيز بن سعود فالمرجو أن يكون هذا من الابتلاء بالحسنات بعد السيئات وبالخير بعد الشر وعسى أن تكون عاقبة ما ذكر من الابتلاء الرجوع إلى الله تعالى باقامة سنته في السياسة والاجتماع وشرعه في الحق والعدل(١) .

(١) انظر محمد رشيد رضا : الوهابيون والحجاز ، ص ٨٧ ، مطبعة المنار ، مصر ، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٣ هـ .

وكانت هناك في منتصف القرن الثالث عشر الهجري - وما زالت حتى اليوم في كثير من البلاد الإسلامية - ظاهرة خطيرة في تاريخ الأمة الإسلامية ألا وهي ظاهرة الإحتكام إلى القوانين الوضعية والغاء أحكام الحدود الشرعية .

ولما كان القضاء ركنا من أركان الدولة وجزءا هاما من مقومات المجتمع وتقع عليه مسؤولية حماية الأنفس والأرواح والأموال والحقوق، وتحقيق الهدوء والسلام في المجتمع، وهو رمز سيادة الأمم واستقلالها، وتاريخ القضاء في كل أمة عنوان مجدها .

لكل ذلك سوف نتعرض بإيجاز لملامح الحياة القضائية قبل تولي الملك عبدالعزيز .

فأما القضاء في نجد وأقاليمها فلم يعرف فيه أي تنظيم قضائي؛ حيث ظل القضاء لمدة ليست بالقصيرة يقوم على قضاة منفردين في أمهات المدن .

فكان في كل مدينة قاض يحكم بين المتخاصمين على الوجه الشرعي فان رضيا والا رفع الى الأمير لينفذ ما يراه .

ومحكمة القاضي تكون بيته أو المسجد وربما كان في الطريق .

فالقضاء في نجد كان يتسم بالبساطة في الاجراءات، فكل شيء يتم شفويا حتى الأحكام لا تكتب لها صكوك إلا فيما ندر، كما كانت هذه الأحكام تصدر في نفس اليوم وكان مذهب الامام أحمد بن حنبل هو المذهب الذي عليه أهل نجد(١)، مع الأخذ في الغالب باختيارات وترجيحات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومن بعدهما أئمة الدعوة في البلاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأولاده وأحفاده وتلاميذه - والأخذ بالقول الذي يستند الدليل القوي في أي من المذاهب الأربعة .

(١) حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين / ص ٣٠٠

انظر محمد بن ناصر الشثري : اتحاف اللبيب ، ص ١٨٢ .

أما البوادي فقد كان هناك ما يسمى بحكم "العارفة" والعارفة كالقاضي عند الحضر، وهو فرد مشهور بالحكمة والاطلاع على العرف والعادات القبلية (١).

أما المناطق التي كانت تحت السيطرة العثمانية فقد كان القضاء فيها منظماً، ويسير وفق أنظمة القضاء العثماني؛ إذ كان القضاء في الحجاز وعسير والاحساء قد ناله شيء من التنظيم فيما يتعلق بترتيب المحاكم وسير الاجراءات. وقد تأثر تأثراً كبيراً بالنظام القضائي العثماني في طول اجراءاته المتسمة بالرتابة والبطء، بالإضافة إلى ما انتابه من ضعف ضمائر بعض القائمين عليه. وكان أكثر القضاة آلة في يد شريف مكة، وفي الغالب لا يحكم في الدعوى قبل تقديم الهدايا للقاضي (٢).

وأما عن المحاكم فلم تكن معروفة بهذا الشكل الموجود الآن ولا بهذا العدد.

(وكان في مكة المكرمة محكمة كبرى تحال اليها قضايا الأوقاف والزوجية ويتولى البت فيها الأعضاء وفق ماصح من أقوال المذاهب) (٣).

والى جانب هذا كان يوجد نظام العشائر لأن الشريف حسين حينما أعلن الثورة على الخلافة العثمانية أصدر قراراً بالغاء الأنظمة العثمانية والرجوع إلى النظام القبلي على العرف (٤) وهكذا نرى الخلل الذي كان ينتاب عملية التطبيق لاحكام الشريعة والذي يصل في بعض المناطق إلى حد التعطيل وعدم التنفيذ.

(١) د.سعود الدريب، الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة، ص ٦١-٦٤.

(٢) حافظ وهب، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ١٥١.

(٣) د.سعود الدريب، الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي بالمملكة.

(٤) حافظ وهب، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ١٥١.

لقد أدرك الملك عبدالعزيز - بثاقب نظره - أن خلق الله لا يمكن أن يصلح لهم أي نظام حكم غير النظام الرباني وكان لذلك الإدراك الأثر الكبير في نجاح جميع أموره في شبه الجزيرة (١) وعندما شرع الملك عبدالعزيز في تأسيس دولته على مبادئ الدين الحنيف كانت صورة الحكم الاسلامي مهتزة في أذهان بعض الناس لأنهم نظروا الى الاسلام من خلال واقع المسلمين وأعمالهم وما ارتكبه من أخطاء.

وكانت حملات التشكيك في قدرة الشريعة على مواكبة الحضارة الحديثة والوفاء بمتطلبات الحياة العصرية المتطورة محل طعن. وقد انساق وراء هذا الوهم طائفة من زعماء المسلمين وقادتهم فطبقوا القوانين الوضعية في بلادهم واتبعوا أنظمة بعيدة عن الدين.

أما الملك عبدالعزيز فلم يصنع الى ذلك لأنه يؤمن بالاسلام عقيدة وشريعة ونظاما للحياة، وان التمسك بالاسلام يعصم من الضلال. فسارع الى انفاذ الشريعة وتطبيق أحكامها (ولم يتعلل بعدم وجود فقه تفصيلي، ولم يخف من نتائج تطبيق الشريعة لأنه لا يخاف هذه النتائج إلا من نوى الظلم والفساد في الأرض، والملك عبدالعزيز رجل عرف من سيرته بأنه محب للعدل مقيم له كاره للفساد مقاوم له (٢) فلم يبتدع نظاما ولم يشرع قانونا بل ماعمله في هذا السبيل هو أنه أحيا سنة القرآن الكريم وأيقظ في النفوس وازع الايمان ففجّر فيها القوة في التضحية والانضباط في التزام ما شرعه الله لعباده.

(١) مهندس / سليمان بن علي الشايع ، الملك عبدالعزيز وأثره في التاريخ المعاصر، ص ٣٨.

(٢) عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الملك عبدالعزيز والمملكة العربية السعودية، المنهج القويم في الفكر والعمل، ص ٤٢، محاضرات المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٩-٢٣ ربيع الأول سنة ١٤٠٥هـ، مطابع جامعة الإمام.

وعندما دخل الملك عبدالعزيز مكة المكرمة في السابع من جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ قال قبل سفره: (اني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها بل لرفع المظالم والمغارم التي أرهقت كاهل عباد الله. اني مسافر إلى حرم الله لبيط أحكام الشريعة وتأييدها فلن يكون هناك بعد اليوم سلطان إلا للشرع). (١)

وأوصى العلماء ورجال القضاء فقال: (ان كتاب الله ديننا ومرجعنا وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دليلنا وفيها كل ما نحتاجه من خير ورشاد، ونحن من جانبنا سنحرص ان شاء الله كل الحرص على اقامته واتباعه وتحكيمه في كل أمر من الأمور). (٢)

وهكذا اتخذت المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز كتاب الله وسنة رسوله دستورا تعمل بموجبه وتطبق أحكام شريعته السمحة في جميع أنحاء المملكة وعلى الجميع من بدو وحضر باعتبارها شريعة الله التي تدعو إلى مكارم الاخلاق وتدعو إلى التعايش الاجتماعي في أمن وسلام.

فكون هذه الشريعة من عند الله يحمل الناس على احترامها وطاعة قواعدها لأن في هذه الطاعة قرينة إلى الله عز وجل، ولا يخفى على أحد أثر التعاليم الشرعية في مجال العبادات والمعاملات من تحقيق لمصالح العباد وتنظيم العلاقة بينهم والقضاء على المعاملات الفاسدة. ومن ثم فقد حرص الملك عبدالعزيز على تطبيق الشريعة الاسلامية واعادة تنظيم الولايات الاسلامية التي كانت موجودة في عصور الازدهار الاسلامية، ومنها ولاية الحسبة وولاية المظالم، فكان رحمه الله أول ولاة الامر السعوديين الذي نظم ولاية الحسبة بشكل رسمي فأنشأ هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز سنة ١٣٤٦هـ وفي نفس العام وضع حجر الأساس لديوان المظالم في شكله الأول

(١) عبدالمنعم غلامي، حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٨٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٤.

والذي كان يعرف "بصندوق الشكاوي" وابتداء من سنة ١٣٥٠هـ خصص الملك ساعتين من وقته يوميا للنظر في الشكاوي المقدمة من المتظلمين<sup>(١)</sup>.

قال رحمه الله: (الحقيقة أن الاسلام هو اتباع كتاب الله تعالى وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم"<sup>(٢)</sup> وقال عز وجل "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"<sup>(٣)</sup>.

وتأكيدا لهذه الأقوال الصادرة عن الملك عبدالعزيز وضع امام الهيئات مهمة صيانة عقيدة التوحيد وتحكيم الشريعة وقرر الملك أن تكون هذه الهيئات في جميع البلدان، وكتب إلى العاملين بهذه الهيئات المهام الموكلة اليها في مجال العبادات والمعاملات وأحكام الشريعة... وأهمها:

(١) الزام الناس بالمحافظة على الصلوات الخمس في جماعة وحض الناس على تعلم الدين والقيام على أهل المنكرات.

(٢) جباية الزكاة وصرفها في مصارفها التي أمر الله بها والتحقق من أدائها على الوجه المشروع وان ظهر لهم منع أحد من اخراج الزكاة تؤخذ منه على الوجه الشرعي متحرين للعدل.

(٣) صيام شهر رمضان ومنع أي مظهر يتنافى مع طبيعة هذا الركن العظيم من أركان الاسلام.

(١) د. محمد كمال امام ، اصول الحسبة في الاسلام، ص ١٤٨ .

(٢) سورة النساء ، الآية ٦٥ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٤٤ - وهي من خطبة للملك نشرت بجريدة أم القرى بالعدد

(٦٣٧) بتاريخ ١١ ذوالحجة ١٣٥٥هـ .



(٤) تفقد ما ظهر من معاملات الناس وكشف التعامل الربوي منها والعقود الفاسدة فما عثروا عليه يخالف الشرع أبطلوه وأدبوا صاحبه.

(٥) تأديب من وجد منه غش أو خيانة أو بخس في المكاييل والموازين حسب الحال.

(٦) النظر في الأوقاف وإيصالها إلى مستحقيها والعمل بنص الواقف مالم تخالف نص الشرع. ومتابعة تنفيذ الأوقاف الخيرية على المساجد وطلبة العلم.

(٧) مسائل المديونيات : (قلب الدين على المدين) فالمعسر يجب انظاره إلى ميسرة ولا يجوز التحايل على ذلك، لأنه من الظلم المخالف للشرعية. والارفاق بالمضطر لأن بيع المضطر مكروه والتضييق على المحتاج لا ينبغي بل يجب الاحسان والترفق به. (١)

ولما توحدت الدولة ودخلت المملكة دور الدولة الحديثة في العديد من المجالات تنوعت المعاملات وظهرت نظم ومؤسسات ادارية حديثة احتاج الأمر إلى احلال جهات متخصصة (٢) محل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استمرار قيامها بعملها في مجالها الرئيسي وهو الحسبة.

وتمثلت هذه الجهات في العديد من الجهات القضائية فجانبا القضاء الشرعي أوجد التطور الحديث في الدولة نظام القضاء التجاري والقضاء

(١) من رسالة جامعة للملك عبدالعزيز إلى العاملين ببيئات الأمر بالمعروف - مخطوطة بدارة الملك عبدالعزيز برقم (١٩٢).

(٢) مثل وزارة الداخلية في تنظيم الأمور ومراقبة الطرق ووزارة التجارة في حماية المستهلك ومكافحة الغش التجاري ووزارة الشؤون البلدية والقروية في مراقبة المكاييل والموازين والأسواق العامة، وكهيئة المواصفات والمقاييس.

المختص بقضايا العمال والجمارك والقضاء الاداري المتمثل في ديوان المظالم الذي سبقت الاشارة اليه، وكان للقضاء بتعدد أنواعه وظيفة أساسية هي تنفيذ أحكام الشريعة باعتباره أساس نظام الدولة ومظهر السيادة فيها .

ولما تمكن الملك عبدالعزيز من ضم بقية أقاليم المملكة اهتم بالقضاء انطلاقا من نظرتة المتميزة باشاعة العدل كأساس للاستقرار في ربوع الدولة يقول رحمه الله : (أحبيت أن أنظر في شؤون المحاكم الشرعية وترتيبها من الوجه المطابق للشرع)(١) فقد أولى القضاء الكثير من الاهتمام واقامه على تحكيم الشريعة الاسلامية في جميع مظاهر الحياة واخضع جميع القوانين التي كانت تسن في الدولة للشرع .

(كان على الملك عبدالعزيز أن يسعى جاهدا لتحقيق التوافق بين الأنظمة القضائية الموجودة واعادة صياغتها وفق بنود الشريعة فأوكل هذه المهمة إلى مجلس الشورى(٢) والذي كان من أهم اختصاصاته النظر في نظام المحاكم وترتيبها بصورة تضمن تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقا لا يجعل مجالا للهوى(٣)).

كما اصدر العلماء فتوى بتاريخ ٨ شعبان سنة ١٣٤٥هـ وجاء فيها : (وأما القوانين فان كان موجود منها شيء في الحجاز فيزال فورا ولا يحكم إلا بالشرع المطهر)(٤).

ومن التنظيمات التي أصدرها الملك عبدالعزيز في مجال القضاء ان عين

(١) جريدة أم القرى العدد (١٣٨) الصادر في ١٧/١/١٣٤٦هـ .

(٢) انشيء مجلس الشورى بمكة المكرمة سنة ١٣٤٤هـ .

(٣) جريدة أم القرى عدد (٣٢) في ١٦/١/١٣٤٤هـ .

(٤) الدرر السنية ٣١٩/٥/ .

في الرياض قاضيين احدهما للحاضرة وآخر للبادية (١) وهو تنظيم لم تعهده الرياض من قبل وكان بعض المناطق والقبائل في المملكة يتحاكمون إلى بعض الأعراف والتقاليد المخالفة للشرع فكان الملك عبدالعزيز يرسل العلماء إلى كافة المناطق والقبائل ليتولوا القضاء بينهم فجاهد اولئك العلماء كثيرا لإزالة هذه العادات الجاهلية المترسبة في نفوسهم وحذروهم من التحاكم إلى غير ما أنزل الله بعقاب الله في الآخرة وعقاب ولاية الأمر في الدنيا.

كما كانت هناك عادات جاهلية أخرى مترسبة في نفوس البوادي؛ وكان كل قاض حريصا على علاجها ومنها مسائل التحجر (٢) ويحصل من آثار هذا الحجر مفسد كثيرة من اكراه أو من اعطاء ذلك المتحجر ما لا يستحقه.

وكان العلماء ينكرون هذا التحجر أشد الانكار، وكانوا ينكرون عقود النكاح التي تقوم على التحجر ولا يعقدون حتى يتحققوا من الرضا والموافقة وعدم الموانع التي تفسد ما بين الزوجين كما كانوا يدفعون بهذه القضية أو المسألة المنكرة إلى ولاية الأمر لمحاربتها وإزالتها من النفوس، وكان القاضي يتفقد الشروط التي بين الزوجين قديما وحديثا ويطبقها على الشروط الشرعية فإذا كانت هناك خلافات يسيرة ليس لها تعلق بما يخالف الشرع حرص على إزالتها ورد الزوجة إلى زوجها والجمع بين الزوجين واشترط الشروط الشرعية على كل منهما.

وهكذا شرع الملك عبدالعزيز يتبع القول العمل في مجال تطبيق الأحكام الشرعية في كل الشؤون الإجتماعية والاقتصادية، يقول الملك عبدالعزيز رحمه الله :

- (١) كان الشيخ سعد بن حمد بن عتيق مكلنا بالنظر في قضايا البادية لأنها تستلزم سرعة البت لعدم استطاعة أبناء البادية للانتظار، أما الحاضرة فقد خصص لهم الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (الزركلي / تاريخ شبه الجزيرة ج٢ / ص ٤٢٥).
- (٢) التحجر : أن يحتكر القريب نكاح ابنة عمه أو قريبته فلا تنكح غيره.

(ان اعتصامي بالله وسيري على الطريقة المحمدية واقتدائي بعلماء المسلمين يدعوني - ان شاء الله تعالى - لعدم الجموح بالنفس وقد عاهدت الله على ثلاث :

- ١ - الدعوة لكلمة التوحيد وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل .
- ٢ - الأخذ على يد السفية وتحكيم السيف فيه .
- ٣ - الإحسان للمحسن والعفو عن المسيء (١) .

وبفضل هذه الجهود التي قام بها الملك عبدالعزيز تمكن العلماء في المملكة من السير بالقضاء وفق كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما يتبع هذين المصدرين من أصول معتبرة في طرق الاثبات والاجتهاد القضائي وفق تعاليم الشريعة الإسلامية ، وفي ظل هذا النظام الاسلامي أقيمت الحدود وحفظت الحقوق والمصالح وتوطد الأمن .

وقد ذكر الزركلي ١٢٤ محكمة منتشرة في مدن البلاد وقراها :  
في مكة ثلاث محاكم وفي المدينة محكمتان وفي الطائف محكمتان  
وجده محكمتان وكذلك في الظفير وقلوه وبيشه والخرمه وتربه ورنيه والمويه  
وعفيف ورابع وينبع وأملج والوجه وضباء والعلا وتبوك وحقل والقريات  
والجوف وخيبر والمهد ومدركه .

وفي نجد محاكم : في الرياض والخرج والدلم والحوطه والحلوه والأفلاج  
والحريق والسليل ووادي الدواسر وضرمى وحريملا وحائل وبريده وعنيزه  
والبيكرية والزلفى والرس والمذنب وشقرا والمجمعه وباطن سدير والشعيب  
والمحمل والحائط والحويط والفواره والداهنه والعسيله وسنام والرین والأرطاوي  
والقويعية والدوادمي ومرآة ودخنه وقبه والشبيكيه والقواره والأرطاوية وساجر  
وعروى ونفى .

(١) من خطبة للملك عبدالعزيز نشرت بجريدة أم القرى بعدد (٢٢٨) .

وفي بلاد عسير محاكم : في أبيها ومحائل ورجال ألمع وبنى شهر وبارق  
قنا والبحر وظهران الحرجه وتثليث والمشرف والمجاردة وبالاسمر والأحمر  
والسراة وخميس مشيط ونجران .

وفي تهامة عسير: في جازان وصبيا وأبي عريش وصامطه وبنى مالك  
وقحمه وفيفا والمسارحة والعارضة والدرب وبيش والليث والقنفذه والعرضيه  
والبرك .

وفي الأحساء : في الهفوف والمبرز والخبر والظهران والدمام والقطيف ورأس  
تنوره والجبيل وقريه والحفر .

والبلدان التي فيها قضاء للقضايا الجزئية هي :  
بحره والمضيق وبدر والحرث والخويه والشقيق والريث وبنى حريص  
وهروب وبالغازي والحقو وفراسان(١) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله :  
(صلاح أمر السلطان بتجريد المتابعة لكتاب الله وسنة نبيه وحمل الناس  
على ذلك فالله سبحانه وتعالى جعل صلاح أهل التمكين في أربعة أشياء :

\*\*\* أقام الصلاة وابتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر \*\*\*

فاذا أقام الصلاة في مواقيتها جماعة هو وحاشيته وأهل طاعته وأرر بذلك  
جميع الرعية وعاقب من تهاون في ذلك العقوبة التي شرعها الله فقد تم هذا  
الأصل .

ثم كل نفع وخير يوصله إلى الخلق هو من جنس الزكاة، فمن أعظم  
العبادات : سد الفاقات وقضاء الحاجات ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف .

(١) الزركلي : شبه الجزيره في عهد الملك عبدالعزيز ج ١ ص ٤٣٠ - ٤٣٢ .

والأمر بالمعروف هو الأمر بما أمر الله به ورسوله من العدل والاحسان وأمر نواب البلاد وولاة الأمر باتباع حكم الكتاب والسنة واجتناب حرمان الله .

والنهي عن المنكر هو النهي عما نهى الله عنه .

وإذا تقدم السلطان بذلك في عامة بلاد الإسلام كان فيه من صلاح الدنيا والآخرة له وللمسلمين ما لا يعلمه إلا الله . والله يوفقه لما يحبه ويرضاه (١) .

وهكذا يتضح لنا أن عقيدة الأمة وشريعتها هي قوام وحدتها وأن تطبيق الأحكام آية الايمان بالله لأنه المنهج الموافق للفظرة، وأن الملك عبدالعزيز -رحمه الله- قد سار على هذا النهج الحميد .

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية يكاد يكون هو النظام الوحيد - للأسف الشديد - في البلاد العربية المستمد من الشريعة الإسلامية .

وتعتبر المملكة العربية السعودية الرائدة من بين الدول المعاصرة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في كافة النواحي والقضايا والأحوال المدنية والتجارية والجنائية والأحوال الشخصية بفضل الله ثم بجهود الملك عبدالعزيز الذي لولا أن الله من عليه بالاصرار على تنفيذ أحكام هذه الشريعة السمحة لكانت البلاد اليوم فريسة القوانين الوضعية، ولأصاب الناس من التعقيد والتيه ما لا يعلمه إلا الله، لكن الالتزام بالأحكام الشرعية الإسلامية في جميع الأمور وخاصة في أنظمة القضاء ربط مجتمعنا بالصدر الأول للإسلام .

والنظام القضائي الإسلامي نظام صالح لكل زمان ومكان بحيث يستطيع أن يساير الحياة في تقدمها وارتقائها بما يضمن العدل والنزاهة والانصاف .

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية - م ٢٨ ص ٢٤٢ .

## المطلب الثاني

### اقامة الحدود الشرعية

**تمهيد** .. ان الدين يدعم مقاومة المجتمع لبواعث الجريمة ودوافع الانحلال، ويكبح جماح نوازع الشر الكامنة في النفس الأمارة بالسوء. وتعتبر الشريعة الإسلامية الأخلاق الفاضلة أولى الدعائم التي يقوم عليها المجتمع، ولذلك فهي تحرص على حماية هذه الأخلاق وتعاقب على كل جريمة من شأنها المساس بالأخلاق.

فاذا صيئت الأخلاق فقد صيئت الصحة والعقول والأعراض والأموال والدماء واستتب الأمن واستقر النظام.

واقامة الحدود جزء من الشريعة الإسلامية، وهي بطبيعتها شريعة عالمية لا اقليمية أراد الله سبحانه وتعالى تطبيقها على كافة الناس في جميع بقاع الأرض وهم مخاطبون بأحكامها مطالبون بتنفيذها من أجل نشر السلام على هذه الأرض.

والعقوبات في الشريعة جاءت مفصلة لعدد من الجرائم وهي الردة وقتل النفس والزنا والقذف والسرقه وقطع الطريق وشرب الخمر.

أما الجرائم الأخرى فقد تركت الشريعة تقدير عقوبتها إلى القاضي وتسمى جرائم التعزير.

- \*\* فحد الحرابة لحماية الطرق والمجتمعات .
- \*\* وحد السرقة لحماية الأموال .
- \*\* والقتل قصاصا لحماية الدماء .
- \*\* وحد القذف والزنا لحماية الأعراض .
- \*\* وحد الخمر لصيانة العقول .

والعقوبات المقدرة كلها خير وصلاح وعدل ووقاية للمجتمع من الشرور  
والمفاسد ولايستغني أي مجتمع فاضل عنها لأنها بنيت على أساس العدالة  
وتحقيق الزجر الكافي للمجرم وحفظ مصلحة الفرد والجماعة.

والمعروف أن الحدود بطبيعتها تقوم على العدل التام فلا يفرق فيها بين  
حاكم ومحكوم ولا بين غني وفقير ولا تقبل فيها الشفاعة. وهذا سبب اصلاح  
المجتمع.

ولقد استشرت الجريمة في كثير من المجتمعات وعجزت القوانين  
الوضعية عن صد تيار الاجرام ونوازع الشر، وأجهد العلماء أنفسهم في وضع  
التشريعات والتعديلات لهذه القوانين الوضعية الخاصة بالجريمة والعقاب،  
وفاتهم أن الصلاح الوحيد هو ما أمر الله جل شأنه به عباده وما ارتضاه لهم من  
أحكام ، وما حدد من عقوبات فالدواء بين أيديهم لكنهم جهلوه او  
تجاهلوه.(١)

#### اقامة الحدود في عهد الملك عبدالعزيز واثرها في اصلاح المجتمع :

ان الدين الاسلامي بجميع ما احتواه من عبادات ومعاملات واعتقاد  
واخلاق يعتبر كلا لا يتجزأ، فهو وحدة متكاملة لا يتحقق ايمان المرء اذا انكر  
بعضه ولو أقر بالبعض الآخر.

فمن أنكر شرعية الوضوء أو استباح شرب الخمر كان كمن أنكر وحدانية الله  
لأن كل ذلك من الدين الذي تعبد الله به عباده. وعليه فمن انكر تشريعا من  
العقوبات أو اعتقد أنها غير صالحة أو أن غيرها أصلح.منها أو شك في ذلك  
لا يكون مؤمنا ويعامل معاملة المرتدين :

(١) محمد خاطر ، اثر تطبيق الحدود في المجتمع ، ص ٢٤٩ من بحوث مؤتمر الفقه  
الاسلامي المعقود بجامعة الإمام محمد بن سعود سنة ١٣٩٦هـ.



(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب) (١) .

وحيث إن هناك ارتباطا وثيقا بين تطبيق الحدود الشرعية وبين استتباب الأمن ، فمن الضروري أن نشير إلى أن الاضطرابات والخلافات السياسية قد أفقدت شبه الجزيرة العربية جو الاستقرار والأمن كما أفقدتها في العقد الثالث والرابع من القرن الرابع عشر السلطان القاهر الذي يستطيع أن ينفذ هذه الحدود .

فالقبايل الواقعة على الطرق الرئيسية التي يكثر فيها سير قوافل الحجاج وقوافل التجارة كالطريق بين جدة ومكة وبين البحرين والاحسان ، كانت هذه القبائل تفرض على الحجاج والتجار اتاوة تسمى (الخوة) تدفع إلى كل قبيلة يمرون من الجزء الذي تسيطر عليه من الطريق ، وفي حالات كثيرة كانوا لا يسلمون من السلب والنهب بل القتل أحيانا (٢) وفي الوقت الذي يعتبر فيه أهل الحضرة هذه الأعمال سرقة أو حراقة توجب الشريعة فيها القطع أو الصلب أو القتل أو النفي ، كان البدو يعتبرون هذه الأفعال من قبيل الغزو الذي يمكنهم من اثبات ذاتهم وقوة نفوذهم .

وبدهي أن الذي كان يساعدهم على ذلك صعوبة وصول يد السلطات اليهم للامتداد الشاسع لمناطقهم وانتشارهم المتناثر في رمالها ودروبها ووديانها ووعورة كثير من طرقها وبطء الاتصال بهم لمعرفة أخبارهم والوقوف على تحركاتهم .

(١) سورة البقرة : الآية ٨٥ ، وانظر د. عبدالسميع امام : اثر تطبيق الحدود في المجتمع ص ٢٥٧ .

(٢) سياسة الملك عبدالعزيز لحفظ الأمن ، أ.د حسن الساعاتي من بحوث مؤتمر الملك عبدالعزيز وهي دراسة ميدانية لتطبيق التشريع الجنائي وأثره في مكافحة الجريمة بالمملكة ص ٦ .

كما كان يشجعهم في بعض الأقاليم كالحجاز مثلا تغاضي السلطات عن اعتداءاتهم الجنائية كما حدث مع بطون قبيلة حرب التي كانت تعلن أن الشريف حسين - والي مكة - كان يتركهم يتعاملون مع الحجيج وفق مصلحتهم الخاصة(١).

أي أن بعض القبائل كانت تعتبر - في غياب التطبيق العملي لأحكام الشريعة - السطو والقتل والنهب مصدرا رئيسيا للرزق، ولعل مرد ذلك - كما أشرنا سابقا - هو تفشي الجهل بينهم والفهم الخاطيء لأحكام الدين وتمسكهم المتعصب بما ورثوه من قيم وأفكار وتقاليد لا تتفق ومبادئ الشرع الحنيف. هذا فضلا عن فقرهم الشديد الذي كان يدفع الكثير منهم إلى الحصول على القوت بالعدوان.

ولم يكن عدوان البدو وتعددهم حدود الله قاصرا على الطرق الرئيسية التي تمر بها القوافل، بل تعداه إلى البقاع الزراعية والتي لم تكن تسلم من غاراتهم البدوية التي تسلبهم ثمار جهودهم ونتاج ماشيتهم، وفي بعض الأحيان كان المطر ينزل وتخضر الأرض، ولكن أهلها يتركون النبات يذوي ويجف وتذروه الرياح لأنهم يخافون على ماشيتهم من السطو.

أضف إلى هذه العوامل التي ساعدت على تفشي الجريمة أن بعض المولاة كان يفرض على التجار أموالا باهظة لينفقوا منها على ملذاتهم كما كان يحدث في مدن الحجاز الثلاث(٢).

(١) سياسة الملك عبدالعزيز لحفظ الأمن

١٠٤ حسن الساعاتي من بحوث مؤتمر الملك عبدالعزيز وهي دراسة ميدانية لتطبيق

التشريع الجنائي وأثره في مكانة الجريمة بالمملكة ص ٦٠

(٢) المرجع السابق ص ٧٠

ويبين لنا تاريخ الجبرتي كيف كان الحج إلى بيت الله الحرام أشبه بغزوة من الغزوات يتجهز لها بالسلاح والعتاد، ويعتبر الحاج مفقودا حتى يعود فيكون مولودا من جديد.

وكيف أن سنوات متوالية كانت تنقضي بدون أن يحج الناس خوفا على أنفسهم من الموت، وياله من حج سعيد ذلك الذي لا يقتل منه إلا بنسبة خمسة في المائة أو أقل أو أكثر قليلا، أما ماسمعناه من آباءنا وأجدادنا عما يلحق بالحجاج فصورة طبق الأصل عما يحدثنا عنه الجبرتي.

وكانت الحكومة المصرية تبعث مع الحجاج جيشا كامل العدد وذلك لتأمين الحجاج وضمان سلامتهم(١).

أما تطبيق الحدود فلا يخضع للنصوص الشرعية وإنما للعرف السائد في مختلف البقاع بما لا يحقق أمنا ولا استقرارا، وكان غالبا ما يهرب الجاني، ولا توجد السلطة التي تبحث عنه أو تكلف بالقبض عليه لانفاذ العقوبات فيه بما يؤدي إلى بدء سلسلة من الأخذ بالثأر.

ففي القرى وضواحيها كان أهل القتل الذي يهرب قاتله يثأرون من أي قريب يشترك مع أبيه في النسب حتى الجد الخامس وفقا للعرف الشائع بينهم والمسمى "الخماسية" وهذا العرف مشهور في مكة أيضا.

أما المدينة المنورة فكان على القاتل أن يدفع الدية أو يجلي فيرحل دون رجعة.

وكان يحدث أحيانا - في مدن الحجاز وضواحيها - أن تصر عائلة القاتل على قتل شخص من عائلة القاتل، ولكنهم يقدمون للقتل شخصا ضعيف

(١) الاحيدب، نقلا عن حياة الملك عبدالعزيز، ص ٢٠٥.

العقل وبعد قتله تثار مشكلة عدم التكافؤ بين المقتولين وتبدأ دورة ثأرية لاتنتهي (١) فلم يكفهم خروجهم عن الحدود التي شرعها الله، بل تعداه إلى ظلم أشخاص لا ذنب لهم، وكل ذلك نتيجة الخروج عن تعاليم الشريعة.

وفي جرائم السرقة : كان السارق في الأحساء يسجن ويعلم صنعة في السجن . وفي قرى وادى الدواسر كان القطع عقاب من يسرق لأول مرة - بينما كان القطع في جهة القصيم عقاب السارق العائد .

أما في بلدة بدر فكانت قبيلة السارق تدفع العوض عن المسروق، وقد تطلب من المجني عليه السماح في الشيء المسروق كله أو بعضه ويتم التصالح على ذلك .

أما في المدينة المنورة فكان السارق يبحث عن شخص قوي يحميه نظير أن يعطيه نصف ما سرق، وإذا لم يجده فإن أهله يستسمحون صاحب الحق في التنازل عنه كله أو بعضه والتصالح على ذلك .

أما جرائم هتك العرض والزنا فكانت شبه نادرة، وكان عقاب الجاني يتدرج من مجرد دفع تعويض من الابل، أو الابل والبنادق أو الغنم إلى الجلد والسجن مدة قصيرة إلى الجلد والنفي المؤبد إلى القتل رميا بالرصاص . وكان في الاكتفاء بعدد من رؤوس الغنم تجري عملية "النقا" وهي نقر جبهة الجاني نفرا خفيفا بحد السيف أو الخنجر بحيث تحدث جروحا تترك آثارا ظاهرة بعد اندمالها وقد كان ذلك في بعض الجهات موضع فخار للجاني وآله (٢) .

(١) الاحيدب ، نقلا عن حياة الملك عبدالعزيز ، ص ٢٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩ .

وبذلك يتضح الفهم الخاطيء في تطبيق الحدود الشرعية في هذه المجالات، أو تعطيلها بالكلية في بعض الجهات والاستعاضة عنها بقوانين أخذت أساسا من العرف والتقليد.

ولما فتح الملك عبدالعزيز مدينة الرياض وبدأ مسيرة التوحيد لأقاليم المملكة على هدى الشريعة الاسلامية العادلة شرع يطبق أحكام هذه الشريعة الغراء مع السعي - في الوقت نفسه - إلى ايجاد الجو المناسب للتطبيق حيث ساعد البدو على الاستيطان في الهجر وتوظيف طاقاتهم وايجاد فرص عمل في مجالات الزراعة والرعي.

لقد بدأ عبدالعزيز بأهم شيء وهو إصلاح الانسان نفسه بنزع فتيل الفوضى من نفسه الشريرة.

فقضى على الجريمة وأسبابها ونشر الطمأنينة ووضع النواة الأولى لمجتمع انساني جديد قاده بحركة اصلاح كبيرة وشاملة(١) ولاشك أن عملية التطبيق كانت أمرا في غاية الصعوبة تطلبت من الملك عبدالعزيز في كل مرحلة من مراحل كفاحه في توحيد المملكة - جهودا كبيرة لتدعيم القوة والسلطان لتنفيذ هذه الأحكام، ومعلوم أن هذه الحدود لاكتسب هيبتها ولا تبلغ الغاية المرجوة منها إلا اذا طبقت على جميع المخاطبين بأحكامها بغض النظر عن مراكزهم وأوضاعهم من حيث الجاه والسلطة والنفوذ أو من حيث الغنى والفقر أو غير ذلك من المعايير والمقاييس التي يتفاوت فيها البشر.

وأدرك الملك عبدالعزيز هذه المعاني وامتلأ قلبه بخشية الله، وحرص على تطبيق أحكام الشريعة على الجميع فلم يعف أي شخص مهما كان مركزه أو ماله أو جاهه أو صفاته أو منزلته، ولم يسمح بتمييز شخص على شخص أمام حدود الله.

(١) مهندس / سليمان علي الشايح : الملك عبدالعزيز وأثره في التاريخ المعاصر، ص ٣٨.

فقد حدث في عهده أن ثلاثة أشخاص من أسر لها وزنها ومكانتها في البلاد اشتركوا في قتل صديق لهم عمدا، فأحيلوا إلى المحكمة الشرعية الكبرى فاصدرت حكمها بقتلهم قصاصا لثبوت قتلهم المجني عليه بالوجه الشرعي، فتدخل أعيان البلاد لانقاذ حياتهم والتمسوا من الملك تأجيل تنفيذ حكم الاعدام فيهم لمدة أسبوع واحد حتى يتسنى لهم بذل الجهود والتوسط لدى أولياء المقتول في سبيل الحصول على تنازلهم عن حقهم الشخصي مقابل أي مبلغ من المال يطلبونه، فما كان من ابن سعود - رحمه الله - الا أن امر بسرعة تنفيذ حكم الاعدام في القتلة الثلاثة، ونفذ فيهم الحكم ضربا بالسيف وعلقوا في موضع بارز من واجهة مقر الأمن العام المواجه للحرم المكي الشريف لمدة ست ساعات(١) يرحم الله الملك عبدالعزيز فانه لم يابه بمكانة أهل الجنة ولا بمنزلة أعيان البلاد الذين توسطوا في تأجيل تنفيذ عقوبة القصاص في وقت كان أحوج ما يكون اليهم فيه وكان كل ما قاله لهم : (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب)(٢).

فلقد كان لتنفيذ حكم القصاص في القتلة المذكورين أثر كبير في استتباب الأمن بصورة أكثر فاعلية لأن المواطنين في الحجاز - في التاريخ المعاصر - لم يشاهدوا تنفيذ حكم اعدام ثلاثة أشخاص مقابل قتلهم شخصا واحدا وبالسرعة التي انتهت فيها مراحل القضية.

ولقد كان النظر في قضايا الحدود والجنايات التي فيها قتل أو قطع في ذلك العهد مختص بالمحاكم الكبرى - في الرياض ومكة والمدينة بحيث تنظر في قضايا جميع البلدان بدون إستثناء وتقوم المحكمة بإصدار قرار في ذلك

(١) عقيد / محمد الميمان : القصاص في الإسلام وأثره في استتباب الأمن واستقراره في المملكة، ص ٣٣.  
 (٢) سورة البقرة ، الآية ١٧٩ (وانظر حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز/ رابع لظفي جمعه ص ٩١.

عند إجتماع جميع قضاتها وتؤخذ الأحكام بالأكثرية ومن أجل إنفاذ الأحكام الصادرة بالقطع والقتل لأبد من إقترانها بتصديق ولي الأمر وبعد حكم القضاة وتصديق ولي الأمر على ذلك تعاد القضية إلى أمير البلد الذي حدث فيه الجريمة الجنائية ويطبق الحد أو القصاص حيثئذ بمعرفة السلطة التنفيذية(١) .

ولم يكن الملك عبدالعزيز يهدف من وراء الحزم في تطبيق الأحكام الشرعية سوى تطهير هذه النفوس التي ألفت العدوان نتيجة غياب سلطان الشرع فاستأغت القتل والسلب فلم تجد من يردعها .

قال رحمه الله :

(انني أريد تطوير نزعة العرب الفطرية إلى الحرب وعدم جعلها الأسلوب الوحيد أو الأقوى للسيطرة وتحقيق الأهداف حتى يشعروا بأنهم أعضاء في جماعة واحدة)(٢) .

وقد سلك الملك عبدالعزيز مسلكا اجتماعيا حينما جعل القبيلة كلها متكافئة في المسؤولية عن وقوع أية جريمة فيها أو في جوارها فإذا ظهر الجرم كان عليها اظهار المجرم، لأنه لا تحفظ الدماء والأموال والأعراض إلا باقامة الحدود وقطع الأكف الأثيمة فينقطع دابر الفساد .

وكان تطبيق الشريعة وأحكامها أمرا ليس باليسير لأن هذا التطبيق يتم بوجود المتأمرين من العرب والأجانب المستعمرين الذين يعملون بجهد في سبيل نصرة القوانين الوضعية واحلالها محل الأحكام الشرعية .

كما واجه الملك عبدالعزيز المطوعين من الأخوان والذين كانوا شديدي التعصب في تطبيق الأحكام الشرعية حيث كانوا يريدون تطبيقها بمجرد التهمة وكانوا يرتكبون من الجنايات ما أرهب الناس فاستبدل بهم الملك رجالا من المعتدلين في التمسك بالدين .

(١) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، نشر مكتبة النصر الحديثة - الرياض - الطبعة الثانية ١٣٨٨ هجرية .

(٢) عبدالمعالم هيكل : بناء الدولة السعودية ، ص ١٢٥ .

وكان للملك عبدالعزيز بصيرة نافذة في اختيار من يتعاونون معه كأمرء  
للأقاليم والمناطق التي يستولي عليها.

كما كان يختار للقضاء أفضل القضاة الذين عرفوا بالايمان القوي وتقوى  
الله وقول كلمة الحق وتطبيق الشريعة بين عباده وكان يساعده علماء كبار  
عرفوا بالاستقامة والعدل(١).

وقد حكم الشيخ سعد بن عتيق ضد الملك عبدالعزيز في خصومة بينه  
وبين رجل على قطعة أرض(٢).

ولا يفوتنا ونحن في غمرة البحث أن نشيد برجال العمل والاخلاص والعدل  
الذين بذلوا الكثير من أجل تطبيق احكام الشرع وتنفيذ حدود الله فآثر ذلك  
راحة الشعب وأمنه وساد الأمن والاطمئنان في ربوع البلاد.

هذا وقد طبقت المملكة العربية السعودية بقيادة الملك عبدالعزيز القصاص  
والدية في جرائم القتل بحزم لم يعهده المواطنون في العهود السابقة، مما كان  
له أكبر الأثر في القضاء على ظاهرة الأخذ بالثأر واستقرار الأمن وانتشار السلام  
بين المواطنين.

وليس أدل على ذلك من الاحصاءات الآن والتي أثبتت أن ٩٣٪ من  
مرتكبي جرائم القتل والسرقة في المملكة من الجاليات الأجنبية.

حين ضم الملك عبدالعزيز الحجاز إلى مكة وجد أنه قد ورث مشكلة  
إجرامية خطيرة، فخلال السنوات الأخيرة من حكم الهاشميين انتشرت مختلف

(١) مهندس / سليمان الشايع : الملك عبدالعزيز وأثره في التاريخ المعاصر ، ص ٣٦ .  
(٢) الأحيدب : من حياة الملك عبدالعزيز، بكى الملك عبدالعزيز عندما سمع الحكم وقال :  
(الحمد لله الذي جعل عندنا من القضاة من لم تأخذه في الحق لومة لائم . نحن بخير  
مادم هؤلاء العلماء موجودين) رحمهم الله جميعا ، ص ٢٥٠ .



انواع الجرائم . وكان يوجد في المدن الكبيرة من تلك البلاد جرائم من السرقة والزنا واللواط والاعتصاب والقتل . وكان بعض البدو الذين لا رادع لهم يقطعون الطرق وينهبون الأبرياء خاصة الحجاج الذين كانوا يسيرون دون حماية .

وقد حدث أن اختطف خمسة أو ستة شبان في مكة المكرمة صبيا ليلوطوا به وأبقوه عندهم أياما ثم قتلوه ودفنوه في سرداب وحين اكتشف أمرهم أعدموا امام دار الحكومة .

وقد أبى الملك عبدالعزيز أن يحتمل مثل هذه الأعمال في بلاد الاسلام المقدسة وصمم على تطبيق أوامر الشرع بحق مرتكبيها .

فحين قبض أمير المدينة المنورة - مشاري بن جلوي - على بدوي كان يقطع الطريق وينهب الحجاج ويقتلهم أقيم عليه حد الحرابة وتركت جثته على جانب الطريق ليكون عبرة للآخرين .

وهكذا استطاعت الحكومة أن تحافظ على النظام . بفضل السياسة الحكيمة التي نفذها الملك عبدالعزيز رحمه الله (١) هذه السياسة التي تقوم على جعل الشريعة السمحة مرجعا فصلا في الأمور بحيث لم يعد للعصبية القبلية أدنى تأثير على سلوكية الفرد بعد أن أفقدها القرآن الكريم سلطتها على حماية الخارجين على حدود الشرع .

لقد تمكن ابن سعود من إقامة مثل هذا الأمن وتوطيده بأمرين : الأول نشر مبادئ الشرع الشريف ، الثاني : تنفيذ أحكام الشرع تنفيذا لا يعرف التردد ولا التمييز ولا الرأفة ولا المحاباة (٢) .

(١) محمد المانع : توحيد المملكة ، ص ٣٢٨ .

(٢) امين الربحاني : ملوك العرب ، ج ٢ / ص ٧٧ .

ولعل في الطريقة التي تنفذ بها الحدود والقصاص في البلاد ما يؤدي إلى إحداث أكبر قدر من الزجر والعظة والاعتبار، فقد جرت العادة على أن تتم إقامة الحدود بعد صلاة الجمعة مباشرة وفي ساحة عامة أمام أكبر المساجد في البلد.

قال تعالى "وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين" (١) ومهما يكن رأي البلاد الأجنبية في هذه العقوبات والتنفيذ العلني فان أثرهما الوقائي المهيّب أمر لا يعتريه شك في بلاد العرب.

ونتيجة تطبيق أحكام الشريعة تشير الدلائل إلى تناقص معدلات الجريمة بل وانعدامها في بعض الحدود، (فمنذ تولى الملك عبدالعزيز حكم البلاد لم ينفذ حد الحرابة إلا نادرا وبالنسبة لعقوبة الرجم فان هذه العقوبة لم تنفذ في المملكة العربية السعودية سوى أربع مرات فقط خلال ما يزيد على ٣٥ سنة) (٢).

(إلى جانب هذه الأحكام المنصوص عليها فقد ترتب على التطور الكبير الذي شهدته المملكة في عهد الملك عبدالعزيز في كافة المجالات أن زادت علاقات الناس تشابكا وتعقيدا، وظهرت صور من السلوك الضار بمصلحة المجتمع لم تكن معروفة من قبل أو كانت نادرة الوقوع، وكان من الضروري أن تتدخل الدولة لمجابهتها عملا بما تقرره الشريعة الغراء من حق ولي الأمر أو القاضي أن يحارب بعض الأفعال المخالفة للشرع ويفرض لها العقوبات المناسبة وطالما أنه لا يخرج على نصوص الشريعة ومبادئها العامة، ومثال هذه الجرائم الاثراء من الوظيفة وجر المغانم من الصفقات والأخطاء المسلكية وجرائم التموين والمرور واحراز السلاح بدون ترخيص والامتناع عن أداء الزكاة) (٣).

(١) سورة النور ، الآية ٢ .

(٢) رابح لطفي جمعه: حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز ، ص ١١٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٣/١١٤ .

فنظرية العقوبة في الشريعة الإسلامية تجمع اذن بين حماية المجتمع من الاجرام وبين العناية بشخص المجرم وعلاجه، فقد تركت الشريعة للقاضي في جرائم التعزير الحرية في اختيار العقوبة الملائمة لظروف الجريمة وظروف مرتكبها، بحيث تترتب المصلحية للفرد والمجتمع في تلك العقوبة.

يبقى أن نشير إلى أن الفضل لله ثم للملك عبدالعزيز في تحسين وتنظيم القديم والحديث من أنظمة الحكم في المملكة وأساليب الإدارة بحيث تكون الشريعة الإسلامية قانون المملكة ونظامها في مختلف أمورها الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والتشريعية.

هذا وتعتبر المملكة العربية السعودية من أسبق الدول التي قامت - في العصر الحديث - بتطبيق الشريعة والتمسك بأحكامها بفضل الله، ثم بفضل العلماء الذين كانوا يتولون مهام القضاء ومن ورائهم حرص الملك عبدالعزيز على التطبيق في حزم وحسم وما كان ينبغي أن يسبقها غيرها إلى هذا المجال وهي البلد التي شع منها نور الإسلام.

لقد نجحت المملكة نجاحاً منقطع النظير في القضاء على الاجرام وحفظ الأمن والنظام، ولا يزال الناس يذكرون كيف كان الأمن مختلاً في الحجاز قبل العهد السعودي بل كيف كان الحجاز مضرب الأمثال في كثرة الجرائم وشناعة الاجرام.

فقد كان المسافر فيه كالمقيم لا يأمن على ماله ولا على نفسه في بدو أو حضر في نهار أو ليل، وكانت الدولة ترسل مع رعاياها من الحجاج قوات مسلحة لتأمين سلامتهم ورد الاعتداء عنهم، وما كانت هذه القوات قادرة على ضمان الأمن وكبح العصابات ومنعها من سلب الحجاج أو الرعايا الحجازيين وخطفهم والتمثيل بهم.

فظل حماة الأمن في ذلك العهد السالف في الحجاز عاجزين عن حماية الناس حتى طبقت الشريعة الإسلامية فانقلبت الحال بين يوم وليلة وساد الأمن بلاد الحجاز وانتشرت الطمأنينة بين المقيمين والمسافرين وانتهى عهد الخطف والنهب وقطع الطريق وأصبحت الجرائم القديمة أخبارا تروى فلا يكاد يصدقها من لم يعاصرها.

وبعد أن كان الناس يسمعون أشنع الأخبار عن الاجرام أصبحوا يسمعون أعجب الأخبار عن استتباب الأمن والنظام.

وبعد أن كان الأمن يعجز عن حفظه والسيطرة عليه قوة عسكرية عظيمة أصبح الأمن محفوظا بقليل من الشرطيين (١).

وهذا أكبر دليل على أن النظام الاسلامي في محاربة الجرائم يؤدي عمليا إلى قطع دابر الجريمة.

واعترف العالم بنجاح الشريعة الإسلامية في محاربة الجريمة وتخفيض نسبة ظهورها في المجتمع.

والحق الذي لا مرية فيه، أن الملك عبدالعزيز أقام حكما صالحا في الجزيرة على أسس الشريعة الغراء ونشر فيها العدل والأمن من بعد أن كانت مسرحا للفوضى والسلب والنهب.

ولم تعرف جزيرة العرب في جميع أدوار تاريخها بعد القرون المفضلة عدلا وأمنا مثل اليوم، إذ أن كل من فيها يعيش آمنا على نفسه مطمئنا على ماله يشهد لذلك كل مقيم على أرضها (٢) فكانها - في أمنها - تحقق إلى حد كبير الأمن الذي من الله به على الحرم الشريف في قوله تعالى : " من دخله كان آمنا" (٣).

(١) عبدالسميع امام : اثر تطبيق الحدود في المجتمع / من بحوث مؤتمر الفقه الاسلامي المعقود بجامعة الإمام سنة ١٣٩٦ هـ ، ص ٣١٠ .  
 (٢) الاحيدب : من حياة الملك عبدالعزيز ، ص ٢٠٧ .  
 (٣) سورة آل عمران ، الآية ٩٧ .

المبحث الثاني  
تأسيس العلم ونشره

في طريق الوصول بالدعوة إلى أن تكون مؤسسات قائمة عميقة الجذور في المجتمع ربط الملك عبدالعزيز بين دعوة التوحيد بمعناها الديني وبين دعوة التوحيد السياسي للجزيرة العربية.

والدعوة إلى العلم ونشره تخدم الهدفين وتثبت أركانها، ولن نستطيع تقييم هذه القاعدة إلا بتتبع الحالة العلمية لأهل الجزيرة ومبلغ الأمية التي كانت سائدة قبل عهد الملك عبدالعزيز، ثم تتبع خطوات النهضة العلمية المباركة والتي تمت بخطى ثابتة تدل على عبقرية الرجل وإيمانه العميق حيث نجد معظم التجارب التعليمية التي طبقتها في الجزيرة العربية كانت تأخذ الطابع الديني والاهتمام بعلوم الشريعة.

والمناهج الأساس الذي سلكه الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في بناء المجتمع الإسلامي السليم هو نشر العلم واعتماده وسيلة رئيسة للقضاء على الجهل والتخلف وواسطة للانفتاح على منجزات العصر الحديث والأخذ بأسباب التقدم والتطور.

(وكان يجمع في طبيعته روح الحرب وروح السلم، لا يقاتل الناس ولا يعتدي عليهم وإنما يحارب الجهل ويقاتل الجمود ويكافح التأخر)(١).

وقد سبقت الإشارة في التمهيد إلى الحالة التعليمية في المملكة قبل توحيدها على يد الملك عبدالعزيز لكننا نضيف أن المتتبع لتاريخ الدولة السعودية منذ نشأتها يلاحظ أنها دولة تعليمية لا يكاد يتفصل فيها جانب الجهاد لنشر الدعوة عن جانب التعليم ونشر العلم.

ويتفق معظم الباحثين على أن التعليم كان على نطاق ضيق. وكانت نسبة الأمية مرتفعة ارتفاعاً ملحوظاً.

(١) عمر أبو زلام : عبدالعزيز آل سعود العبقرية في التحرير والتوحيد والتحضير، ص ٤٢.

(فقد كان التعليم معدوماً عند قطاع كبير من سكان نجد - البادية - وكان نادراً بين فئات الحضرة في هذه المنطقة) (١) .

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى قسوة المعيشة وندرة المعلمين المتفرغين ، نظراً للظروف السياسية السائدة في ذلك الوقت .

ورغم ذلك كانت هناك محاولات لنشر العلم لا بأس بها ولكنها مقصورة على تعليم القرآن الكريم في الكتاتيب .

وعلى الرغم من انخفاض نسبة التعليم ، فإن البلاد عرفت عدداً من العلماء وخاصة في الرياض وبريدة وعنيزة وشقراء والمجمعة كما ظهرت مجموعة من الأدباء والشعراء . (٢) .

(فلم تكن نجد التي تسلمها الملك عبدالعزيز بعد فتح الرياض نجداً القديمة . التي اندثرت مدارسها ومجامعها وسادها من جديد التفرق والتفتت وتبددت مع الخلافات الداخلية نشوة الحركة التعليمية القديمة التي ارتبطت ببناء الدولة السعودية .

ولم يكن التعليم في هذه المرحلة إلا امتداداً ضعيفاً للحركة القديمة بفضل ما بقي من علماء في المدن المهمة) (٣) .

(١) عبدالله صالح العثيمين : الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ص ١٦ ، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز ١٤٠٣ هـ .

(٢) ظلت كتابات هؤلاء الشعراء مخطوطة لعدم توفر الطباعة الحديثة التي لم تدخل نجداً إلا في عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله ، وضاع الكثير منها .

(٣) د. بدرالدين ، أبو راس : الملك عبدالعزيز والتعليم ، ص ٦٦ ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، العبيكان للطباعة والنشر .

في الأحساء تأثرت المنطقة بالدعوة السلفية بالإضافة لتأثير النظام العثماني كما اجتمع في الأحساء تأثير الاحتكاكات والعلاقات التجارية مع الدول المجاورة.

(فانتشرت الكتاتيب كما قامت في المساجد حلقات الدرس وفتح العثمانيون ثلاث مدارس حكومية في الهفوف)(١).

ومع هذه التأثيرات فإن الاقليم أخرج عددا من العلماء والأدباء والقضاة وكبار الدعاة الذين حافظوا على التراث السلفي وكان لهم دور واضح في نشر دعوتها التعليمية.

أما الحجاز فلمكانته الدينية واتصاله المستمر بالخارج عن طريق الحج، فقد عرف قدرا كبيرا من نشاط الجاليات الأجنبية في مجال التعليم عن طريق التدريس والمساندة الاقتصادية والتبرع بالأوقاف والهدايا مما زاد من عدد المدارس الأهلية.

كما أن الحكم العثماني والحكم الهاشمي قد أثرا في المجتمع بظهور أشكال تعليمية منقولة من النظم التعليمية العثمانية أحسن الملك عبدالعزيز الاستفادة منها وتطويرها بعد أن طوعت للحركة السلفية وأشربت بخصائصها.

هذا وكان التعليم في الحجاز يتشكل من ثلاثة عناصر رئيسية هي :

#### ١ - التعليم في الحرمين الشريفين .

(١) محمد بن عبدالله آل عبدالقادر : تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد  
قسم (٢) ، ص ٤١ .



٢ - المدارس الحكومية .

٣ - النشاط الأهلي المتمثل في الكتاتيب والمدارس الأهلية والخيرية .

(كان آخر نظام للتدريس في الحرم المكي وضع في العهد العثماني وصدر في سنة ١٣٣٢هـ وكان هدفه مواجهة ما أصاب التدريس في الحرم من ضعف واضطراب ومواجهة ما أصاب علماء مكة المدرسين من شظف في العيش، وكانت حلقات التدريس في الحرم المكي حينذاك مائة وعشرين حلقة وعدد المدرسين سبعمائة مدرس .

أما المسجد النبوي الشريف فكان فيه ثمانية عشر مدرسا عينوا لتدريس المذاهب(١).

ومما لاشك فيه أن كثيرا من علماء الحرمين كانوا من كبار رجال العلم والدين وقد أثروا بعلمهم في طلبة الحجاز وبقية أنحاء العالم .

كان علماء الحرمين يشكون قبل الملك عبدالعزيز من سوء الأحوال المالية حيث بلغ غلاء الأقوات وغيرها مبلغا عظيما وقلت الصدقات والاحسانات إليهم بل اضمحلت فكاد أن يذهب العلم وطالبوه .

والى جانب الضيق المادي كان العلماء يواجهون قدرا من الاضطهاد والعنت من ولاية الأمور خاصة في العصر الهاشمي كما حدث للشيخ أبي بكر خوقير(٢) والذي دعا إلى محاربة البدع والخرافات فضيقوا عليه وسجنوه مع المجرمين في غرفة واحدة سنة ١٣٣٩هـ دون تحقيق أو حكم وظل في سجنه إلى أن دخل

(١) الديب وابو راس: الملك عبدالعزيز والتعليم ، ص ٨٩ وانظر عبدالرحمن صالح عبدالله: التعليم في مكة والمدينة ، ص ١٤-١٨ .

(٢) ولد بمكة سنة ١٢٨٤هـ وتوفي بها سنة ١٣٤٩هـ . انظر سير وتراجم ص ٢٢ .

الملك عبدالعزيز رحمه الله مكة المكرمة فأفرج عنه مع كثير من المسجونين المظلومين (١) .

أما عن التعليم الأهلي في الحجاز والمتمثل في الكتاتيب فإنها وإن كانت أكثر عددا من بقية أقاليم المملكة لكنها كانت مشابهة لها في نظامها وأهدافها التعليمية .

(والمدارس الأهلية قد أوجدتها الجاليات الأجنبية مثل الجالية الهندية والأندونيسية أو بعض علماء الحجاز) (٢) .

أما التعليم في عسير فاعتمد أساسا على النشاط الأهلي حيث اعتاد الكثير من أهالي عسير إرسال ابنائهم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة لطلب العلم أو للدراسة في المساجد (غير أن الحكم التركي والذي جعل من عسير متصرفية تابعة لولاية اليمن لم يهتم اهتماما كبيرا بنشر العلم، وإن أسس بعض المدارس في المدن الكبيرة .

فهناك مدارس أولية للتعليم الابتدائي كانت تهدف في منهجها إلى تتركب العسيرين إذ كانت اللغة التركية هي اللسان الناطق الرسمي لهذه المدرسة (٣) .

وهكذا نرى أن المدارس التي كانت موجودة قبل توحيد الملك عبدالعزيز للبلاد السعودية كانت لها مساهمات - على قدر امكاناتها - في مجال نشر العلم بما يخدم سياسة الدولة المسيطرة على كل إقليم .

(١) محمد الشامخ : التعليم في مكة والمدينة ، ص١٠٣ ، المطابع الاهلية للاؤفست ، الرياض ١٩٧٣م ، الدريب وأبوراس : الملك عبدالعزيز والتعليم ، ص٩٠-٩٢ بتصرف .

(٢) من هؤلاء العلماء محمد علي زينل مؤسس مدرسة الفلاح ، والشيخ عبدالظاهر أبوالمصم مؤسس دار الحديث بمكة . (المرجع السابق ص٩٣) .

(٣) المرجع السابق ، ص٨٣ .

ورغم ذلك فإن هذه المدارس قد استوعبها نظام التعليم الجديد الذي أرسى قواعده الملك عبدالعزيز حيث شرع يطورها بما يتفق والسياسات التعليمية الشرعية.

وهذه بعض ملامح السياسة التعليمية الجديدة التي بدأ مسيرتها الملك عبدالعزيز :-

- ١ - الايمان بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .
- ٢ - التصور الإسلامي الكامل للكون والإنسان والحياة، وإن الوجود كله خاضع لما سنه الله تعالى ليقوم كل مخلوق بوظيفته دون خلل أو اضطراب .
- ٣ - طلب العلم فرض على كل مسلم، ونشره وتيسيره في مختلف المراحل واجب على الدولة بقدر وسعها وامكانياتها .
- ٤ - العلوم الدينية أساسية في جميع مراحل التعليم والثقافة الإسلامية مادة أساسية في جميع سنوات التعليم العالي (١) .
- ٥ - الحياة الدنيا مرحلة انتاج وعمل يستثمر فيها المسلم طاقاته عن إيمان وهدى للحياة الأبدية، فالיום عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل .
- ٦ - الثقة الكاملة بمقومات الأمة الإسلامية وأنها خير أمة أخرجت للناس والإيمان بوحدها على اختلاف أجناسها وألوانها وتباين ديارها .  
" إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون " (٢) .

(١) تعتبر كلية الشريعة بمكة المنارة الأولى للتعليم العالي بالمملكة وأنشئت سنة ١٣٦٨هـ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٩٢ .

٧ - شخصية المملكة العربية السعودية متميزة بما خصها الله به من حراسة مقدسات الإسلام وحفاظها على مهبط الوحي واتخاذها الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ودستور حياة واستشعار مسؤوليتها العظيمة في قيادة البشرية وهدايتها إلى الخير.

٨ - الدعوة إلى الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها بالحكمة والموعظة الحسنة من واجبات الدولة والأفراد وذلك هداية للعالمين وإخراجا لهم من الظلمات إلى النور وارتفاعا بالبشر في مجال العقيدة إلى مستوى الفكر الإسلامي(١).

وبناء على هذه السياسة أخذ الملك عبدالعزيز ينظم الجهود ويوحد الصفوف لنشر العلم باعتباره ضرورة أساسية من ضرورات التقدم والبناء، كما أنه ضرورة من ضرورات الحياة وأول واجبات الدعاة أن يعلموا الناس أحكام الإسلام، ويعرفوهم حدود الله. وأن ينشروا مفاهيم الإسلام بين طبقات الأمة، فكل مسلم - يعلم مسألة شرعية - فلا يجوز له كتمانها ولا سيما عند شيوع الجهل وظهور البدع.

وللملك عبدالعزيز فضل كبير في العمل على نشر العلم والاكثار من المدارس ومكافحة الجهالة بكل الوسائل الممكنة، فمنذ أن فتح الرياض وهو يولي العلم اهتماما زائدا ولكنه يحرص دائما على توجيه ابناءه إلى العلم النافع.

يقول رحمه الله :-

(قليل من العلم يبارك فيه خير من كثير لا يبارك فيه والبركة في العمل).

(١) د. التركي : الملك عبدالعزيز والمملكة العربية السعودية - المنهج القويم في الفكر والعمل، ص ٩٩-١٠٠ من مطبوعات المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود سنة ١٤٠٦هـ.

ويحث أبناء شعبه على العمل بالعلم فيقول : أبنائي : إن من كان منكم من بيت رفيع فليحرص على ألا يكون سبياً في خفضه، ومن كان منكم من بيت آخر فليبين لنفسه مجداً فقد من الله عليكم وأرشدكم إلى طرق الخير فاعلموا فلعلمكم منتظرون(١) .

فالمنتفع لسيرة الملك عبدالعزيز يدرك أنه لم يقم بتوحيد المملكة وبناء صرحها على أساس الشريعة الغراء فحسب، بل إنه سعى في تخليصها من التخلف وجاهد في سبيل القضاء على كل ما من شأنه عرقلة عملية النمو الحضاري للبلاد .

وكان اهتمامه بنشر العلم والمعرفة واحداً من تلك الانجازات العظيمة حيث حقق اهتمامه بهذا الجانب الذي حظي بدعمه المادي والمعنوي نجاحاً إلى حد القضاء على الجهل والامية بنسبة كبيرة لأن أي حضارة لأي أمة من الأمم لا تقوم إلا على العلم .

واهتمام الملك عبدالعزيز بنشر العلم قد مر بمرحلتين :-

**الأولى :** منذ أن استرد مدينة الرياض في الخامس من شهر شوال سنة ١٣١٩هـ وتنتهي بضم الحجاز لدولته سنة ١٣٤٤هـ .

وتركز اهتمامه في هذه المرحلة بتعليم البادية أمور دينهم عن طريق انشاء الهجر وبناء المساجد فيها وارسال الوعاظ والمرشدين إلى تلك المناطق للقيام بمهمة الارشاد والتثقيف . وعقد حلقات الدرس في التوجيه بعد الصلاة .

(١) من خطبة الملك نشرت بجريدة أم القرى بعدد (٣٤٢) الصادر في صفر سنة ١٣٥٠هـ .

ولاننسى أن الكتاتيب كانت منتشرة في تلك المدن والقرى حيث تقوم بتعليم الصغار القرآن الكريم والقراءة والكتابة وكان بعضهم يتخذ من زوايا المساجد أماكن للتدريس وهكذا كان المسجد مكانا للعبادة ودارا للعلم ومنطلقا للدعوة كما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما البادية فقد عمد الملك عبدالعزيز إلى سكان الهجر فأشاع في نفوسهم طمأنينة الاستقرار والأمن، وأزال عنهم ظلمات الأمية بنور العلم الشرعي الذي أضاءه الوعاظ (المطاوعة) وبث روح الخلق الإسلامي.

وبناء عليه يمكن اعتبار انشاء الهجر أول محاولة للتعليم قام بها الملك عبدالعزيز في هذا المجال. وكان يأمل رحمه الله أن يقدم للتعليم في هذه المرحلة الشيء الكثير لولا أنشغاله بتوحيد المملكة وقلة الموارد المالية التي لم تمكنه من تحقيق كل تلك الآمال.

وكان نظام الهجر نظاما دينيا تربويا عقائديا واختصت الهجر باستيطان الأخوان من البدو فقط. ولتربية النفوس وتهذيبها دينيا كانت الهجرة تبني بعد ما يشاد المسجد الذي يكون مركز القوم لتأدية الصلاة عماد الدين. ومركز الشورى فيما يعترضهم من أمور ومركز الإرشاد والتوعية لمحاربة الجهل.

وقد وضع منهاجا تعليميا لبث روح العلم والتبصر بأمور الحياة والفروض الدينية. وعين الوعاظ والمرشدين (المطاوعة) ليكونوا معلمين ومفتحين فكانوا نوات التعليم الأولى في نجد والمرجع الرسمي لهم فيما انغلقت عليهم من شؤون وأحوال (١).

(١) عمر ابوزلام : الملك عبدالعزيز المبقرية في التحرير والتوحيد، ص ٣٨٨-٣٩١.

**الثانية :** وتبدأ بعد ضم الحجاز إلى نجد فقد تعلم الملك عبدالعزيز من تجربة الهجر أن التهاون في تعليم الأبناء يترتب عليه صعوبة مهمة محو أمية الكبار.

وبدأ الملك عبدالعزيز هذه المرحلة بإنشاء مديرية المعارف في مكة سنة ١٣٤٤هـ وبدأت مهمتها مع ادخال المناهج الشرعية والعلمية في مراحل التعليم.

وبإنشاء هذه المديرية انتهى نظام التعليم غير المنظم وحل محله تعليم حكومي منظم وموجه لخدمة سياسة الدولة وجعله الملك عبدالعزيز تعليماً مجانياً بل وأمر بصرف رواتب للطلبة تشجيعاً لهم (١).

ثم تحولت المديرية مع اتساع النشاط التعليمي إلى وزارة سنة ١٣٧٣هـ وبين انشاء المديرية وتحويلها إلى وزارة شهدت المملكة ميلاد صروح تعليمية كثيرة بدأها بتنظيم التدريس بالحرمين وتحسين حالة العلماء العاملين بهما ثم تلاها بالإنجازات الآتية :-

- ١ - المعهد العلمي السعودي في مكة المكرمة سنة ١٣٤٤هـ.
- ٢ - مدرسة تحضير البعثات بالعاصمة سنة ١٣٥٥هـ.
- ٣ - مدرسة الأمراء سنة ١٣٥٤هـ بالرياض.
- ٤ - دار التوحيد بالطائف سنة ١٣٦٤هـ.
- ٥ - كلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٣٦٩هـ.
- ٦ - معهد الرياض العلمي سنة ١٣٧٠هـ الذي كان نواة للمعاهد العلمية المنتشرة في المملكة.
- ٧ - كلية الشريعة بالرياض سنة ١٣٧٣هـ.

وكل هذه الإنجازات الناجحة كانت نواة لنهضة التعليم بعد ذلك وسوف نقوم بتفصيل اجراءات انشاء وتطوير هذه المدارس عند الكلام على المدارس الحديثة كوسيلة من وسائل الدعوة إن شاء الله.

(١) راجع في ذلك . د . عبداللطيف بن دغيش . التعليم الحكومي المنظم ص ٢٦/٢٧ .

فعندما دخل الملك عبدالعزيز مكة سنة ١٣٤٣هـ أخذ يواصل دعوته ويقوم بتجربة جديدة يواجه بها رواسب الماضي الذي أراد أن يخلص منه أمته ليعيد إليها دينها في ثوبه النقي الخالص من الشوائب وكان الملك عبدالعزيز يتعرف إلى العلماء الذين يعدهم للتعاون معه والعمل في مشروعاته كما أن معظم المشروعات التي نفذها كان الحيز الأكبر فيها للجانب التعليمي باعتباره يريد إحداث تغيير في النفوس والمجتمع.

وعندما أنشئ مجلس الشورى كان من اختصاصاته تعميم التعليم الديني في البلاد المطهرة والسعي في تعميم القراءة والكتابة (١).

وكان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - يؤكد على العلماء الاهتمام بالتعلم وكان يدعم هذا المرفق ماديا ومعنويا فأمر بتوفير الكتب الدينية وطباعتها على حسابه الخاص (فاتجه الملك عبدالعزيز إلى طبع النفاثس من كتب التراث ومن كتب العلم المهمة أو ما يتصل بالدعوة أو الكتب الأدبية أو الشعرية التي كان يرى تشجيع أصحابها بنشرها على حسابه. وقد ينبثق بعض هذا التوجيه عن نصائح العلماء أو مستشاريه وكان معروفا أن جلساء الملك عبدالعزيز من صفوة الرجال علما وأدبا ورجاحة عقل (٢).

ولم يكن الملك عبدالعزيز يطبع الكتب على نفقته فحسب، بل كان يأمر بشراء كميات كبيرة بقصد التوزيع على طلبة العلم أو تشجيع المؤلفين ولم يقتصر جهد الملك عبدالعزيز على ذلك بل أمر بمنح المكافآت لطلاب العلم مما كان له أثر كبير حيث أقبل الطلاب بعزيمة واجتهاد على طلب العلم لينهلوا من منابع المعرفة مما أوجد طبقة من المثقفين تسلحت بسلاح العلم والعقيدة الإسلامية الصحيحة.

(١) فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية، ص ١٠١، مكتبة النصر الحديثة.

(٢) عبدالعزيز احمد الرفاعي : عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب، ص ٩-١٠، من بحوث

مؤتمر الملك عبدالعزيز بجامعة الإمام بن سعود ١٤٠٦/٣/٢٢هـ.



كل هذه الجهود للملك عبدالعزيز كانت تحدث في ظل ظروف صعبة من توحيد البلاد والعمل على نشر الأمن .

لقد كان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - يرغب في أن يسير بالتعليم خطوات أبعد إلى الأمام وبطريقة منظمة لكن انشغاله في تلك المرحلة بأمور كثيرة منها سعيه المستمر لتوحيد أجزاء الدولة وبناء صرح الوحدة السياسية للمملكة واهتمامه بنشر الأمن والعدل في كافة المناطق الخاضعة له والعمل على تنمية الموارد الاقتصادية لهذا الكيان الكبير .(١)

وكان الملك عبدالعزيز مع اعتزازه بتراث العروبة وتمسكه بتعاليم الإسلام وحفاظه على مبادئها الروحية وتقاليدها الأخلاقية متفتحا على روح العصر متطلعا إلى المدنية يريد أن يأخذ منها ما يفيد، ويقتبس كل ما ينهض بدولته ويرقى بأمته عازفا عن القشور حريصا على اللباب .(٢)

وكان رحمه الله يرى أنه :-

(إذا نهض العرب مرة أخرى وأخذوا بقسطهم العلمي في سائر العلوم المادية فإنهم لا يأتون ببدعة بل يعتبرون محيين لعهد أجدادهم الذين ملكوا ناصية العلم حقة من الزمن وقدموا للإنسان خدمات لا تنكر) .(٣)

لقد كانت حركة التعليم في عهده رحمه الله تسير على الأسس والأهداف الإسلامية النبيلة، وأهمها اهتمامه بالعلوم الشرعية والعقيدة الإسلامية واللغة العربية كأساس لبناء الفرد المسلم على أسس إسلامية وبلغه عربية صحيحة لأنها رواية وثيقة تفود صاحبها إلى خير الدارين وتأتي العلوم الأخرى بالدرجة

(١) عبداللطيف بن عبدالله الدهيش: التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٢٦، مكتبة الطالب الجامعي ط (١) مكة سنة ١٩٨٧م .

(٢) قدري قلعجي : موعده مع الشجاعة، ص ٢٢٩، دار الكتاب العربي .

(٣) حافظ وهب : جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ١٢٣ .

الثانية من الاهتمام، وكل هذه الجهود في مجال نشر العلم قدمتها الدولة بتوجيه من الملك عبدالعزيز بل - كما أشرنا سابقا - كانت الكتب والأدوات الكتابية تقدم بدون مقابل وكذلك تخصيص المكافآت لتشجيع الطلاب على حل مشاكلهم في حالة تغريبهم عن مدنهم وقراهم، ولانكون مبالغين إذ قلنا أن الملك عبدالعزيز وضع كل إمكانات الدولة وبذل كل غال ورخيص في سبيل نشر العلم ومحو الأمية والقضاء على الجهل والتخلف، وتثقيف الشعب بعد أن كان الجهل سائدا في عموم البلاد.

فلقد كان الملك عبدالعزيز يرسل المعلمين والدعاة إلى مختلف مناطق المملكة خاصة التي يرى أنها في حاجة إلى معلمين ولقد استفاد المواطنون من ذلك حيث تعلموا ما يفيدهم في أمور دينهم ودنياهم، وسوف أورد مثالين أحدهما من جنوب المملكة والآخر من شمالها.

ففي الجنوب شجع الملك عبدالعزيز الشيخ عبدالله القرعاوي على الذهاب إلى منطقة جيزان وماحولها فذهب إليها وأفاد أهلها كثيرا حيث بلغ عدد المدارس التي أنشأها ٢٨٠٠ مدرسة (١) وعدد الطلاب نحو خمسة وسبعين ألف منهم خمسة عشر ألف تلميذه (٢).

وسوف أتكلم عنه إن شاء الله بشيء من التفصيل في الباب الثالث (٣).

ومن أمثلة المعلمين والدعاة الذين أرسلتهم الدولة إلى الشمال ماحدثني به الشيخ عبدالله بن سفر المغيري أن الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ أرسله إلى منطقة العلا والقبائل التي حولها في عام ١٣٦٣ هجرية فكان يتنقل بين

(١) الفيبي / السمط الحاوي ص ٧٩ .

(٢) العمر / الشيخ عبدالله القرعاوي وأثره في الدعوة / ص ٩٥ .

(٣) أنظر ص ٥٨٠ من هذا البحث .

قبائل تلك الجهة ويعلمهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم في العقيدة والفقه خاصة أحكام العبادات من الصلاة والطهارة وغيرها ويركز على تعليمهم سور من القرآن الكريم ومكث عندهم إلى عام ١٣٧١ هجرية حيث إنتقل معلما في مدرسة مزعل بالقوية(١).

وبإيجاز شديد، فإن كل تاريخ للتعليم الحديث في المملكة يجب أن يبدأ من ذكر حقيقة أكيدة هي أن الملك عبدالعزيز هو الذي أثار الشعلة الأولى للمعرفة في شبه الجزيرة العربية عندما أسس المملكة العربية السعودية(٢).

\* \* \*

وكان التعليم في المملكة قائما على أربعة أسس، هي :

- الأول - المدارس النظامية في المدن والقرى الكبيرة.
- والثاني - المطاوعة والمرشدون ، في (الهجر) والقبائل.
- والثالث - البعثات إلى الخارج.
- والرابع - التعليم الأهلي.

#### المدارس النظامية :

فأما (المدارس النظامية) فهي : قروية، وابتدائية، وثانوية. وفيما يلي عدد ما كان منها، في أوائل سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠م) :

- 
- (١) مشافهة مع الشيخ عبدالله بن سفر في يوم ٢٥/١/١٤١٦ هـ.
- (٢) أحمد عس: معجزة فوق الرمال، ص ٧٨٠، المطابع الأهلية للأوفست بيروت، لبنان
- ط(٣) سنة ١٣٩١ هـ.

البلدة أو المقاطعة	قروية	ابتدائية	ثانوية
في مكة	٥	٨	٣
في جدة	٣	٢	١
في المدينة	٦	٥	٢
في الأحساء	٥	١٢	١
في عنيزة	٠	٠	١
في الطائف	٤	٣	٢
في شمالي الحجاز	٩	٨	٠
في نجد	٠	٤١	٠
في تهامة الجبال	٨	٢	٠
في عسير	٦	٤	٠
في تهامة الساحل	٣	٢	٠
<u>المجموع</u>	<u>٤٩</u>	<u>٨٧</u>	<u>١٠</u>

المدرسون	في المدارس الثانوية	في الابتدائية	في القروية
في مكة	٤١	١٠٠	٥
في جدة	٤	١٦	٤
في المدينة	١٢	٣٥	١٣
في الطائف	٤	٣٠	٤
في عنيزة	٢	٠	٠
في الأحساء	٤	٤٦	١٠
في شمالي الحجاز	٠	٤١	٨
في تهامة الساحل	٠	١٤	١٤
في نجد	٠	١٨٠	٠
في تهامة الجبال	٠	١٣	٦
في عسير	٠	٢٣	٥
<u>المجموع</u>	<u>٦٧</u>	<u>٤٩٨</u>	<u>٦٩</u>

الطلاب	في الثانوية	في الابتدائية	في القروية
في مكة	٣٦٤	٢٤٢٢	١١٢
في المدينة	١٠٠	٦١٧	٣١٠
في الطائف	٢٧	٧٦٨	٨٦
في جدة	١٥	٣٧٣	٨٨
في الأحساء	٣٢	١٢٤٦	٢٧٦
في عنيزة	٤٤	.	.
في شمالي الحجاز	.	١٣٩٦	١٧٥
في نجد	.	٤٩٩٤	.
في تهامة الجبال	.	٦٢٨	٧٣٠
في عسير	.	٥٦٢	١٤٥
في تهامة الساحل	.	٢٥٦	٢٦٣
المجموع	٥٨٢	١٣٢٦٢	٢١٨٥

إجمالي ماتقدم سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م)

عدد المدارس	المدرسون	الطلاب
١٤٦	٦٣٤	١٦٠٢٩

ونما العدد الإجمالي سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) ، نموًا بطيئًا ، فبلغ :

عدد المدارس	المدرسون	الطلاب
١٩٦	٩٤٣	٢٣٨٣٥

وكان في سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) ، آخر أيام الملك عبدالعزيز :

٣٢٦ مدرسة ، ١٦٥٢ مدرسًا ، ٤٣٧٣٤ طالبًا

عقبة :

أول عقبة واجهتها مديرية المعارف العامة، في بدء تكونها في الحجاز، أيام الملك عبدالعزيز، خلو المدارس الابتدائية والأولية، كلها أو معظمها، من المعلمين (المتعلمين) فعالجت ذلك سنة ١٣٤٥ (١٩٢٧) بإنشاء مدرسة سمّتها (المعهد العلمي السعودي) مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات. مهمتها إعداد المدرسين للابتدائي والأولي. وملاّ خريجوا هذا المعهد بعض الفراغ.

المطاوعة :

وأما (المطاوعة) فهم في الهجر والقبائل، يختارون على الغالب من متعلمي الهجر والمدن القريبة من القبائل. وأول ما عليهم أن يعلموه: القرآن الكريم، وأركان الإسلام، والعبادات، ومبادئ من المعاملات، والقراءة والكتابة، ثم بعض (المعلومات) العامة التي يسترشد بها الطالب في دينه ودنياه، أو على الأقل تخرجه من الأمية المطلقة.

ولا يقتصر عمل المطوع أو المرشد، في القبيلة، على (التعليم) بل ربما كان هذا أقل ما يقوم به. فهو واعظ القبيلة وخطيب مسجدتها وإمامها في صلواتها وكتاب رسائلها والمصلح بين المختلفين من أعضاء أسرها، والمتولي لعقود الزواج فيها. وقد يكون مرجعها الديني في كل شيء، كما سلف القول فيه. وله في غير الأمور الدينية والتعليم، رأي مسموع في شؤونها العامة والخاصة.

ولم يتيسر لي الحصول على (إحصاء) لعدد المطاوعة في صحاري المملكة وعدد من يتلقى (العلم) عنهم. وفي حسابني أن عدد الفريقين كبير، على خلاف ما رأينا في المدن حيث يتولى القضاة أعمالاً أوسع من أعمال

المطاوعة، وحيث تقف النفقات (الرسمية) عند حدود معينة لا يستطيع القائمون على (إدارة المعارف) تجاوزها. وقد عرفنا من بيان الدوائر المرتبطة برئاسة القضاة - في بحث سابق - أن في جملتها (المرشدين) وعددهم يزيد على ٦٠٠ وهم قسم من (المطاوعة) الذين تجري عليهم الأعطيات وتوزع عليهم الكساوى من الخاصة الملكية في الرياض، ولا ارتباط لهم بتشكيلات الحكومة الرسمية.

### البعثات :

والى جانب إنشاء (المعهد العلمي السعودي) في مكة، سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) كان إرسال أول بعثة من خريجي المدارس، في أوائل العام الهجري نفسه. وبدأ العاملون في العهد الجديد، يدركون قيمة تعليم أبنائهم في الخارج، وكان إرسال (البعثات) الذي تعاقب بعد ذلك، أنجح عمل للمعارف في المملكة. ويمكن اعتباره (حجر الأساس) في بناء الدولة العلمي الحديث.

كانت هذه البعثة مؤلفة من أربعة عشر طالبا، أكملوا دراستهم (الثانوية) في مكة وغيرها وأرسلوا إلى مصر في هذا العام (١٣٤٦هـ) ولم يلبثوا بعد تخرجهم أن عادوا إلى بلادهم ما بين عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) و ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) يحملون (شهاداتهم) من المعاهد والكليات الآتية :

٥	من كلية دار العلوم
٢	من تخصص القضاء الشرعي
٢	من كلية الحقوق
١	من كلية الطب
١	من مدرسة المعلمين الأولية
١	من مدرسة التجارة المتوسطة
١	من كلية اللغة العربية
١	من مدرسة تحسين الخطوط (١)

التعليم الأهلي :

وللتعليم (الأهلي) في المملكة فضل كبير في نهضتها الحديثة. فإن القائمين بالأعمال الحكومية، في الدولة، كان معظمهم من خريجي المدارس الأهلية التي أنشئت قبل عهد الملك عبدالعزيز وفي عهده.

وليس بين يدي إحصاء حديث لهذه المدارس في المملكة. فلنرجع إلى ماجاء في كتاب (البلاد العربية السعودية) الصادر سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) وفيه ذكر المدارس الأهلية في الحجاز فقط، وهي الآتية أسماؤها :

- ١ - مدرستا (الفلاح) بمكة وجدة
- ٢ - الفخرية.
- ٣ - الصولتية
- ٤ - الفائزين
- ٥ - الماحي.
- ٦ - الترقى العلمية.
- ٧ - مدرسة العلوم الدينية الجاوية.
- ٨ - مدرسة أندونيسيا.
- ٩ - مدرسة دار الحديث.
- وكل هذه المدارس في مكة (١) وكذلك نحو عشرين كتابا.
- ١٠ - مدرسة العلوم الشرعية
- ١١ - الأيتام.
- ١٢ - النجاح.
- ١٣ - التربية والتعليم.

(١) وفي جريدة البلاد السعودية - ١٣٧١/١/٢٠هـ - ذكر لمدرسة عشرة في مكة أيضا هي (المدرسة الرحمانية) أنشئت عام ١٣٣٠هـ (١٩١٢م).



- ١٤ - الخيرية .
- ١٥ - دار الحديث .
- ١٦ - التهذيب والتعليم .
- ١٧ - القراءات والتجويد .

وهذه كلها في المدينة المنورة . وكذلك ثمانية كتاتيب .

وكتب الشيخ محمد بن عبدالرحمن الفضل (١) أن مدرسة (الفلاح) بجدة حلت محل مدرسة كانت تدعى (النجاح) أسست سنة ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) وكان منهاج التدريس فيها، على طريقة (السؤال والجواب) وكانت نفقاتها من تبرعات طلابها وأهل الخير. ثم ساعدتها الحكومة (العثمانية) وجعل التدريس فيها بالتركية. وتضعض أمرها، فأغلقت سنة ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) وقام محمد علي زينل (٢) بتأسيس مدرسة (الفلاح) فحلت محل (النجاح).

وكان عدد الطلاب في هذه المجموعة من المدارس الأهلية سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) ٥٢٧٧ طالبا. منهم في مدرستي الفلاح بمكة وجدة ١٣٠٦ تلاميذ، وفي الصولتية ٥٧٥ وفي الجاوية ٥٠٠ وفي الفخرية ٣٧١ وفي العلوم الشرعية ٣٩٤ ثم في بقية المدارس والكتاتيب ٢١٣١ تلميذا. وغني عن الذكر أن العدد قد زاد كثيرا، بعد ذلك، تبعا لتقدم الحركة الفكرية واليقظة العامة في البلاد.

#### بعثة داخلية :

وبعد فتح (المعهد السعودي) في مكة، أراد الملك عبدالعزيز أن يكون نفعة شاملا. فأمر باختيار خمسين شابا من أهل نجد، لدخوله. وبعد قدومهم إلى مكة في ذي الحجة ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م) اقتصر على اثني عشر منهم،

(١) في مجلة المنهل ٢٦ : ٣٦٥

(٢) توفي سنة ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م)، وكان من كبار المحسنين في مثل هذا السبيل.

فهيأت لهم وسائل المطعم والمسكن والملبس وغيرها . وألحقوا بالمعهد، حتى أكملوا دراستهم فيه، فكان من بينهم القاضي ومدير المدرسة والمدرس، كغيرهم من خريجي المعهد . وابتعث بعضهم إلى مصر، فأكملوا دراستهم فيها .

### مدرسة لأبناء العشائر :

واستفدت من كتاب (بلاد ينبع) الصادر حديثاً (١) وهو ممتع في موضوعه، كسائر كتب مصنفه، أنه كان في ينبع سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) مدرستان نظاميتان، وثلاثة كتاتيب أهلية لتعليم مبادئ القراءة والكتابة، لم تسبق الإشارة إليها فيما تقدم : الأولى أنشئت في العهد التركي، واستمرت إلى العهد السعودي، فاتسعت . والثانية خص بها (أبناء البادية) وقد عرفت من خبرها، أن أحد العلماء - ولم يشأ أن يذكر اسمه - كان في ينبع سنة ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) ورأى كثرة البدو، في أطرافها، من جهة حرب وغيرها . فكتب إلى الملك عبدالعزيز، في أمر أبنائهم، فلم يلبث عبدالعزيز أن أوبرق إلى أمير ينبع، بما معناه : أقيموا مدرسة خاصة بأبناء العشائر، تتسع مؤقتاً لمئة طالب . وما انتهى عام ١٣٥٣هـ، حتى كانت المدرسة، وفيها نحو مئة تلميذ من أبناء العشار القريبة من ينبع .

قلت : لم يكتف عبدالعزيز، بالهجر، لتحضير البدو، فزاد (المدارس) وهذه أولها، فيما أعلم، أو إحداها .

\* \* \*

ورأيت في كتاب (ماذا في الحجان) - لأحمد محمد جمال - نبذة عن بعض المدارس الأهلية، جاء فيها أن المدرسة الصولتية افتتحت عام ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) بمكة - وسنوات الدراسة فيها أربع تحضيرية، وأربع ثانوية واثنان عاليتان؛ والمدرسة الفخرية، بمكة افتتحت سنة ١٢٩٧هـ (١٨٨٠م) (٢) .

(١) من تأليف الأستاذ حمد الجاسر . ولم يذكر تاريخ طبعه - الصفحة ١٣٩ .

(٢) الزركلي - شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز - الصفحة ٦٤٣ .

## الفصل الثاني الجهود الشخصية للملك عبدالعزيز في الدعوة

ويحتوي على مبحثين :

المبحث الأول : تنقية العقيدة•

المبحث الثاني : اهتمام الملك عبدالعزيز بالدعوة من  
خلال خطبه ومكاتبته

**المبحث الأول**  
**تنقية العقيدة**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تقرير العقيدة الصحيحة . \_\_\_\_\_

المطلب الثاني : نشر العقيدة . \_\_\_\_\_

## المطلب الأول

### تقرير العقيدة الصحيحة

أولا : تقرير الرسل واتباعهم العقيدة الصحيحة :

لاشك أن توحيد الله وعبادته أساس كل خير ومنبع كل سعادة في الدنيا والآخرة، وهو الغاية العظمى من وجود الإنسان على هذه الأرض قال تعالى :  
" وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " (١)

فهناك غاية معينة لوجود الجن والانس تتمثل في وظيفة، من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده، ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده، وأصبح بلا وظيفة وباتت حياته فارغة من القصد.

هذه الوظيفة المعينة التي تربط الجن والانس بناموس الوجود هي العبادة لله أو هي العبودية لله وأن تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الهدف.

وان حقيقة العبادة تتمثل في أمرين :-

الأول : استقرار معنى العبودية لله في النفس، فليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود فليس ثمت إلا رب واحد هو الله والكل له عبيد.

الثاني : هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير وكل حركة في الجوارح وكل حركة في الحياة التوجه بها خالصة إلى الله (٢).

والتوحيد قضية الأنبياء والمرسلين قال تعالى : " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت"(٣).

(١) الذاريات / الآية (٥٦).  
(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن / المجلد ٦ ص ٢٣٨٧ / ط . دار الشروق .  
(٣) النمل / الآية ٣٦ .

(والعقيدة الاسلامية عقيدة ناصعة واضحة في هذه النقطة فالله يأمر عباده  
بالخير وينهاهم عن الشر)(١) .

ولقد متن الله على هذه البلاد بأن جعلها موطناً لدعوة التوحيد ومنطلقاً  
لهذه الدعوة حيث وضع فيها أول بيت لعبادة الله وحده لا شريك له .

"ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين" (٢) .

حيث نادى إبراهيم بالتوحيد ودعا اليه وأمر بتطهير البيت للطائفين  
والقائمين والركع السجود" .

وعلى أرض الجزيرة العربية دعا هود - عليه السلام - إلى التوحيد "وإلى  
عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره" (٣) .

ودعا صالح قومه إلى التوحيد : "وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم  
اعبدوا الله مالكم من آله غيره" (٤) .

ودعا محمد عليه الصلاة والسلام قومه إلى كلمة التوحيد "قل اني أمرت  
أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعوا واليه مآب" (٥) .

فتوحيد الله تعالى هو أول نداء نادى به كل رسول في قومه، وهو أول  
موضوع وأهم موضوع لكل كتاب أنزله الله (والسياق القرآني يوحد الألفاظ التي

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن / المجلد ٣ ص ١٤٠٤ / دار الشروق .

(٢) آل عمران / الآية ٩٦ .

(٣) الأعراف / الآية ٦٥ .

(٤) الأعراف / الآية ٧٣ .

(٥) الرعد / الآية ٣٦ .

عبر بها جميع الرسل "اعبدوا الله مالكم من اله غيره" يوحد حكاية ما قالوه وذلك لتحقيق معنى وحدة العقيدة السماوية على مدار التاريخ).

(لقد جاءت الرسل بالتوحيد الخالص وبيروبية رب العالمين وبالحساب يوم الدين ولكن الانحرافات في خط الاعتقاد تمثلت في صور شتى من المعتقدات الجاهلية)(١).

والرسل جاءت أيضا بالأمر بتوجه العباد بعبادتهم إلى خالقهم جل وعلا، فالعقيدة هي الأصل وهي الأساس الذي تنبني عليه الشريعة وليس من الحكمة أن تعرض التشريعات الإسلامية على النفوس قبل أن تخلص هذه النفوس لله وتعلن عبوديتها له.

ويجب أن تكون الرغبة في التشريعات الإسلامية منبثقة عن الرغبة في اخلاص العبودية لله والتحرر من سلطان سواه)(٢).

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن / ج ٣ / ١٤٠٤ .

(٢) احمد فايز : طريق الدعوة في ظلال القرآن الكريم ص ١٧٣ .

ثانيا : تقرير الملك عبدالعزيز للعقيدة الصحيحة :

سلك الملك عبدالعزيز منهجا قويا في ترسيخ العقيدة الصحيحة في البلاد مكثه هذا المنهج من احلال الأمن والاستقرار وتحقيق الرخاء في البلاد .

(يقوم هذا المنهج على ثلاث دعائم :-

- (١) توحيد الله تعالى وعبادته .
- (٢) تطبيق الشريعة الاسلامية .
- (٣) السعي إلى وحدة الأمة .

"وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون"(١) (٢) .

امتدادا لجهود الشيخ محمد بن عبدالوهاب والامام محمد بن سعود قام الملك عبدالعزيز بجهود عظيمة في تقرير العقيدة الصحيحة ونشرها والذب عن حياضها .

فمن تتبع الأسباب التي حملت الشيخ محمد بن عبدالوهاب على القيام بدعوته ثم تناول الكتب والرسائل التي كتبها الشيخ أو كتبها أولاده وأحفاده وتلاميذهم يلاحظ أن دعوته ركزت على ناحيتين :

الأولى : دعوة الناس إلى تجريد العبادة لله وحده؛ بحيث لا يعبد مخلوق مخلوقا مثله من دون الله أو مع الله وتجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لا يقدم قولا أو رأيا على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) الأنبياء / الآية ٩٢ .

(٢) د. عبدالله التركي : الملك عبدالعزيز والمملكة العربية السعودية المنهج القويم في الفكر والعمل، ص ٤٣/٣٦ .



الثانية : دعوة الناس وخصوصا الحكام إلى تحكيم شريعة الله وحدها .

وهذا يعني أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت تحارب جاهليتين  
شركيتين خطيرتين :

الأولى - جاهلية عبادة المخلوق لمخلوق مثله بدعوى حب الصالحين أو  
التوسل بهم والذي يشبه قول المشركين :  
" مانعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " (١) .

الثانية - جاهلية الحكم بغير ما أنزل الله .

وبناء على هذه الأسس للدعوة السلفية، وفي إطار بيان مجهودات الملك  
عبد العزيز والعلماء في مجال تقرير العقيدة الصحيحة .

ينبغي إيضاح ثلاث نقاط هي :

- (أ) تمسك الملك عبدالعزيز بعقيدة التوحيد .
- (ب) جهوده في تقرير العقيدة الصحيحة في المملكة بأديها وحاضرها .
- (ج) جهوده في الدعوة إلى هذه العقيدة الصافية عالميا من خلال السياسة  
الدولية .

#### ١ - تمسك الملك عبد العزيز بعقيدة التوحيد . . .

كان الملك عبدالعزيز يتمسك بعقيدة التوحيد ويبني على هذا الأساس كل  
قراراته وتصرفاته .

(١) الزمر / الآية ٣ .

فالصفة الأكثر أهمية ووزنا وعمقا في شخصية الملك عبدالعزيز أنه رجل عقيدة قبل كل شيء، ومؤدى ذلك أن الخصائص الأخرى تستمد من العقيدة قوتها وأثرها وظهورها. (١)

فقد علم من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن سيرة الخلفاء الراشدين والحكام الصالحين أن أصل الأصول في الدولة الإسلامية هو: عقيدة التوحيد.

وقد سبقت الإشارة إلى عبارته المشهورة لخالد بن لؤي حيث قال له: (كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله. اني والله وبالله وتالله أقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة لا أضن بها) (٢).

(والملك عبدالعزيز رجل موحد خالص التوحيد في خاصة نفسه ملتزم منهج السلف الصالح في توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، لا يدعو غير الله ولا يشرع ما لم يأذن به الله).

ومن الأدلة الواضحة على تمسكه بعقيدة التوحيد :

١ - محبته للتوحيد وإخلاصه له وإعلانه فاختار الشهادتين شعارا لرايته وعلماء لمملكته وشارة لبلاده.

٢ - اعتباره التوحيد القاعدة الرئيسية في حياة المسلمين - راع ورعية امام ومأمومين - واذا يقيم الملك عبدالعزيز قلبه على توحيد الله فانه في اللحظة ذاتها يلزم من يلي أمرهم بتوحيد الله جل شأنه. (٣)

(١) عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ : جهود الملك عبدالعزيز في خدمة العقيدة، ص ٢.

(٢) انظر ص ٨٣ من البحث .

(٣) د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

٣ - من فرط احساسه بمعاني التوحيد فإنه كان يقظا لكل لفظ يجرح هذا التوحيد.

فالتوحيد أقام الملك عبدالعزيز نفسه عليه عقيدة وسلوكا.

(فقد كان في إحدى زيارته لبلدة الخرج في ١٧ من ذي الحجة سنة ١٣٦٣هـ اذ دخل عليه شاعر من أهل نجد وفي يده قصيدة استأذنه في القائها وابتدأ بمطلعها :

انت أملنا وفيك الرجاء . . .

فصاح الملك عبدالعزيز قائلاً: تخساً . . . تخساً، ولمح في المجلس أحد طلبة العلم، فقال علمه التوحيد (١)

فهو يدرك أن هذه الألفاظ من معاني توحيد الألوهية لا يجوز صرف شيء منها لغير الله . (والتقى يوماً بزعيم عربي وفي أثناء الحديث أراد هذه الزعيم التوكيد على مسألة معينة فقال مخاطباً الملك عبدالعزيز وحياء رأسك (٢) فرمقه ابن سعود بنظرة موحدة وقال له : قل والله (٣).

ولما كانت عبادة الله وحده هي الغاية العظمى من وجود الإنسان اقتضت عناية الله بهذا الانسان أن يهييء لدعوة التوحيد رجالاً يحيون مفاهيمها وأصولها ومقاصدها في القلوب والأفهام والمسالك والحياة كلها، كل ما ران على القلوب رين من مفسدات التوحيد.

(١) د. سعود بن سعد الدريب: الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة، ص ٢٣.

(٢) والحلف لا يكون إلا بالله أو اسم من اسمائه أو صفة من صفاته ذاته، أما الحلف بغير الله فيندرج تحت الشرك الأصغر. انظر تيسير العزيز الحميد ص ٥٢٥ .

(٣) د. عبدالله التركي: الملك والمملكة المنهج القويم في الفكر والعمل، ص ٣٧.

من هؤلاء الرجال الملك عبدالعزيز رحمه الله الذي نقى فؤاده من أدران  
الشرك ودعا أمته إلى التوحيد الخالص .

قال رحمه الله : (أنا داعية أدعو إلى عقيدة السلف الصالح . . . وهي  
التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما جاء عن الخلفاء  
الراشدين)(١) .

ويقول رحمه الله :-

(أما العبادة فلا تصرف إلا لله وحده لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل  
ولا تخفى عليكم الآية الكريمة "وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون"(٢)  
ومعنى يعبدون يوحدون ، فالتوحيد خاص بالله تعالى والعبادة لا تصرف إلا اليه  
والرجاء والخوف والأمل كله بالله ولله وما بعث محمد ولا أرسل الرسل ولا  
جاهد المجاهدون إلا لتوحيد الله تعالى)(٣) .

ويقول رحمه الله (اني أفضل أن اكون على رأس جبل آكل من عشب الأرض  
أعبد الله وحده ، على أن أكون ملكا على سائر الدنيا وهي على حالتها من  
الكفر والضلال . اللهم إنك تعلم أنني أحب من تحب وأبغض من تبغض .

اننا لاتهمنا الأسماء ولا الألقاب وانما يهمننا القيام بحق واجب كلمة  
التوحيد)(٤) .

بهذا المفهوم الصادق لأصل التوحيد نظر الملك عبدالعزيز إلى العالم حوله  
بنظرة بالغة العمق والسداد .

(١) أم القرى ، العدد ٤٣٤ ، سنة ١٣٥١هـ .

(٢) الذاريات / الآية ٥٦ .

(٣) من خطبة للملك عبدالعزيز في المأدبة الكبرى لضيوف الرحمن والمنشورة بجريدة أم  
القرى بعددها (٩٨٩) الصادر في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٦٣هـ .

(٤) د عبدالله بن عبدالمحسن التركي: منهج الملك عبدالعزيز في السياسة الدولية وأثره  
في العلاقات السعودية المصرية، ص٣٨ .

فالعلاقة في ذات الله تعالى وعلى توحيده، هي أنزه علاقة وأدوم علاقة .  
وفي ضوء ذلك لا يستغرب أن يكون الملك عبدالعزيز قدوة في الدعوة إلى  
توحيد الله عز وجل .

(كان الملك عبدالعزيز داعية للتوحيد بقوله وفعله، وقد اقتدى به عدد كبير  
من دعاة التوحيد في العالم العربي والإسلامي ومما يدل على ذلك أن دعاة  
التوحيد في العالم الإسلامي كانوا يأتون ويجلسون اليه ويأخذون من أقواله  
ونصائحه ما يعزز نشاطهم ويحسن أساليبهم في الدعوة إلى التوحيد) (١) .

ولم يقتصر الأمر على مجرد النصائح، بل تعداه إلى الدعم المادي  
والمعنوي لهؤلاء الدعاة بغرض نصره هذه العقيدة، ومن أمثال هؤلاء الدعاة  
الشيخ محمد رشيد رضا مؤسس مجلة "المنار" التي نشرت مقالات التوحيد  
ومحاربة الشركيات والشيخ محمد حامد الفقي والشيخ محمود الألوسي  
 وغيرهم كثير .

اذن فالعقيدة هي أعلى ما يملك الملك عبدالعزيز، وفي سبيل هذه العقيدة  
يقف الملك عبدالعزيز أمام تيارات الوثنية والخرافات الشركية ولو كان في  
المداينة لأهل هذا التيار الكسب السياسي أو المغنم الشعبي يقول الدكتور  
عبدالله التركي :-

(عرف عن كثير من الساسة الذين يهتمهم الكسب السياسي فحسب - أنهم  
يجاملون الناس ويدهنون العامة في أمور العقائد بل ان منهم من يشارك  
العامة خرافاتها ووثنياتها رغبة في الشعبية وطلباً للتأييد .

(١) المهندس / سليمان على الشايع : الملك عبدالعزيز وأثره في التاريخ المعاصر،  
ص ٣٦ .

وكان من مقتضيات المجازاة العرفية في منطق السياسيين الذين يضحون بالعقيدة من أجل أهوائهم السياسية أن يجاري الملك عبدالعزيز بعض الأعراف وطوائف من العوام في البدع والخرافات التي تنال من جلال التوحيد . ولكنه لم يفعل لأن التوحيد أعلى وأسمى وأعظم من أي إعتبار آخر .

بل فعل ما هو نقيض ذلك حيث عقد العزم على تطهير الجزيرة من كل عرف أو تقليد أو عادة أو خرافة تفسد على الناس توحيدهم الخالص . وهذه طريقة في الانتصار للعقيدة لا يستخدمها إلا داعية موحد لا يقايس على التوحيد بشيء (١) .

وهكذا نرى تمسكه بهذه العقيدة التي يعتبرها منبع كل خير ومن ثم لم يفكر أن يأتي قومه بمذاهب فكرية مستوردة غريبة على عقول أمته ومعتقداتهم كما فعل بعض الزعماء المسلمين ممن عاصره أو جاء بعده ملتجئين في هذه الأفكار حل مشكلاتهم ، فكان نصيبهم من هذه الأفكار والمذاهب الأفلاس في جميع نواحي الحياة .

أما الملك عبدالعزيز فقد تمسك بعقيدة التوحيد ودعا إليها ، حتى وصف بأنه : (الإسلامي الداعية للحل الإسلامي) (٢) ، وأوصى رحمه الله ولي عهده فقال :

( تعقد نيتك على ثلاثة أمور . . .

أولا : نية صالحة وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون دينك إعلاء كلمة التوحيد .

(١) د. عبدالله التركي : الملك عبدالعزيز والمملكة - المنهج القومي في الفكر والعمل ، ص ٣٧ .

(٢) وصف بهذه العبارة محمد جلال كشك في كتابه "السعوديون والحل الإسلامي" ص ٣٢ .

ثانيا : عليك أن تجتهد في النظر في شئون الذين سيوليك الله أمرهم  
بالنصح سرا وعلانية، والعدل في المحب والمبغض، وتحكيم الشريعة في  
الدقيق والجليل والقيام بخدمتها باطنا وظاهرا.

ثالثا : عليك أن تنظر في أمر المسلمين عامة.(١)

---

(١) الزركلي : الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ص ١٥٩ .

## المطلب الثاني

## نشر العقيدة

أولا : جهود الملك عبدالعزيز في نشر العقيدة الصحيحة داخل المملكة :

ان الدعوة السلفية التي نادى بتصحيح العقيدة لم تزل تنمو وتتسع بعد وفاة مؤسسيها الأوائل - محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود - حتى بلغت في أوائل القرن الثالث عشر الهجري مبلغا عظيما على يد الأمير سعود المعروف (بالكبير) حفيد الإمام محمد بن سعود، فقد رفرت أعلام التوحيد على ربوع نجد كلها حتى بلغت أطراف سوريا والعراق وعمان، وأصبحت الدعوة قوة هائلة تهدد دولة الأتراك.

ففكرت الدولة التركية جديا في الخلاص منها، فذهبت تنشر الدعاية السيئة ضد هذه الدعوة السلفية في البلاد الإسلامية، وأخذوا يذيعون أن أنصار هذه الدعوة لا يحبون أهل البيت ولا يحفظون للأولياء حقا ولا حرمة، كما وصفوا الدعوة بأنها مذهب خامس واجتهدوا في هذه الدعاية الكاذبة وجسدوا كل الجد واستعملوا في ترويجها أهل العلم من الشيوخ الرسميين، وألفت الكتب وارتفعت الأصوات على المنابر تقذح في الوهابيين وترميهم بكبيرات الامور فنجحوا في هذا نجاحا بقي أثره إلى يومنا هذا.

(ولم يقف الأمر عند مجرد الدعاية السيئة التي وصلت الى حد أن جعلوا القذح في هذه الدعوة السلفية مادة تدرس، بل انهم أرسلوا الجيوش لمحاولة ضرب هذه الدعوة واضعافها)(١).

بهذه القوى المتضاربة ضعف سلطان آل سعود وضعفت دعوتهم واستولى حلفاء الأتراك على البلاد وأعملوا السيف وأمروا باحراق كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

( ١ ) عبدالله القصيمي، الثورة الوهابية / ص ٢٨، المطبعة الرحمانية - مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٥٤ هـ.



وكان من نتائج هذا الاضطراب في الأحوال المحيطة بالدعوة أن عاد الناس إلى جاهليتهم الأولى فانتشرت الخرافات والشركيات من جديد، فضلا عن التقاليد الأعجمية التي خلفها الأتراك والتي تنافي مضمونها توحيد الألوهية ونشط أعداء الدعوة (فمنهم من طمس أعلام الموحدين وأراد إيحاء اضدادها من أعمال الجاهلية وأفعال المشركين)(١) .

وعادت مظاهر الشرك تظهر من جديد وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والبناء عليها والتبرك بها والنذر لها والاستعاذة بالجن والذبح لهم ووضع الطعام وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم والحلف بغير الله وغير ذلك من الشرك الأصغر والأكبر .

فكانوا يخرجون بالمریض إلى بعض البقاع فيذبحون عندها ويهدون إليها الحللي والحلل وخواتم المرضى، وعاد بعضهم إلى قريب من حالته الأولى بسبب ارتكاب هذه المحرمات)(٢) .

ولم تكن الحجاز - في هذه الفترة - بأسعد حظا من نجد، فالانحرافات في العقيدة والخرافات تملأ البقاع حيث التوجه إلى القبور التي بنيت عليها القباب والنذر لها)(٣) .

وافترقت القلوب وشاعت البدع (من هذه البدع بدعة المقامات للمذاهب الأربعة في الحرمين، فكننت ترى الحنفي لا يقتدي بالشافعي ويجلس فيما بين الصفوف ينتظر جماعة مذهبه، ترى هذا في المسجد الحرام الذي هو أفضل مسجد)(٤) .

(١) الدرر السنية ج٧ / ص ١٢٦ .

(٢) محمد بن بليهد، الجغرافية الأدبية / ص ٥٠٤ .

(٣) تراجع تفصيلات هذه الشركيات في كتاب (الايضاحات السلفية لبعض المنكرات والخرافات الوثنية) عبدالله بن سعدي الغامدي .

(٤) ترجمة المعصومي ، ص ٥٧ .

(وقبر السيدة حواء(١) بمدينة جدة كان في أوائل الأربعينات من القرن الثالث عشر الهجري تتوسطه قبة عظيمة ومن أمام القبة وخلفها ممر طويل يدخل الناس والحجاج خاصة للزيارة ويتولى أحد المشايخ ادخال الحجيج وتلقينهم الدعاء للزيارة ويتقاضى نقودا نظير ذلك(٢).

ولما حمل الملك عبدالعزيز راية الدعوة أدرك أن هذه الشركيات قد تغلفت جذورها في النفوس وترسخت مفاصد وأدران الوثنية فشرع يخطط لاصلاح هذه النفوس وتطهيرها فجعل التوحيد قضيت المنهجية الأولى .

كانت الدعوة التي نادى بالعودة للعقيدة الصافية والتي انتهجها العلماء في عهد الملك عبدالعزيز تنصب بشكل مباشر على ساكن الحضرة، ومع ذلك كان ابن سعود يرى أن البدو هم عصب الدولة وأنهم يشكلون نسبة كبيرة من سكانها، والحقيقة الجديدة بالاشارة أن النجديين رغم أنهم - بفعل العوامل السابقة - قد فصلوا عن آل سعود فانهم مازالوا معهم في الدين والحب والعقيدة؛ وذلك لما اكتسبه آل سعود منذ عهدهم الأولى من مكانة دينية في قلوبهم بسبب نصرتهم للعقيدة السلفية .

كان الملك عبدالعزيز يدرك خطر البداوة على مبادئ الدعوة السلفية وأن الجبلية التي فطرت عليها القبائل أورثتها عادات وتقاليد تتنافى مع تعاليم الدعوة(٣).

لقد شتخص الملك عبدالعزيز الداء واتضححت سياسته الحكيمة في معالجة الشركيات والخرافات التي اتسمت بها التقاليد في البداية فرأى في التوطين والاستقرار وتصحيح العقيدة الدواء الناجح؛ حيث لا يمكن أن تتغير هذه

(١) وهذا القبر المزعوم لا يثبت ولا يستند على دليل شرعي ولا تاريخي معتبر .

(٢) محمد على مغربي : اعلام الحجاز / ص ١٣٨ .

(٣) راجع في ذلك :

- الزركلي : شبه الجزيرة ، ج١/ ٢٥٩ ومابعدها .

المعتقدات الا بوازع من الدين واعادتهم إلى عقيدتهم السلفية، أو بمعنى آخر إقامة معالم الدين وإزالة هذه البدع والخرافات. (هدم عبدالعزيز في نفوس المسلمين من جنود الدعوة أدرانها فأقام فيها رباط الأخوة في الدين واللحمة في العقيدة بعد أن قطع فيها رباط القلبية وعنجهية الأنا الطاغية)(١).

ومن ثم أصبحت الهجر موطنًا للتخصير ومنطلقًا للتوحيد، ونجح العلماء في إعادة نور التوحيد من جديد لهذه الهجر فأثمر هذا النجاح الوحدة بين القبائل على أساس عقيدة التوحيد. وكانت المهمة صعبة حيث كان عدد العلماء لا يكفي لمواجهة هذه المهمة.

(وتعب الملك عبدالعزيز تبعًا شديدًا في اختيار المرشدين الذين يواجهون أهل الهجر بالعقيدة الصحيحة والسلوك الصحيح. وقام العلماء بتحرير خطاباتهم المشتركة في توجبه القوم)(٢).

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى شخصية الملك عبدالعزيز المحبة للتوحيد المتمسكة به وأثرها في القوم؛ بحيث تجسدت عقائدية ابن سعود في جميع انجازاته وخاصة بذلك المجهود في ترسيخ العقيدة الصحيحة بين أهل البادية.

وهكذا، فإن شخصية ابن سعود كانت هي التي أعطت الدفعة القوية لهذا التحول العظيم واحاطته بمقتضيات النجاح، وهي التي جعلته يعين المرشدين لتعليم هؤلاء الرحل الزراعة إلى جانب المطوعين(٣) لتعليم أسس العقيدة الصحيحة(٤).

(١) عمر أبو زلام، المبقرية في التوحيد والتحرير والتخصير، ص ٤١.

(٢) أبو عبد الرحمن بن عقيل: معركة الفقة والتأهيل قبل توحيد المملكة، ص ٣.

(٣) (اطاع) فلان يطوع طوعاً: انقاد، طوع: مبالغة في طاع، المطوع: المتطوع للجهاد ونحوه يقال لهم المطوع، والمطوع - بتخفيف الطاء - وهنا الشيخ الذي يعلم الناس أمور دينهم ويذكرهم بالصلاة وغيرها (كنت مع عبدالعزيز ص ٤٠).

(٤) عثمان الصالح: جوانب من عبقرية عبدالعزيز، ص ١٨.

ونجح الملك عبدالعزيز بتوفيق الله في أن يزيل سائر مظاهر الشرك، وأسس دولته على الاخلاص لله وحده حتى كان القوم يعتزون بأنهم "أهل التوحيد" ويرددون في معاركهم "نحن أهل التوحيد" ولم تقف همة الملك عبدالعزيز عند هذا الحد بل انه سعى في القضاء على الأسباب المفضية الى هذه الخرافات والشركيات.

"فحينما استولت الحكومة السعودية على الحجاز ودخل الملك عبدالعزيز جدة سنة ١٣٤٤هـ كان من أوائل الأعمال التي قام بها هدم قبة حواء، وقفل الزوايا المنسوبة إلى الطرق الصوفية وابطال البدع التي كانت سائدة في ذلك الزمان والتي كان يتقرب بها الناس كما يظنون إلى الله تعالى" (١).

وفي سبيل القضاء على الشائعات التي ترمي أهل نجد في عقيدتهم طلب أحد علماء الحجاز من الملك عبدالعزيز أن يجمع علماء الحجاز بعلماء نجد ليتباحثوا في مسائل من الشرع. وأجابهم الملك واجتمعوا في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ وأصدر علماء مكة بياناً جاء فيه: قد حصل الاتفاق بيننا وبين علماء نجد في مسائل أصولية منها :-

(١) أن من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه يدعوهم ويرجوهم في جلب نفع أو دفع ضرر فهو كافر حلال الدم والمال.

(١) محمد على مغربي : أعلام الحجاز، ( ومن الأمثلة على إهتمام الملك عبدالعزيز بهدم مظاهر الشرك هذه الرسالة التي وجهها إلى شيخ الحرم المكي في وقته الشيخ عبدالله بن سليمان البليهد وقال فيها:

(ان شاء الله على مسألة هدم القباب جميع قبه تهدم حتى تساوى بالأرض... ولاحتاجون توصية بذلك... تحرصون لا يترك شيء من القباب مرة واحدة. ١٧/٩/١٣٤٤هـ) من وثائق الملك عبدالعزيز، ص ١٥٣.

والرسالة - كما نرى - بالغة الدلالة على تتبع الملك عبدالعزيز لكل صور الشرك بالهدم والإزالة.

(٢) أن البناء على القبور واتخاذ السرج عليها وإقامة الصلاة فيها بدعة محرمة في الشريعة الإسلامية.

(٣) من سأل الله بجاه أحد من خلقه فهو مبتدع مرتكب محرماً.

واتفق العلماء على نشر هذا البيان الذي من خلاله اتضحت وحدة العقيدة في أنحاء المملكة.

قال المعصومي :

لما تشرفت بمكة المكرمة سنة ١٣٥٣هـ انشرح قلبي برؤية الكعبة المشرفة - زادها الله تشرifa وتعظيماً ولما شهدت توحيد الجماعة في الصلوات الخمس زادني سروراً على سرور لاضمحلال بدعة تعدد الجماعات في هذا المسجد الشريف، وكذا هدم قباب القبور التي كانت من أضر الأشياء على عقيدة المسلمين(١).

وهكذا وفق الله سبحانه وتعالى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن لذلك الأمر العظيم وكذا تأمين الطرق كما وفقه الله لما فيه رضاه من احياء السنة المحمدية وقمع البدع المحدثه(٢).

يقول الملك عبدالعزيز رحمه الله :-

" ان سبيل رقي المسلمين هو التوحيد الخالص والخروج من أسر البدع والضلالات والاعتصام بما جاء في كتاب الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم"(٣).

(١) مختصر ترجمة حال محمد سلطان المعصومي ، ص ٩٥ .

(٢) د. سعود سعد الدريب : الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم الاداري ، ص ٢١-٢٢ ،

عبدالله الزامل: اصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود/ ص ١٥٤ .

(٣) قد نشرت هذه الخطبة بجريدة أم القرى بعدد رقم (٣٣٣) الصادر في ذي الحجة سنة

١٣٤٩هـ .

وقال الدكتور عبدالله التركي :

(لما ظهر الملك عبدالعزيز بدعوة التوحيد ودين الحق استطاع بعون الله ثم بوسيلة الشوكة والسلطان أن يحمي حمى التوحيد من كل ما يخالفه ويزاحمه من عقائد وعادات وأعراف ومظاهر وأساليب) (١).

فلقد كان أول ما يهتم به الملك عبدالعزيز في جميع أموره حماية جانب التوحيد والعقيدة الإسلامية من أن يخذشها ما يكدرها ولقد بذل - وكذلك أسلافه من قبله - كل طاقاتهم وصرفوا جل إهتمامهم وجاهدوا لإعلاء كلمة التوحيد وإزالة جميع ما يخالف العقيدة الإسلامية لعلمهم الأكيد أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ومآواه النار فبذلوا في سبيل ذلك دمائهم وأبنائهم وأموالهم فأعزهم الله بالملك في الدنيا وإن شاء الله بما وعد به عباده الذين يموتون ولا يشركون به شيء أن يكون مصيرهم الأخير إلى الجنة وسوف أورد ثلاثة أمثلة من حماية الملك عبدالعزيز للعقيدة الإسلامية وهي :

١ - حرصه على إزالة جميع مظاهر الشرك المنتشرة عند بعض المسلمين مثل البناء على القبور وتعظيمها مما يؤدي إلى صرف شيء من العبادة لها ومن ذلك هدم صنم ذي الخلصة في منطقة تبالة قرب بيشه حيث هدم بواسطة عامل الملك عبدالعزيز على تلك الناحية عبدالعزيز بن إبراهيم ونكل بسننتها وتوعدهم بالقتل إذا عادوا لبنائها(٢).

(١) د. عبدالله التركي : الملك عبدالعزيز والمملكة، المنهج القومي في الفكر والعمل ، ص ٦٦.

(٢) أنظر تعليقات الشيخ محمد بن بليهد على كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٢٨٥ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٣ ميلادي وحرصت على ذكر هذا المثال المتعلق بصنم ذي الخلصة لأنه قد ورد في قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس عند ذي الخلصة" رواه البخاري برقم ٧١١٦ كتاب الفتن باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان . وسلم برقم ٢٩٠٦ كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذي الخلصة .

٢ - حماية المملكة من أن يتسلل إليها شيء من عقائد الكفار من نصارى وشبوعيين وغيرهم وتحريم دخول المنصرين إليها أو وجود صلبان أو غير ذلك من شعارات الكفار كما حرص على عدم دخول الشيوعيين بلاده، حدثني والذي عن الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع قال عينني والذي الملك عبدالعزيز أميراً على الرياض وفي ذات يوم إستدعاني على عجل فحضرت مسرعاً فقال أيدخل الشيوعيون بلادي وأنا على قيد الحياة؟ كأنه قد رأى في المنام أنه يوجد في الرياض شيوعي، قال فأحضرنا إليه جوازات الأجانب الموجودين في الرياض حيث كانت جوازات الأجانب في ذلك الوقت تبقى عند أمير المنطقة إلى أن يغادر الاجنبي وكان الأجانب في ذلك الوقت قلة، قال فلما أحضرنا إليه الجوازات فنظر في صور أصحابها فأخرج منها جوازاً وقال هذا هو قال الأمير فبحثنا عنه فوجدناه في أحد أحياء مدينة الرياض وإذا هو شيوعي كما ذكر الملك عبدالعزيز فرحل خارج المملكة.

٣ - تطبيقاً لقوله تعالى "ومن لم يحكم بما أنزل الله فؤلكم هم الكافرون" فقد حرص الملك عبدالعزيز على إلغاء جميع القوانين التي كانت موجودة من بقايا الدول السابقة وكان يعمل بها في بعض مناطق المملكة وقد حث العلماء على إصدار فتوى بذلك فأصدروا فتوى بتاريخ ٨ شعبان سنة ١٣٤٥هـ ومما جاء فيها "وأما القوانين فإن كان موجوداً منها شيء فيزال فوراً ولا يحكم إلا بالشرع المطهر" (١).

وكذلك أبطل التحاكم إلى العوايد والسلوم المخالفة للشرية وإن لا يتحاكم إلا إلى أحكام الشريعة الإسلامية فقط.

ثانيا : جهود الملك عبدالعزيز في نشر الدعوة للعقيدة السلفية عالميا

التوحيد عقيدة عالمية قال تعالى :

(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)(١) .

فالخطاب موجه إلى الناس كافة :

(النداء للناس كافة والأمر للبشر جمعاء أن تختار الصورة الكريمة المستقيمة، الصورة النقية الخالصة، انه النداء إلى الناس كلهم لعبادة ربهم الذي خلقهم والذين من قبلهم؛ ربهم الذي تفرد بالخلق فوجب أن يفرد بالعبادة)(٢) .

ومعلوم أن المدعوين للدعوة مسلمون وغير مسلمين فالدعوة إلى الله تشملهما .

ولما تولى الملك عبدالعزيز شؤون البلاد وانطلاقا من أن من وظائف الحكومة الاسلامية نشر الدعوة الإسلامية بالحوار والحسنى قال تعالى (الذين ان مكثهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)(٣) .

انطلاقا من هذا سعى الملك عبدالعزيز يدعو إلى العقيدة السلفية عالميا عن طريق استغلال مواسم الحج في الدعوة أو ايصال العقيدة النقية إلى البلدان

(١) سورة البقرة / الآية ٢١

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج١ / ص ٤٦ .

(٣) سورة الحج / الآية ٤١ .



المختلفة عن طريق نشر الكتب وتوزيعها في البلاد المختلفة مجانا .

فمن سعة أفق الملك عبدالعزيز أنه كان يستغل مواسم الحج في الدعوة إلى تصحيح العقيدة، فكانت له رحمة الله مآدبة كبرى يلتقي فيها بعلماء الدول والحجاج يدعوهم فيها إلى الله وإخلاص العبودية له . خطب رحمه الله في جمع غفير من ضيوف الرحمن فقال : (المسلم لا يكون اسلامه صحيحا إلا اذا أخلص العبادة لله وحده يجب أن يتدبر المسلمون معنى "لا اله الا الله" يجب على الانسان ألا يشرك مع الله في عبادته نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا . يجب أن يتبع المسلمون القول بالعمل أما القول المجرد فلا يفيد . ما فائدة رجل يقول : لا اله الا الله ولكن يشرك ما دون الله في عبادته .

" ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " (١) ان الاشراك مع عبادة الله كفر وليس بعد الكفر ذنب . ان دين الله ظاهر كالشمس لا لبس فيه ولا تعقيد .

ثم أضاف رحمه الله : (ان من أعظم الأوامر توحيد الله جل وعلا توحيدا منزها عن الشرك) (٢) .  
وخطب رحمه الله في حجاج الهند فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : (ان أول ما يلزمنا من الإسلام هو كلمة الشهادتين ومعنى الشهادة "لا اله الا الله" انها تفيد اثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى .

لا يوجد انسان غير منذب لأن العصمة لله وحده . ولكن الذنوب على درجات منها ما لا يمكن معه صفح أو غفران وهو الشرك بالله) (٣) وهكذا نرى أن جهاد الملك عبدالعزيز كان مرتكزا على تحقيق التوحيد في الأرض .

(١) النساء / الآية ٤٨ .

(٢) نشر هذا الخطاب بجريدة أم القرى بعدد رقم (٨٥٧) الصادر في الخميس ١١ ذي الحجة سنة ١٣٥٤هـ .

(٣) نشر هذا الخطاب بجريدة أم القرى بعدد رقم (٦٢٧) الصادر في يوم الاثنين ١١ ذي الحجة سنة ١٣٥٥هـ .

(كان الملك عبدالعزيز يؤمن باستمرارية الحركة التي قادها وعالمية رسالتها حتى وان اضطر هو إلى الاكتفاء بما حققه جيله،

لذلك قال لبروكلمان :-

إذا وفق الله أولادي كما وفقني فسوف يتولون مقدرات مئة مليون مسلم(١) .

أما المجال الثاني الذي نشط فيه الملك عبدالعزيز في مجال تصحيح العقيدة عالميا فهو اجتهاده في اخراج المؤلفات القيمة التي تهتم بنشر العقيدة السلفية وتطهير العقيدة من أدران الشرك لاسيما كتب الشيخ ابن تيمية وابن قيم الجوزية وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأوصلت هذه الكتب إلى أيدي الناس في البلدان المختلفة ووزعت مجانا .

فقرأها الناس وانتفعوا بها وأيقظت عندهم الفطرة الأصيلة لتوحيد الله عز وجل وخدمت هذه الكتب العقيدة السلفية أفضل خدمة .

وسوف نتعرض بالتفصيل ان شاء الله لجهود الملك عبدالعزيز في نشر كتب العلم وكذلك خطبه في الفصول اللاحقة .

ومما لاشك فيه أن ما يشاهد من تطور طيب واستنارة ظاهرة في عقائد المسلمين اليوم ناشيء عن هذه الدعوة وعن المؤلفات الطيبة التي تنشر بين الحين والحين .

(نفعت هذه الدعوة وأحدثت في الخارج نتائج طيبة ذات قيمة وذات معنى جليل فقد كان المسلمون في كل مكان مثل النجديين قبل الدعوة يرون في الدين والعقائد آراء في منتهى الفظاعة والطرافة)(٢) .

(١) محمد جلال كشك : السعوديون والحل الاسلامي ، ص ٣٥ .

(٢) عبدالله القصيمي : الثورة الوهابية ، ص ٦٧ .

قال الملك عبدالعزيز رحمه الله :  
(الاسلام عزيز عتلى ورهبت فى قلوب أعدائه كبرىة . فواجب المسلم أن  
يقوم بالدعوة إلى عبادة الله خالصة)(١) .

يقول رحمه الله :  
(ان الذى يجمع شملنا ويوحد بيننا هو: الالتفاف حول كلمة التوحيد  
والعمل بما أمر الله به ورسوله)(٢) .

---

(١) نشر فى أم القرى العدد ٤٣٤ فى مكة المكرمة يوم الجمعة ١١ ذى الحجة سنة  
١٣٥١هـ .

(٢) د . عبدالله بن عبدالمحسن التركي : الملك والمملكة والمنهج ، ص ٧٤ .

**المبحث الثاني**  
**اهتمام الملك عبدالعزيز بالدعوة**  
**من خلال خطبه ومكاتبه**

عندما نطلق كلمة "الدعوة" فإننا لانريد منها إلا "الدعوة الإسلامية" كذلك عندما نطلق كلمة "الداعية" فاننا لانقصد إلا "الداعية المسلم" والدعوة تشمل أمورا كثيرة :-

تشمل دعوة الأنبياء ، ودعوة العلماء ، ودعوة السلطان .

والداعية كذلك تارة يكون نبيا مؤيدا من الله بالوحي ، وتارة يكون عالما مؤيدا بالحجة والبرهان وتارة يكون سلطانا مؤيدا بالقوة .

والداعية مؤمن بفكرة يدعو إليها بالكتابة أو الخطابة أو الحديث العادي أو العمل الجدي في سيرته الخاصة والعامة بكل ما يستطيع من وسائل الدعوة .

فهو كاتب وخطيب ومحدث وقدوة يؤثر في الناس بعمله وشخصه ، وهو طبيب يعالج أمراض النفوس ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة ، وهو ناقد بصير يقف حياته على الإصلاح إلى ما شاء الله .

فالداعية قائد في محيطه ، وسياسي في بيئته ، وزعيم لفكرته (ولا ينتهي عمل الداعي بمجرد الافصاح عن الحقيقة - التي هو في سبيل تقديمها وتقريبها إلى العقول والقلوب - بل يجب عليه أن يجعلها من الواضوح بمكان يتذوقها الخواص ويستطيع العوام أن يسيغوها دون جهد وعناء) (١) .

وتعتبر الخطابة من أكثر الوسائل شيوعا وتأثيرا في دعوة الجماهير ، وإذا أحسن الخطيب اختيار الموضوع وأجاد اللفظ والعبارة مع اليقظة والمتابعة وعدم الاطالة فقد تؤتي الخطبة ثمرتها وتحقق غرضها .

(١) أمين أحسن إصلاحي : منهج الدعوة ، تعريب سعيد الأعظمي الندوي ، ص ٦٧ ، دار نشر الكتاب الإسلامي ، الكويت ، ١٩٥١ م .

وقلب الخطيب متصل بعقله فينبغي أن يستعد للخطابة بأن يكون قلبه ممتلئا بالعاطفة وعقله ممتلئا بالمعلومات لأن الضعف في أحدهما يؤدي إلى الفشل.

وموقف الخطيب ليس سهلا ولا يحسنه من الدعاة إلا القليل حتى افتتحت في العصر الحديث العديد من المعاهد لهذا الغرض (١).

هذا وقد استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب في نشر دعوته لكثرة فائدته وعظيم جدواه، ذلك أن الخطابة طريقة من الطرق الهامة التي تساعد على الاتصال الجماعي.

أما الرسائل والمكاتبات فلاتقل أهميتها عن الخطابة، فقد تكون كتابا صغيرا في موضوع معين، وقد تكون خطابا من شخص إلى آخر، ويدخل ضمن هذا الأسلوب البرقيات والمذكرات والبلاغات التي يملئها الولاة على كتاب الديوان.

وتدوين الرسائل فن جميل قد يساعد على قضاء المصالح وعتق الرقاب واكتساب أروع المواقف، وقد ازدهرت هذه الصناعة في العصور الأولى حتى كانت كتابة الرسائل الناجحة ترشح صاحبها لمنصب الوزارة.

وتأسيا بالرسول صلى الله عليه وسلم قام الملك عبدالعزيز يدعو إلى الله من خلال الخطب والمكاتبات والرسائل وذلك باعتبارها من الوسائل المؤثرة قديما وحديثا وبما وهبه الله من قدرة على البيان والاقناع.

(١) عبدالبديع صقر : كيف ندعو الناس ، ص ٣٩ .

فقد كانت لديه ملكات قوية ساعدته على النجاح في نشر الدعوة بهذه الأساليب فهو (خطيب مفوه له قدرة عظيمة على إثارة العواطف) (١).

ويصفه فهيد مولى عبدالعزيز المتعب الرشيد فيقول :-

(عبدالعزیز متحدث مقنع باستطاعته أن يستولى على أفئدة السامعين ببيانه الفصيح) (٢).

(أما البيان الذي يتفرع منه الشعر والنثر والخطابة، فهذه المواهب وان كانت جميعها متوفرة في الملك عبدالعزيز بنسب متباينة فان حظه في الخطابة كان أوفر مما سواها.

فالخطابة تكاد تكون في نظر الجميع أهم مواهب البيان الثلاثة، خاصة لمن يتولى قيادة الأمة على اعتبار أنه بحاجة مستمرة إلى مخاطبة الجماهير الشعبية على مختلف ميولهم وهو مضطر أن يقنعهم في بيانه الخطابي.

وإذا كان الأمر كذلك فان لعبدالعزیز الباع الوافر في هذا الميدان (٣).

ولقد ألف العرب بطبيعتهم الايجاز في التعبير وعدوه في رأس الأساليب البلاغية.

غير أنه الايجاز الذي يقتضي الوضوح ويراعى مقتضى الحال واستيفاء المعنى.

(١) عبدالمنعم الغلامي : الملك الراشد ، ص ٣١٢ ، مطبعة دار اللواء ، ط ٢ ، ١٤٠٠ هـ .

(٢) فهد المارك : من شيم الملك عبدالعزيز ، ج ١ / ص ٩٩ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٣ / ص ٩٩ .

وقد لخص الملك عبدالعزيز منهجه لبناء المجتمع في عبارة واحدة ضمنها كل ما زخرت به حياته من أعمال واصلاحات فقال : (دستوري وقانوني ونظامي وشعاري دين محمد صلى الله عليه وسلم فأما حياة سعيدة على ذلك وإما موة سعيدة) (١) .

ولو قدر لهذه العبارة أن تؤخذ بمنظار المناهج والبيانات الرسمية لكانت أقصر برنامج إصلاحى في التاريخ الحديث فضلا عن وضوحها وإحكامها ودقتها .

ولعل أهم ما يميز خطب الملك عبدالعزيز أنه كان حريصا فيها على أن لا يقول إلا صدقا مما يجعل مواهبه الخطابية ذات قيمة عظيمة وكان يخاطب البدوي بلهجة البدوي والحضري بلهجة الحضري وما استمع أجني إليه إلا خرج مفتونا بحديثه .

كتب الدكتور (فون ويزل) الذي زار الملك عبدالعزيز في عام ١٣٤٥هـ فقال :-

(وفي الملك عبدالعزيز ميزة أخرى وهي أنه كريم وصادق، وقد حادثه مرتين في شؤون مختلفة كان بعضها دقيقا جدا فلم ألحظ قط أنه يلبس الباطل ثوب الحق .

نعم كان سياسيا في أجوبته - فلا يقول كل ما يعرفه - ولكنه لم يتلفظ بكلمة واحدة غير صادقة .

والظاهر أن هذا شأنه مع الجميع فاني لما قابلت القناصل الأجانب في جدة قالوا لي :

(١) نشرت هذه الخطبة في صحيفة أم القرى ، العدد ٤٣٤ الصادر يوم الجمعة ١١ ذي الحجة سنة ١٣٥١هـ .



إذا قال ابن سعود شيئاً فثق أنه يقول لك الحقيقة التي لا تشوبها شائبة.

وسر القوة في حجة عبدالعزيز أن عقله كان يسبق لسانه وأنه ينسى العاطفة أمام المنطق ولا يقول إلا ما يعتقد (١).

وكانت معظم خطب الملك عبدالعزيز تبصر بجملته أحكام شرعية، وتصحح بعض المفاهيم التي تروج بين الناس وتناقش القضايا المهمة.

#### نماذج من خطب الملك عبد العزيز :

قال رحمه الله في الحفل الذي أقامته أمانة العاصمة في مكة المكرمة في غرة ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ :

(اشكر الله أن أتاح لنا مثل هذه الاجتماعات الجمّة الفوائد التي نحن بحاجة شديدة إليها.

ليس الغرض من هذه الاجتماعات الأكل والزينات وإنما المهم أن نتذكر مع اخواننا بما يعلي كلمة التوحيد ويدعو لإخلاص العبادة لله فهذا جل مانقصده من هذه الاجتماعات.

إن الله - جلت قدرته - حكيم إذ جعل للإجتماع في بيته الحرام فوائد جمّة أولها الإخلاص في عبادة الله في أقدس بقعة حيث جعل بيته الحرام وأرسل رسوله من أفضل قبيلة قطنت هذه الديار.

وقد جعل الله الفخار لأي كان بالتقوى لا بغيرها، فلم يكن في الإسلام تفاضل بين العربي وغير العربي إلا بها. وفخار العرب وعزهم بالإسلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم.

(١) محيي الدين القاسبي : المصحف والسيف ، ص ٣٢ ، ٣٤ - دار الناصر للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ٢٠٠٠ .

والمقصود من هذا الاجتماع هو أن نجدد رسم الإسلام ونعمل بمعناه، فالإسلام هو الاستسلام لله تعالى والطاعة له والإيمان بكتابه ورسوله وقواعد الإسلام قائمة على كتاب الله وسنة رسوله وأعمال الخلفاء الراشدين وما اتفق عليه الصحابة وما جاء به الأئمة الأربعة فهو حق لانحيد عنه قط، ثم إن الغاية من هذا الاجتماع هي التعارف والتآلف لعل الله أن يوفقنا بذلك لخدمة الدين ونشر حقيقته وبهذا وحده ننال العز والفخار في الدنيا والآخرة، وثقوا بأن الله يؤيد من يعمل ويسعى في هذا السبيل، وإن رابطة الإسلام هي خير واسطة للتآلف.

ومن المسائل التي يجب أن نعمل بها في هذا الشأن وتعد في طليعة خدمة الدين الحنيف هي تطهير الإسلام من أدران الخلافات التي علقت بالدين وهو بريء منها، وإنما ألصقها فيه أناس نفعيون يبتغون من وراء ذلك النفع المادي.

يقولون "الحرية" ويدعي البعض أنها من وضع الأوربيين، والحقيقة أن القرآن الكريم قد جاء بالحرية التامة الكافلة لحقوق الناس جميعا، وجاء بالأخاء والمساواة المطلقة التي لم تحكم بها أمة من الأمم، فأخى بين الصغير والكبير والقوي والضعيف والغني والفقير وساوى بينهم.

ويقولون "التمدن" والمدنية الأوربية هي الغاية القصوى، وهذا وهم باطل فإن الله جعل من كل شيء أفضله مباحا لنا، وأحب شيء إلينا هو العمل الخالص والنية الحسنة، والإخلاص في العمل هو أكبر سلاح لنا فيجب أن نعمل على طاعة الله باخلاص.

لست ممن يفخرون بألقاب الملك ولا بأبنته، ولست ممن يولعون بالألقاب ويركضون وراءها، وإنما نحن نفتخر بالدين الإسلامي، ونفتخر بأننا دعاة مبشرون لتوحيد الله ونشر دينه، وأحب الأعمال إلينا هو العمل في هذا

السبيل . . نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالي من كل بدعة، نحن دعاة إلى العروة الوثقى لا انفصام لها(١).

وخطب رحمه الله في حفلة الديوان العالي بأجباد في يوم الإثنين الثامن من ذي القعدة سنة ١٣٤٥هـ فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

(تكاثرت ولله الحمد النعم، وهي ليست من عمل المخلوق، وإنما هي من نعم الله جل وعلا . . وقد قال في كتابه الكريم "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى"(٢) يجب أن نتعظ بالماضي، لأن الإنسان الذي لا يتعظ بالماضي لا يكون التوفيق حليفه في المستقبل، فكم من قبيلة وعشيرة أرسل الله إليها الرسل كعاد وثمود ولكنها لم تتعظ فأبادهما الله، والرسل من أفضل البشر وقد جعلهم الله حجة على بني الإنسان.

كلنا - نحن المجتمعين - لنا أموال وصناعات ولا نعطي هذه إلا لمن يحرص عليها، وهي من نعيم الدنيا زائلة لا محالة، ولكن هناك نعمة حقيقية لاتزول، وجزئية لا ينضب معينها هي : الاعتقاد بأنه لا إله إلا الله .

وهذه النعمة مشروعة في كل مكان ولكنها لهذه البقعة المباركة ألزم، لأن الحسنات والسيئات تتضاعف فيها، ولأن الله اختارها لتكون مهبطاً للوحي، وجعل زيارة حرمها من أركان الإسلام وأنا نحمد الله على جمع الشمل، وعلى جعل الحكم في هذه الديار بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"(٣) فتغيير ما بأنفسنا يعود علينا بالضرر، وهذا الضرر هو أعظم من الجهل والفساد والجرائم .

(١) أم القرى بعدما الصادر في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٤٨هـ، محيي الدين القاسبي :

المصحف والسيف، ص ٦٠، ص ٦٢ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية ١٧ .

(٣) سورة الرعد ، الآية ١١ .

فالواجب عليكم هو معرفة الله تعالى، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله،  
وترك البدع والخرافات، والتأدب بآداب الشريعة السمحة، وتوثيق عرى الألفة  
وأواصر النصيحة والإخلاص. (١)

وخطب رحمه الله في حفل أمانة العاصمة بمكة المكرمة في التاسع عشر من  
صفر سنة ١٣٥٦هـ فقال بعد أن حمد الله وأشنى عليه :-

(يسرني دائما الاجتماع بكم والتحدث اليكم . لما في الاجتماع من فوائد  
ولأن في الاجتماع أكبر المصالح .

ان أشد مايؤلمني ما كان فيه أقل ضرر على شعبي وبلادي فإذا كلفنا  
عليكم اليوم فلا نقصد بهذا إلا التناصح والنظر فيما فيه مصلحة الأمة والبلاد .

إن الحياة المجردة عن الدين، والزخارة بأنواع القوة ليست حياة، كذلك  
عظمة الملك وجبروته ليست بالحياة، وإنما الحياة الدين والتمسك به وإقامة  
حدود الله، فالحياة التي تسير على أساس الدين هي القوة، أما الحياة التي  
تسير على غير الدين فهي كالمطر الذي يقع على السبخة فلا يجدي ولا يثمر .

إن الدين الإسلامي الصحيح في نظري هو أساس الرقي، ومن اعترضنا في  
ديننا أو وطننا قاتلناه ولو كان أهل الأرض، وإن الإسلام ملك علينا قلوبنا وكل  
جوارحنا، وليس معنى هذا أن المتمسكين بالدين يجب عليهم عدم الأخذ  
بأسباب القوة . . لا . . إن القوة واجبة قال تعالى: "واعدوا لهم ما استطعتم  
من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم" (١) .

(١) نشر الخطاب بجريدة أم القرى بعددها (١٢٦) بتاريخ ١٣٤٥/١/٨هـ .

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٠ - نشرت هذه الخطبة بجريدة أم القرى بعددها الصادر في ٢٢  
صفر سنة ١٣٥٦هـ، المصحف والسيف، ص ١١٢ .

وكل خطبة من خطب الملك عبدالعزيز تصلح أن تكون إضافة في مجال العمل الإسلامي، وفي مجال تقدم المسلمين والمنتجع لخطب الملك عبدالعزيز يلاحظ أنها تتضمن ما يأتي :-

- ١ - سهولة الألفاظ .
- ٢ - الاستشهاد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية .
- ٣ - ملامسة عقول الناس وعواطفهم ومشكلاتهم .
- ٤ - يتخللها الوعظ .
- ٥ - ربط الحاضر بالماضي والاستفادة منه للانطلاق في المستقبل .
- ٦ - تخير المناسبات .
- ٧ - تقوم الخطب على أساس دعوى حيث تضمن معظمها المضي على :

- أ - التوحيد الخالص .
- ب - التمسك بكتاب الله وسنة رسوله .
- ج - نبد البدع والخرافات .
- د - الإلتزام بأداب الشريعة السمحة .
- هـ - إخلاص النية في الأعمال كلها .
- و - توثيق عرى المودة والألفة بين المسلمين .

أما عن الأحاديث الصحفية التي تكلم بها الملك عبدالعزيز فنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

حديث الملك عبدالعزيز لمندوبي الصحف العربية في مؤتمر الحج عام ١٣٥٣هـ حينما قام ثلاثة من اليمينيين بمحاولة آثمة للإعتداء على الملك عبدالعزيز لكنه نجا بعناية الله ثم برباطة الجأش وقوة الأعصاب .

وعلى أثر هذا الحادث استقبل ابن سعود عددا من مندوبي الصحف العربية

في الرابع عشر من ذي الحجة سنة ١٣٥٣هـ حيث دار بينه وبينهم الحديث الآتي بعد أن قدموا التهاني بمناسبة العيد وفشل محاولة الإعتداء عليه فسئل رحمه الله عما إذا كان يفكر بزيارة بعض الأقطار العربية والأوربية فأجاب :-

(ان جماعتي شوقوني لزيارة أوربا وعواصمها ومدنها الكبرى ولكني ما أحب أن أفارق بلادي، ولا أريد أن أرى غير بلادي العربية. وان أكثر ما أخشاه وأحاذره الصحفيون وأقوالهم وأسئلتهم. لأن الناس شيء واحد والصحفيون أشياء، وأنا رجل ربيت تربية بدوية ما أجيد صوغ الكلام ولا رصفه وأهل الصحف يكتبون أشياء منمقة ويهندسون الكلام هندسة كاملة وأنا ليس عندي شيء من هندسة الكلام. الذي يجول في قلبي عن أساسات البناء اتكلم به فمن أحب أن يسأل شيئاً أنا مستعد لاجابته.

وسئل رحمه الله عن المحاولة الأثمة لاغتياله وأثرها في نفسه، فأجاب :-

إن الذين أقدموا على هذا العمل قوم ليس فيهم دين يمنعهم. . . وأنا شخص ليس يهمني سوى اقامة كلمة التوحيد والمحافظة على ما بيدي والحافظ هو الله تعالى، ولما وقع ما وقع، وقدر الله من فضله وعنايته النجاة لم يكن همي غير المحافظة على الحجاج ومنع تسرب أخبار الحادث إلى خارج الحرم. . . فأمرت بإغلاق أبواب الحرم ومنع سفك الدماء فيه. . . وأتممت الطواف وخرجنا عائدين إلى منى.

وسئل رحمه الله عما إذا كانت هناك لبعضهم يد في هذه المؤامرة فقال :-

ان كلام الناس كثير، والناس يتكلمون بأشخاص كثيرين، ولكن نحن لا يمكننا أن نأخذ بالإشاعات وأقوال الناس. . . ولا يمكن أن نقول شيئاً إلا ماتراه عيوننا وتقره قلوبنا وتطاله أقدامنا.

وسئل رحمه الله عن أثر ردود فعل المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي في نفسه فأجاب :-

لقد رأيت من شعوب العالم الإسلامي أجمع ٠٠ ما أثلج صدري وأشعرتني باتحاد المسلمين واتفاقهم، ان هذا الأمر أهمهم كثيرا وظهر فيهم من الاهتمام به أكثر مما كنا نتصور ونظن وأن المصريين بصورة خاصة اخواننا وقد عودونا أن نلقى منهم في كل فرصة ومناسبة ما تشرح له صدورنا من الألفة والمحبة بيننا وبينهم لأنه لا يوجد بيننا وبينهم ما يدعو إلى خلاف أو شقاق.

والعراق منا ونحن منه، والذي يؤلم العراق يؤلمني والذي يسره يسرنني فالامة واحدة، ما يريد أحد بالعراق شرا إلا وهو يريد بي مثله.

وسئل جلالتة عن رأيه في قضية فلسطين فأجاب :-

انني أتمنى لفلسطين كل خير وسعادة لانها بلد عربي وفيها المسجد الأقصى وهو المسجد الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى(١).

ولكن مصيبة العرب من أنفسهم ومن تخاذلهم والذي أتمناه ان يجمع الله كلمة العرب ليسلموا من شرور أنفسهم. فهم بتخاذلهم آذوا أنفسهم أكثر مما آذاهم الأجنبي(٢).

وهذا الحديث يدل على المودة والقدر الكبير الذي شغله الملك عبدالعزيز في قلوب المسلمين والعرب.

(١) أخرجه البخاري نحوه (ج٣/٦٣ فتح الباري) ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم (ج٤/١٢٦) كتاب الحج - باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد.  
(٢) نشر الحديث بجريدة أم القرى بعدد الصادر في ١٧ ذي الحدة سنة ١٣٥٣هـ.

كما كان رحمه الله في مكاتباته الخاصة والعامة يوصي ويحث على التمسك بأهداب الدين الحنيف ومن أمثلة ذلك لما ولى الشيخ عبدالعزيز بن عكاس قضاء الأحساء كتب إليه يوصيه فقال رحمه الله :

"من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى عبدالعزيز بن عمر بن عكاس سلمه الله :

السلام عليكم بعد ذلك من يوم تاريخه إن شاء الله تتولى النظر في قضاء الإحساء فقد وليتك ذلك والذي أوصيك به ونفسي تقوى الله وتحكيم الشريعة الفراء والسهر على ذلك والله تعالى أسأل أن يتولى إعانة الجميع وأن يوفقنا وإياكم لما فيه الصواب بيمينه وكرمه آمين".

٢٨ - محرم ١٣٤١ (١).

وقال رحمه الله في رساله عامة للمسلمين :

### بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى من يراه من أخواننا المسلمين وفقنا الله وأياهم لفعل الخيرات وترك المنكرات والاقلاع من الذنوب والسيئات آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فالموجب لهذا هو النصيحة لكم والشفقة عليكم لأن ذلك من التعاون على البر والتقوى والتقوى هي وصية الله للأولين والآخرين . قال تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله والتقوى كلمة جامعة لكل خير لأن الخير بحذافيره فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه ومما أمرنا الله به وحضنا عليه اتباع كتابه وسنة نبيه قال تعالى اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون وقال تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالواجب (٠٠٠٠) نصح نفسه واران نجاتها أن يتقي الله في سره

(١) كتاب / من وثائقنا الوطنية ص ١٠١ طبع الحرس الوطني الرياض ١٤١٢ هجري .



وعلانيتها وان يحاسب نفسه هل قام بما أوجبه الله عليه وأمثل ما أمر الله به ورسوله ووقف عند حدوده فلم يتجاوزها ام هو متفاد مع شهواته وهواه قد اعطى نفسه هواها ولم ينهها عن ارتكاب المحرمات فلو علم انه موقوف ومسؤل عن جميع اعماله واقواله واحواله لخلى بنفسه وحاسبها واتقى الله سبحانه وبحمده فياخساره من حاله حال البطالين والغافلين المعرضين اذا علم هذا فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله من أعظم الواجبات وأهم المهمات قال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اولئك هم المفلحون والامة الجماعة وهذا أمر لازم لكل أحد بحسب قدرته فاذا قام به بعض المعينين له سقط عن الباقين فاذا تركوه اثموا وعوقبوا فكونوا من تركه على ظلم عظيم . قال صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف والتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفية ولتأطرنه على الحق اطرا او ليوشكن الله ان يعممكم بعذاب من عنده ثم تدعونه فلا يستجيب لكم والاحاديث في ذلك كثيرة فلا صلاح للخاصة والعامه في جميع القرى الا بالامر بالمعروف وينهون عن المنكر لان ذلك سبب صلاحهم وخلصهم في معاشهم ومعادهم وبتركة والتغافل عنه يكثر الفساد وايضا فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين ويقوته يقوى اهل الايمان وبضعفه يضعف الايمان قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعضهم بالامر بالمعروف وينهون عن المنكر ويقىمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم فذكر تعالى في هذه . . . . .

بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لرحمة الله فاذا رحم الله العباد اعطاهم ما يحبون ودفع عنهم ما يكرهون قال تعالى . ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما وقد رأيتم ما حصل عليكم من منع القطر وغور المياه والقحط وشدة المؤنة وأنواع البلايا والامتحانات وذلك سببه مخالفة أمر الله وارتكاب نهيه فان الذنوب والمعاصي من أعظم الموجبات لحلول العقوبات والنقمة فارغبوا

عباد الله إلى الله بالدعاء والاستغفار وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وعظموأ أمر ربكم ونبيه وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال مانهيتكم عنه فانتهاوا وما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم فاستدفعوا عنكم العقوبات بالتوبة النصوح وفي الحديث ما نزل بلاء (٠٠٠٠٠٠) (١)٠

---

(١) هذا آخر ما وجد من الرسالة ، انظر كتاب من وثائقنا الوطنية - طبع الحرس الوطني ص ٢٨٨٠

**الباب الثاني**  
**وسائل الدعوة وأساليبها في عهد**  
**الملك عبد العزيز**

ويحتوي على ما يأتي:

**تمهيد** : في تعريف وسائل الدعوة وأساليبها

**الفصل الأول** : وسائل الدعوة

**الفصل الثاني** : أساليب الدعوة

التمهيد :

كانت وسائل نشر الدعوة الإسلامية سابقا عن طريق المخاطبة المباشرة أو الرسائل والمكاتبات واستغلال التجمعات في المساجد وغيرها .

أما في هذا العصر فقد وجدت وسائل أخرى سريعة الانتشار جدا ، حين ألهم الله الإنسان اختراع أجهزة بإمكانها نقل الخبر إلى أنحاء المعمورة في الحال .

ولاشك أن هذه الوسائل سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية تؤثر على أفكار الفرد وسلوكه بما يؤهلها لأن تكون أدوات مؤثرة في نجاح الدعوة الإسلامية .

وقبل أن نتكلم عن هذه الأساليب والوسائل نتعرف على معنى الأسلوب والوسيلة .

تعريف الأسلوب :

يطلق الأسلوب في لغة العرب على عدة أشياء فيقال للطريق بين الأشجار، وللفن، وللذهب، ويطلق على طريقة المتكلم في كلامه . يقال : سلك أسلوب فلان في كذا أي سلك طريقه ومذهبه(١) .

والأسلوب اصطلاحا :

هو الطريقة التي يسلكها الداعية لإيصال الدعوة إلى الناس(٢) .

(١) المعجم الوسيط ج١ / ص ٤٤٣ .

(٢) اسماعيل الخالدي ، العالم الإسلامي والغزو المغولي ص ١٣٨ .

تعريف الوسيلة :

الوسيلة لغة من الفعل وسل يسل وسلا أي رغب وتقرب فنقول توسل فلان إلى الله : أي عمل عملا يقربه به إليه .  
 والوسيلة : الوصلة .  
 والوسيلة : القريبى .  
 والوسيلة : درجة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الجنة (١) .

وسيلة الدعوة اصطلاحاً :

هي كل ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة إلى الناس بشكل نافع  
 مثمر (٢) .

ولتوضيح الفرق بين الأسلوب والوسيلة نضرب المثال التالي :-

عندما يصوغ الشاعر شعره فهذا أسلوب، والكتاب أو المنشور الذي يحمل هذا الشعر للناس وسيلة .

والكاتب الذي يكتب قطعة أدبية فكتابه أسلوب، والصحيفة التي تنقل هذه القطعة للقراء وسيلة .

والخطيب الذي يختار كلمات خطبته والفاظها فعمله هذا أسلوب، وأما مكبر الصوت الذي يحمل هذه الكلمات والألفاظ للناس فهو وسيلة وعليه فإن الوسيلة تخدم الأسلوب (٣) .

(١) المعجم الوسيط، ج ٢ / ص ١٠٣٢

(٢) الدكتور عبدالكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ص ٤٢٩ .

(٣) اسماعيل الخالدي ، العالم الإسلامي والغزو المغولي ، ص ١٣٨ .

وقد كان الأنبياء - عليهم السلام - يسلكون في دعوتهم أنسب الوسائل بالنسبة إلى عصورهم، وظلت هذه الوسائل تتطور مع تغير الأحوال والحضارات مما يدل على أن الالتزام بطريقة دون طريقة فيما يتصل بالتبليغ أمر غير مجد للدعوة.

بل يجب على الدعاة إلى الله أن يختاروا من أساليب الدعوة وطرق التبليغ مما ظهر في زمنهم ما يجعل لجهودهم الأثر الفعال.

ففي البداية - حينما لم تنتشر معرفة القراءة والكتابة - كانت تعاليم الأنبياء ودعوتهم إلى الله تتم شفهايا.

ولكن حينما توصل المجتمع البشري إلى معرفة الكتابة واختراع طريقة راقية للتبليغ استعملها الأنبياء.

فهذا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - يتقدم بتعاليم التوراة إلى أمته مكتوبة على الألواح قال تعالى :

" وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء " (١)

كذلك فإن العرب لقنوا تعاليم الدين بالقلم - إضافة إلى التعليم الشفهي - وقد امتن الله عليهم بهذه النعمة، نعمة القلم فقال تعالى :

" اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم " (٢)

والمقصود أن طرق الأنبياء في الدعوة لم تكن جامدة متحجرة لكنها كانت تتغير مع تغير حياة البشر، الأمر الذي يدل على أن ما جاء به العلم من وسائل

(١) سورة الأعراف / آية (١٤٥) .

(٢) سورة العلق / آية (٣ ، ٤) .

وتسهيلات وتوافر المعلومات فإن دعاة الحق أحق باستخدامها من غيرهم .

وهذا يؤكد - من جانب آخر - حقيقة مهمة هي أن وسائل الدعوة لا بد وأن تتطور مع تطور العلم والمدنية .

فإلصحافة والإذاعة والتلفاز لها قوة في التعليم والدعاية لا يمكن إغفالها مما يجعلها وسائل لتبليغ الدعوة إلى الله أكثر فاعلية من غيرها بحيث لم تعد الجبال والبحار والصحاري تحول بين أمة وأمة أو بين دولة ودولة، فيمكن للمرء أن يسمع الكثير من سكان هذه الأرض بواسطة المذياع أو التلفاز ليتحدث إليهم حديث المدرس لتلاميذه في الفصل .

ولهذا فإنه يجب على الدعاة إلى الله أن يستغلوا هذه الوسائل الحديثة أحسن استغلال، وأن يعرضوا الدعوة بأحدث الطرق حتى تكون مواجهة الباطل مواجهة قوية دافعة .

وهذا الكلام لا يعني التقليل من شأن الوسائل التقليدية بل إنها هي الأساس الأصيل والمؤثر قديما وحديثا لأن معظم الوسائل الحديثة في الدعوة إلى الله عبارة عن وسائل تقليدية دخلها التطور والتعديل .

(هذا وقد استخدم النبي، صلى الله عليه وسلم، جميع الوسائل التي راجت في الحياة الاجتماعية التي عاصرها لما رآها تعين على بث الدعوة . فلما أراد أن يعرف قبيلته بدعوته ورسالته أمر عليا، رضي الله عنه، أن ينظم مأدبة يوجه الدعوة إلى جميع بني عبدالمطلب لحضورها . . . . ولما فرغ الحضور من طعامهم قام النبي، صلى الله عليه وسلم، وخطبهم خطبة شرح فيها دعوته .

ثم سلك النبي، صلى الله عليه وسلم، طرقاً أخرى كانت ذات تأثير كبير في انتشار الدعوة حينما ذهب إلى رؤساء مكة بمناسبة موسم الحج (١).

وعرض عليهم دعوة الإسلام، كما بعث سفراءه إلى بعض الأعيان وكبار القوم.

وكانت تقام في الجزيرة العربية أسواق فصلية يرتادها الناس على اختلاف طبقاتهم، ولم تكن هذه الأسواق للبيع والشراء فحسب، ولكن كانت تنعقد فيها ندوات أدبية وثقافية على أرفع مستوى في ذلك العصر.

فكان، صلى الله عليه وسلم، ينتهز هذه الفرصة الغالية ويتردد على هذه الأسواق يدعو القوم إلى الله ونبذ عبادة الأصنام والأوثان. كما أنه، صلى الله عليه وسلم، استخدم وسيلة المراسلة إلى كثير من الملوك كما أشرنا سابقاً (٢).

فلم يترك الرسول، صلى الله عليه وسلم، وسيلة تقرب دعوته إلى أفهام معاصريه إلا سلكها، مادامت هذه الوسيلة لا تخالف مبادئ الأخلاق التي وردت بها الشريعة السمحاء، حيث يجب على الداعية إلى الله أن يتجنب الوسائل التي من شأنها أن تحط من شأن الدعوة أو تنال من شخصية الداعية.

\*\*\*

(١) ورد ذلك في حديث طويل رواه الإمام أحمد في مسنده ٤٩٢/٣ وقد اقتدا به صلى الله عليه وسلم في ذلك الملك عبدالعزيز حيث كان له مائدة سنوية كبرى يحتفل فيها بحجاج بيت الله الحرام يتبادل وإياهم الآراء فيما ينفع المسلمين ويلقي عليهم خطبة يدعو فيها إلى التمسك بالإسلام الخالص وتوحيد كلمة المسلمين.

(٢) أمين أحسن اصلاحي، منهج الدعوة إلى الله، ص ٥٩  
تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، نور عالم الندوي



وقد تنوعت أساليب الدعوة إلى الله في عهد الملك عبدالعزيز، فكانت هناك وسائل أصلية معروفة كما ظهرت وسائل حديثة لم تعهدها الدعوة في شبه الجزيرة العربية قبل تولي الملك عبدالعزيز.

وسوف أقوم إن شاء الله بتفصيل هذه الأساليب ، الأصلي منها والحديث في هذا الباب.

## الفصل الأول

### وسائل الدعوة

يحتوي على مبحثين :

المبحث الأول : الوسائل الأصلية

المبحث الثاني : الوسائل الإعلامية الحديثة

## المبحث الأول

### الوسائل الأصلية

وفيه عشر مطالب :

- المطلب الأول : إنشاء هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واثرا في الدعوة
- المطلب الثاني : تعيين القضاة والمفتين وجهودهم في الدعوة
- المطلب الثالث : التعليم في المسجد
- المطلب الرابع : تعيين الأئمة والخطباء في المساجد للدعوة
- المطلب الخامس : إرسال العلماء والدعاة إلى البادية والهجر
- المطلب السادس : رسائل العلماء ومكاتباتهم
- المطلب السابع : التعريف بالمنهج السلفي خارج المملكة
- المطلب الثامن : استقبال الوفود
- المطلب التاسع : إقامة الجهاد
- المطلب العاشر : إنشاء المدارس

## **المطلب الأول**

**إنشاء هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
وأثرها في الدعوة**

يعد الحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقدمة لدراسة الحسبة، فكل مجتمع منظم لا يخلو من أمر ونهي لأنهما أساس كل نظام.

ولقد انصرفت غالبية الدول الإسلامية عن إقامة ولاية للاحتساب تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن بما أن المملكة العربية السعودية دولة قامت على أسس إسلامية، فلذا انفردت بإنشاء هذا النظام رغبة منها في الحفاظ على الأخلاق العامة للمجتمع وحماية للشريعة الإسلامية، حيث تم على يد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - تأسيس أول هيئة رسمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة بعد فتح الحجاز سنة ١٣٤٤هـ، وحيث إن الحسبة في الإسلام تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لذلك كان إطلاق اسم هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الهيئة التي تتولى أمر الاحتساب في المملكة يعد تسمية طبيعية حيث تسعى هذه الهيئة إلى إقامة صرح هذه الولاية الدينية المهمة (ولاية الحسبة).

وقد عرف المسلمون الحسبة منذ فجر الدعوة الإسلامية وانطلقوا من خلالها يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر باعتبارها من باب الأمر الواجب بالمعروف والنهي الواجب عن المنكر.

وقد عرف الفقهاء الحسبة بأنها :

(أمر بالمعروف إذا ظهر تركه أو نهى عن المنكر إذا ظهر فعله) (١)

(١) المارودي ، الأحكام السلطانية، ص ٢٤١، مطبعة مصطفى الباني الحلبي، مصر ط (٣)

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل له فروع كثيرة من بينها الحسبة .  
فالصلة وثيقة بين مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - باعتباره من  
المبادئ العامة في الشريعة - وبين الحسبة التي تعد إحدى تطبيقاته في  
الحياة العملية .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصطلح قرآني يعبر عن مهمة الرسل  
ووظيفة الأنبياء ، كل بما أرسل معه ، ولمن أرسل إليه ، وإلى هذا يشير القرآن  
الكريم في حديث لقمان لابنه :

" يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر " (١)

فهو مبدأ إلهي عام جاء به المرسلون وعليه أقيم دين الله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن جميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها  
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو  
الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله) (٢) .

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى : (إن الذين يكفرون بآيات الله  
ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم  
بعذاب أليم) (٣) .

هذه الآية دلت على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجبا في  
الأمم المتقدمة ، وقد نزلت الآية في بني إسرائيل لأنهم كانوا يقتلون من يأمر

(١) لقمان ، الآية ١٧

(٢) ابن تيمية ، الحسبة ، ص ٢٦ .

(٣) آل عمران ، الآية ٢١ .

بالمعروف وينهي عن المنكر، وقد لعنهم الله بقوله: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)(١)(٢) .

وقال أبوحيان :

كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه : ظاهره التفاعل بمعنى الاشتراك أي لا ينهى بعضهم بعضا . ذلك أنهم جمعوا فعل المنكر والتجاهر به وعدم النهي عنه ، والمعصية إذا فعلت وقدرت على العبد ينبغي أن يسترها للحديث : "ومن ستره الله فذلك إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له" (٣) .

فإذا فعلت جهارا وتواطؤوا على عدم الإنكار كان ذلك تحريضا على فعلها وسببا مشيرا لإفشائها وكثرتها (٤) .

فما من أمة إلا وقد أمرت بالمعروف كاتباع أنبيائهم وشرائعهم ، ونهيت عن المنكر كالإلحاد وتكذيب الأنبياء . وكل الرسائل السماوية كانت في مضمونها الأساسي أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر، كما أعلن المرسلون جميعا ضرورة المبدأ الذي رسم معالمه بالأقوال والأفعال الركب المتتابع من رسل الله إلى محمد، صلى الله عليه وسلم، والذي وصف بأنه : "يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل بأمرهم بالمعروف وبيناهم عن المنكر" . (٥) .

والاحتساب برز مع بداية الدعوة الإسلامية، حيث قام الرسول، صلى الله

(١) سورة المائدة ، الآية ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم (ج٢/١٢٨٨) ط الشعب .

(٣) أخرجه البخاري (ج١٢/١٠٨ فتح الباري) كتاب الحدود - باب توبة السارق .

(٤) البحر المحيط ، (ج٣/٥٤٠) ط دار الفكر ١٩٧٨ م .

(٥) سورة الأعراف ، الآية ١٥٧ .

عليه وسلم، في مكة يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر باعتباره من أوضح السبل لنشر الدعوة.

وكذلك فعلت الفئة المؤمنة القليلة التي آمنت به واهتدت بسنته.

وجمهور الفقهاء على أن الحسبة واجبة على مجموع الأمة لورود نصوص الوجوب عامة دون تخصيص (١).

وهذا الواجب لا يسقط عنهم إلا بالأداء فإذا قام به بعض المسلمين سقط عن الباقيين وإذا لم يقم بتأديته أحد أئمت الأمة كلها والحكام والعلماء وعامة المسلمين في ذلك سواء (٢).

وليس في نصوص الكتاب والسنة ما يجعل واجب الحسبة مخصصاً بفئة دون فئة، بل إن هذه النصوص تؤكد أنه واجب عام يرتبط بالوسع ويؤديه كل مسلم حسب طاقته (٣).

ولاشك ان المحتسب داعية إلى الله فهو يدعو إلى الخير ويحذر من ضده.

ويمكن تصنيف القائم بالحسبة إلى قسمين :

أ - المحتسب الفرد (المتطوع).

ب - المحتسب الموظف .

(١) انظر: الخلال: الأمر بالمعروف ص ٨٥، وابن تيمية: الحسبة ص ٤٥، والنووي: شرح صحيح مسلم ٢٢/٢.

(٢) د. محمد كمال الدين إمام، أصول الحسبة في الاسلام، ص ٥٥، دار الهداية مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٦م.

(٣) من الأمثلة على ذلك قول الله تعالى (كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) سورة آل عمران آية رقم ١١٠. وقال سبحانه (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) سورة التوبة آية رقم ٧١.



**١ - المحتسب الفرد :**

أما الحسبة من آحاد المسلمين فثابته لكل فرد فيهم وهي لا تتوقف إلا على مدى قدرة المكلفين .

ويمكن الاستدلال على ذلك من ترتيب مراتب الاحتساب وهي اليد واللسان والقلب . حيث إن القدرة تتعلق بالحسبة عن طريق التغيير باليد واللسان ، أما مرحلة الإنكار القلبي فالقدرة عليها عامة ممكنة لأنه لا سلطان لأحد على القلب ولا يعلم ما فيه ويحاسب عليه إلا الله .

والمحتسب الفرد يكون من عامة المسلمين عندما يتعلق محل الحسبة بما هو معلوم من الدين بالضرورة كإقامة الصلاة وتحريم القتل لأن ما لا حاجة فيه للاجتهاد فللعالم وغير العالم أن يحتسب فيه .

ويكون المحتسب الفرد من العلماء إذا احتاج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى فقه واجتهاد حتى لا يسود الأمر غير أهله . (١)

**ب - المحتسب الموظف :**

وهو موظف يكلفه ولي الأمر للقيام بهذا الواجب (وتتعدد صور الحسبة عن هذا الطريق فقد تنشأ ولاية الحسبة وعلى رأسها موظف كبير يهيمن على شئونها ويكون مسؤولاً أمام ولي الأمر وينوب عنه ممثلون باختصاصات مكانية أو نوعية يمارسون الحسبة في مجالات متعددة .

وقد تتغير الصورة لظروف فنية أو سياسية فتتوزع اختصاصات المحتسب على الإدارات المختلفة في الوزارات ، وهذه الصورة تلائم الدولة الحديثة بما هي عليه من تقسيم في العمل وتنوع في الاختصاصات وتطور في العـلـوم

(١) محمد كمال الدين امام . أصول الحسبة ، ص ٥٩ ، مطبعة دار الهداية ، القاهرة ، ط (١) ، ١٤٠٦ هـ .

والحرف والصناعات حتى أصبحت تحتاج الحسبة إلى موظفين على دراية معينة يصعب جمعهم في ادارة واحدة(١) .

وهكذا نرى أن المحتسب الفرد تجب عليه الحسبة وجوبا كفاثيا في أغلب الحالات أما المحتسب الوالي فتجب عليه الحسبة وجوبا عينيا في جميع الحالات .

### الحسبة في الدولة السعودية قبيل تولي الملك عبدالعزيز :

تولى الشيخ محمد بن عبدالوهاب مسئولية الحسبة فبدأ نشاطا مكثفا في الدعوة إلى الله عن طريق الرسائل واللقاءات، واستطاع أن يقوم بإزالة الكثير من عناصر الشرك والبدع، كما قام بتنفيذ الحدود على مرتكبيها بالإضافة إلى أعماله الأخرى في الإفتاء والقضاء والتعليم . ثم بايع الإمام محمد بن سعود الشيخ محمد بن عبدالوهاب على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة شرائع الإسلام، وبذلك أصبح للشيخ محمد بن عبدالوهاب صلاحيات تجعله يقوم بواجب الحسبة باعتبارها ولاية بعد أن كانت مجرد حسبة فردية وذلك بتفويض من رئيس الدولة الأمير محمد بن سعود .

وبعد وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قام بهذه المهمة أبناؤه وتلاميذه حيث كانت لهم صلاحيات المحتسب التي كانت للشيخ محمد بن عبدالوهاب .

(فقد تضامن العلماء والأمراء في الاحتساب : الأولون لتبيين الأحكام والآخرون للتنفيذ والردع)(٢) .

(١) المرجع السابق ص ٦٠ .

(٢) عبدالعزيز المرشد، نظام الحسبة في الإسلام - ص ١٦٤ .

أما الحسبة في الدولة السعودية الثانية فإن العلماء استمروا يقومون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تطوعاً .

وقد عزا بعض المؤلفين (١) قرار إنشاء أول هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى هذه الدولة حيث قال :

(ويبدو أن تطورا هاما حدث في أمر الاحتساب مع إرصاصات الدولة السعودية الثانية . فقد صدرت أوامر الإمام فيصل بن تركي في فترة حكمه الأولى بإنشاء هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أول خطاب ألقاه على الشعب سنة ١٢٣٤هـ واستمرت هذه الهيئة حتى عام ١٢٣٨هـ ثم عادت مع عودته للحكم سنة ١٢٤٩هـ) (٢) .

إلا أن المؤرخين الذين كتبوا عن الحسبة في الدولة السعودية يذهبون إلى أن تأسيس أول هيئة رسمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تم في عصر الدولة الثالثة على يد الإمام عبدالعزيز - رحمه الله - (٣) .

أما بالنسبة لإنشاء هيئة منظمه للحسبة في الدولة السعودية الثانية فتشير معظم المراجع إلى أن الظروف السياسية المضطربة التي شهدتها الدولة السعودية الثانية يستبعد معها التفكير في إنشاء جهاز منظم للحسبة (٤) .

(١) الدكتور محمد كمال الدين إمام، ولم يذكر المصدر الذي نقل عنه هذا الخبر في (أصول الحسبة) .

(٢) د . محمد كمال الدين إمام ، أصول الحسبة في الإسلام ، ص ١٣١ .

(٣) راجع في ذلك :

أ - سعد محمد إبراهيم ، تاريخ المملكة ، ص ١٦٤ .

ب - رابع لطفى ، حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز ، ص ٩٥ .

(٤) المرشد ، نظام الحسبة ، ص ١٩٢ .

الحسبة في عهد الملك عبد العزيز :

عندما فتح الملك عبدالعزيز مدينة الرياض سنة ١٣١٩هـ كان العلماء يقومون بواجبهم في الاحتساب على مستوى فردي منهم الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف آل الشيخ الذي كان يقوم بالحسبة تطوعاً في مدينة الرياض .

وعندما استقرت الأمور نسبياً واتسعت نظم الحكم كلف الملك عبدالعزيز الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ ليقوم على ولاية الاحتساب ومن ثم فقد تم تنظيم أمور هذه الولاية على أساس أن يكون الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف آل الشيخ والياً للحسبة والشيخ عمر بن حسن آل الشيخ والشيخ عبدالرحمن بن اسحاق آل الشيخ والشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ مساعدين لوالي الحسبة .

وقام الملك عبدالعزيز بتزويد المحتسب ببعض الرجال من أعوانه وجنوده واتسع نطاق الحسبة ليشمل تولي أمورها في المنطقة الوسطى والشرقية والحدود الشمالية مما استدعى إيجاد مقر دائم للرئيس العام بمدينة الرياض واستدعى التطور إنشاء عدة مراكز بمدينة الرياض زودت بأعضاء ورجل ورييس يدير شؤونها (وهكذا منحت الدولة رجالها حق السلطة التنفيذية في حدود معينة كي يتمكنوا من حمل الكافة على الالتزام بأوامر الشرع والوقوف عند نواهيهِ(١) .

(كما تم تعيين هيئة تقوم بالاحتساب في كل مدينة أو قرية تتبع الرئاسة العامة في الرياض)(٢) .

(١) د. سعود بن سعد الدريبي، الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة، ص ٢٤ .

(٢) عبدالعزيز المرشد، نظام الحسبة في الإسلام، ص ١٩٢ .

وبناء على الإجراءات السابقة التي اتخذها الملك عبدالعزيز فقد طرأ على الحسبة في المملكة تطورات هامة فقد تحولت الحسبة من المجهودات الفردية إلى الولاية الرسمية بشكل قاطع حيث كان للمحتسب مقر دائم وتوزعت المسؤوليات بين الرئاسة والفروع وأصبح لوالي الحسبة شرطة خاصة وسجن يؤدب فيه المنغيبين ودوريات تمارس عملها كل في حدود الاختصاصات النوعية والمكانية خلال ساعات الليل والنهار.

وهكذا أصبحت هناك هيئة يقوم هدفها الأساس على غرس القيم الشرعية ومقاومة المخالفات، وتهيئة المناخ النفسي والفكري والاخلاقي السليم الذي يمكن فيه تكوين الدعاة، وتحويل الدعوة من نماذج فردية متناثرة إلى نظام عام يسود المجتمع ويقف في وجه عوامل الهدم بالوسائل العملية المؤثرة.

#### جهود العلماء في الحسبة في عهد الملك عبدالعزيز :

أعطت ولاية الحسبة العلماء في نجد صلاحيات خولها لهم التفويض الذي منحهم اياه الملك عبدالعزيز والنصرة بالجنود والتأييد بسلطان الشرع، مما مكنتهم من القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأسلوب أفضل وأيسر من الحسبة الفردية مما خدم الدعوة الإسلامية حيث قضى على كثير من المنكرات الظاهرة، وقد عرف عن الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف آل الشيخ - وهذا مجرد نموذج تقدمه - أنه إذا علم أن شخصا ما أتى زلة من الزلات أحضره عنده وزجره وهدده بالعقاب فإن عاد قام الشيخ بجلده.

وفي مجال الصلاة كان الشيخ إذا عرف عن شخص تركه لصلاة الفجر أتى به إلى بئر من الآبار وسكب عليه دلو من ماء فيعرف كل من رآه أنه معاقب ،

وكان يعاقب المتكاسلين عن الصلاة بالمناداة على اسمائهم في المسجد  
ويأخذ أغطية رؤوسهم فيحرقها عند باب المسجد فيعودون إلى منازلهم  
حاسري الرؤوس عقابا لهم تشهيرا بهم، وكان الشيخ عبدالعزيز يجمع أعوانه  
ويقوم بدوريات ليلية على الأحياء والدروب والأسواق ومن وجدوه في حالة  
مشبوهة أو كان شخصا غير معروف بالاستقامة يحقق معه وينكر عليه فعله وقد  
يحبس في الهيئة حتى الصباح(١)

ويلاحظ من هذه الأنشطة أن مجالات الاحتساب اتسعت لتستوعب جميع  
الأنشطة العبادية والأخلاقية العامة والخاصة التي تتم في حياة الناس وذلك  
بفضل الله ثم نتيجة طبيعية لتنظيمها من ناحية التولية والتوجيه والسلطان.

وهناك نموذج ثان يتمثل في الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، فقد عرف  
منذ شبابه بالنجابة التي كانت ظاهرة عليه، وكانت الحسبة لاتولي إلا لذوي  
الغيرة الدينية والسياسة الشرعية، فقلده الإمام عبدالرحمن الفيصل القيام  
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مساعدة للشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف،  
فقام بهذه المهمة خير قيام وخاف منه أهل الشر وانقمع بسبب صرامته وحزمه  
أهل الفساد. ولم يكن قد بلغ العشرين من عمره، ثم ولاء الملك عبدالعزيز  
رئاسة هيئة الأمر بالمعروف بنجد والمنطقة الشرقية عام ١٣٤٥هـ خلفا للشيخ  
عبدالعزيز بن عبداللطيف واستمر في هذا المنصب إلى وفاته.

وكان حازما قويا صارما بالحق لاتأخذه فيه لومة لائم فكان لذلك يهابه  
أهل الفجور والفسق وهو إلى ذلك دائم التذكير والوعظ والتوجيه والإرشاد فنفع

(١) عبدالعزيز المرشد، نظام الحسبة في الإسلام، ص ١٩٢.

الله به (١) .

ومن النماذج المشرقة في هذه الفترة كذلك، ممن أسهموا في تدعيم ولاية الحسبة وكان لنشاطه في المنطقة الحجازية أثره الطيب الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ .

فقد سارت الحسبة على يديه مؤدية واجبها، ولم يزل قائما بها مع القيام بحق العلم ونشر الدعوة السلفية لاسيما مع علماء حجاج الأمصار الذين يقابلونه في كل موسم فلا يصدر غالبيتهم إلا عن قناعة ومعرفة بحقيقة هذه الدعوة التي شوه جمالها أعداؤها ونفر عنها خصومها فجعل الله في مجالسه البركة وكان لحسن خلقه ولطف عشرته وغيرته الشديدة على دينه وعقيدته الإسلامية أثره الكبير في الدعوة إلى الله ونشر العقيدة الصحيحة والسلوك الإسلامي الرشيد .

وكانت الصفة التي يمتاز بها الشيخ عبدالله هي القوة في صحة الموالاتة لله تعالى والمعاداة لأعدائه، فقد حقق ذلك تحقيقا عمليا فكان لا يجامل في عقيدته ولا يحابي في دينه مهما كان الأمر وكانت الأحوال وكبرت الشخصيات أو صغرت فالميزان عنده للمحبة هو القرب من الله أو البعد عنه (٢) .

وكان كثير من أعضاء الحسبة يقومون بجولات ميدانية للمراقبة والأطلاع وكانوا أثناء ذلك يقومون بالتوجيه والنصح والارشاد بالقول والعمل وباللين والشده لكل أمر يلاحظونه سواء كان فعل منكر أو إضاعة واجب أو مستحب .

(١) الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج٣/ص٧٤٢، ص٧٤٣ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩هـ - النهضة الحديثة بمكة .

(٢) عبدالله بن عبدالرحمن البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج١/ص٨٤-٨٥ .

وهذه بعض الأمثلة لجهود العلماء في مجال الحسبة أوردناها على سبيل المثال لا الحصر وإلا فهناك علماء أجلاء عددهم كثير من ذوي الغيرة على محارم الله يفضيئون متى انتهكت محارمه كانوا يمارسون الحسبة تطوعا إلى جانب ولاة الاحتساب. وكان هؤلاء العلماء متى سمعوا أو رأوا شيئا ظاهرا من المنكرات لا تفر أنفسهم حتى يسعوا إلى إزالته أو تخفيفه حسب المقدرة ومراجعة من بيده المسؤولية لاسيما إذا كان ذلك يتصل بالحقوق الشرعية أو بحدود الله.

كما كان هؤلاء العلماء يجتهدون في مراجعة المسؤولين عن أسباب ظهور تلك المنكرات والسعي في علاجها فيتصلون بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويخبرونهم بما تجدد لديهم من معلومات عن المنكرات الظاهرة ويحثونهم على إزالتها وتغييرها أو تخفيفها.

كما كان هؤلاء العلماء المتطوعون للاحتساب يتصلون بالملك عبدالعزيز ويتبادلون معه النصيح في مجال الاحتساب.

وكان لهؤلاء العلماء تلاميذ فيهم حماسة وغيره فكانوا متى سمعوا أو رأوا شيئا من المنكرات قد ظهرت ولم يقم الحد على أصحابها راجعوا العلماء واتصلوا بالمسؤولين حتى يؤخذ على أيدي أولئك العصاة كما كان العلماء يجتهدون في تقرير عقوبة لمن ترك الصلاة أو لمن أفطر في نهار رمضان بغير عذر شرعي أو نحو ذلك (١).

وكما اشرنا فإن العقوبة كانت لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث كان لها الصلاحيات في الحبس أو الجلد أو غير ذلك مما يحصل به الإرتداع.

(١) محمد الشثري ، اتحاف اللبيب ، ص ١٥٣ / الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ.



وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التعاون بين المسؤولين والعلماء ان حصل الأمن في البلاد على الدين والنفس والأموال مما يؤدي إلى حصول المصالح العامة للخاص والعام من المسلمين .

وانطلاقاً من ايمان الملك عبدالعزيز بدور ولي الأمر في تنظيم ولاية الحسبة والقيام عليها لم يكتف الملك عبدالعزيز بتنظيم هذه الولاية في نجد، بل إنه بمجرد أن فتح الحجاز أصدر أوامره بإنشاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد مكاتبات تمت بينه وبين رئيس القضاة في إقليم الحجاز الشيخ عبدالله بن بليهد الذي كلف باختيار رئيس الهيئة والمعاونين .

(وبذلك كان للملك عبدالعزيز رحمه الله الفضل بعد الله في تأسيس أول هيئة رسمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة، وكان مقرها في مدرسة (أحمد عيد) بباب الصفا .

وقد تشكلت الهيئة من علماء مكة ونجد برئاسة الشيخ (عبدالله الشيبني) وكان الأساس في إنشائها هو مراقبة تنفيذ أحكام الشرع وإقامة الشعائر وحث الناس على الطاعة وجاء في قرار إنشائها أن أهدافها هي الأهداف الخمسة الآتية :

- ١ - تتبع المعاملات والعادات فما وافق الشرع منها تقره وما خالفه تزيله .
- ٢ - منع الذاة اللسانية التي تعودها السوقة .
- ٣ - حث الناس على أداء الصلوات الخمس جماعة .
- ٤ - مراقبة المساجد من جهة أئمتها ومؤذنيها ومواظبتهم وحضور الناس بها وغير ذلك من دواعي الإصلاح .

٥ - أن تتخذ في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جميع الوسائل الموصلة إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، وإذا أعيها أمر من الأمور رفعت مذكرة إلى ولي الأمر لإجراء اللازم(١).

ولم يقتصر عمل رجل الحسبة على البحث عن المنكرات والتأديب والتعزير عليها وإنما شمل عمله حمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين من الإكثار في الحمل والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وإزالة مايتوقع من ضررها على السابلة والمارة ويشمل كذلك حماية المجتمع من غش الباعة والصناع بحيث لا يغش هؤلاء من صناعة أو وزن ومن الأطباء والجراحين والصيادلة فلا يصفون للمرضى علاجاً خاطئاً ولا يبيعونهم عقاراً مغشوشاً، ومن المحتكرين والصرافين فلا يرفعون السعر ولا يغشون في النقود إلى غير ذلك من الاختصاصات التي انتقل غالبها إلى عدة أجهزة في الدولة(٢) ولاشك أن هذه الهيئة بنظامها المذكور تعتبر امتداداً إسلامياً لنظام الحسبة في الإسلام حيث كان المحتسب في عصور الرسالة الزاهرة يقوم بنفس هذه المهام تقريباً مع تخويله من السلطة مايمكنه من امضاء التعاليم الدينية بقوة الردع إذا اقتضى الأمر.

ولاشك أنه لن يكون للهيئة من فعاليات تمكنها من تحقيق أهدافها إلا إذا تسلحت بقوة الردع عند الضرورة، وقد كان من الأمور الجديرة بالإعجاب أن

(١) لمحات من الإصلاحات الدينية والاجتماعية في عهد صقر الجزيرة بحث ودراسة تاريخية من اعداد ابراهيم محمد سرسيق  
(من بحوث ندوة العلاقات المصرية السعودية في النصف الأول من القرن العشرين) سنة ١٤٠٧هـ، الزقازيق، مصر، وهي ندوة أقيمت بالتعاون بين رابطة الجامعات الإسلامية وجامعتي الزقازيق وقناة السويس.  
(٢) د. سعود بن سعد الدريب، التنظيم القضائي في المملكة، (ص٤٨١، الطبعة الأولى).

ينشئ الملك عبدالعزيز هذه الهيئة وهو لا يزال يخوض غمار توحيد أقاليم المملكة.

وهكذا أعطيت هذه الهيئة صلاحية اتخاذ مآثره من وسائل عملية تكفل نجاح فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكان هناك دليل لعمل موظفي الهيئة واختصاصاتهم ألفه الشيخ محمد بهجت البيطار(١) استند فيه على كتاب الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، كما حاول فيه أن يبين بعض المجالات الجديدة في مجال الاحتساب والتي ظهرت في المملكة العربية السعودية نتيجة التطور والتوسع في المعاملات بعد توحيد المملكة(٢).

#### جهود الملك عبدالعزيز الشخصية في الحسبة :

ومع أنه لا يمكن إغفال الأثر الذي ترتب على تأسيس هذه الهيئة إلا أنه لا يمكن إغفال جهود الملك عبدالعزيز الشخصية في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمتمثلة في رسائله ومناصحته للأمرء وعامة الناس بوجوب التزام الطاعات والانتهاز عن المنكرات.

حيث عرف من الملك عبدالعزيز أنه أمر بالمعروف ناه عن المنكر متمسك بأحكام الشريعة الإسلامية قولاً وعملاً في كافة المجالات عامل بما يحقق المصلحة لبلاده وشعبه محباً للعلماء كثير التوجيه والنصح والإرشاد لهم إيماناً

(١) وكان يعمل مديراً للمعهد الإسلامي السعودي بمكة المكرمة.

(٢) د. محمد كمال الدين إمام، أصول الحسبة في الإسلام، ص ١٣٤.

بأن محبة الخير لإخوانه كمحبته لنفسه (١).

قال الملك عبدالعزيز رحمه الله في اجتماع له بموظفي الدولة (نحن وضعنا جماعة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فبلاغاتها ومقرراتها تشمل الجميع على السواء وانتم يا جماعة الموظفين احق الناس بأتباع اوامرنا واجتناب منهياتها فانكم انتم المكلفون بتنفيذها فإذا كنتم لا تبدؤون بأنفسكم وتكونون قدوة سالحة للناس يصعب تطبيقها وتنفيذها) (٢).

وقد أمر رحمه الله بعض منسوبي الإحتساب (٣) بأمر أولها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه - كما يقول الملك عبدالعزيز - هي رأس المال.

الثاني : سعة الصدر مع الناس بحيث يعطي كل ذي حق حقه بالشرع ولا يتعدى أمر الشرع (٤).

والمحلل لعبارات البرقية التي أرسل فيها الملك عبدالعزيز أوامره السابقة يجد فيها من حرص الملك عبدالعزيز ايمانه بضرورة الحسبة وأهميتها الكثير حيث نلاحظ مايلي :

أ - تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الأمور التي وصى بها.

(١) الدريب، الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة، ص ٣١.

(٢) جريدة أم القرى عدد ١٤٢ الصادر في يوم الجمعة ٦ / ربيع الأول ١٣٤٦ هـ.

(٣) هما : محمد بن ظرمان، ومحمد بن مرضي.

(٤) الرسالة مخطوطة بدارة الملك عبدالعزيز تحت رقم (١٩٧٩).

ب - وصفه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنه (رأس المال) أي انه اساس  
لا بد من المحافظة عليه .

وهناك رسالة جامعة للملك عبدالعزيز رحمه الله وجهها لعامة إخوانه  
المسلمين بالبلاد يحثهم فيها على شكر النعم وعدم التكاثر عن الصلاة  
ووجوب التناصح فيما بينهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتباره واجبا  
على الجميع كل على حسب استطاعته .

ومما ورد في رسالته قوله رحمه الله :

(وجب علينا القيام على أنفسنا بالخضوع والتضرع والشكر لرب العزة  
والنصيحة لإخواننا المسلمين . . .)

ثم بعد ذلك رأيت بعض التغافل والتماذى في أمر هذه الدنيا وذكر لي أن  
الناس معهم كسل في الصلاة والمبادرة لها وهذا شيء ما هو بدليل خير  
فالرجاء أن تقوموا على أنفسكم وتناصحوا إخوانكم المسلمين . . . وتؤدوا  
النصيحة للخاص والعام كل على حسب العالم على قدر علمه وموقفه وطالب  
العلم على قدر اقتداره والباقي من كان يقدر يقوم بما أوجب الله عليه من  
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعليه أن يقوم بذلك على قدر استطاعته  
على الأمر المشروع . . . (١) .

وهذه الرسالة العامة في حد ذاتها بمضمونها الواضح دعوة لتغيير النفس  
والمجتمع وإخضاعها للالتزام بالشرع، ومن الرسالة يتضح قيام الملك  
عبدالعزيز بمراقبة الأمور العبادية والسلوكية، كما يتضح فقه الملك عبدالعزيز  
بمراتب الاحتساب وتفاوت الإمكانيات . ولاشك أن هذا الاهتمام من ولي الأمر

(١) الرسالة مخطوطة بدارة الملك عبدالعزيز برقم ٨٨٨ قسم الوثائق .

يدل على أنه داعية وولي أمر في سياق واحد، ويدل على غيرته على الأمور الشرعية، واهتمامه بها وحثه الناس على تطهير المجتمع، وكلها أمور ذات صلة وثيقة بالدعوة في إطارها العام، بل هي أدخل في أركى أهداف الدعوة، وهو تغيير النفس والمجتمع من أجل إصلاح الأرض وتبليغ كلمة الله بالقدوة الحسنة والسلوك الشريف (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (١) .

وفي رسالة وجهها - رحمه الله - إلى الشيخ عبدالرحمن بن عودان يطلب منه تعيين نواب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأهل بلدة (مرات)، أمر رحمه الله في رسالته بتعيين نواب يتوافر فيهم العقل والقدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الوجه الشرعي (٢) .

وكان الملك عبدالعزيز كثيراً ما يتبادل الرسائل المتضمنة للآراء والتشاور مع العلماء بخصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فقد وردت رسالة من احد العلماء ينصح فيها الملك عبدالعزيز بأن يختار لمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمثل من يوجد ويحذره هذا العالم المخلص من أن يتولى امر الاحتساب بعض العوام الذين لا يفقهون الشرع ولا يقدرّون على النظر في الاحكام ويشير هذا العالم إلى ان المحتسب العام يجب ان يكون ممن يصلحون للقضاء وتبراً الذمه امام الله سبحانه وتعالى بتوليهم الحسبه وقد استقبل الملك عبدالعزيز هذه الرسالة - وغيرها - بصدر رحب بل كان رحمه الله يدعو العلماء إلى تبادل الرأي وارسال الرسائل اليه .

(١) سورة الرعد ، من الآية ١١ .

(٢) من رسالة للملك عبدالعزيز مخطوطة بدارة الملك عبدالعزيز قسم الوثائق برقم (٨٨٧) .

ويتضح من الرسالة السابقة (١) ومن معظم الرسائل (٢) التي طالعناها أن مناصحة الملك عبدالعزيز للرعية لا بد أن تتضمن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا إن لم يأت هذا الواجب في مقدمة نصائحه في أغلب الأحيان، كما واننا نلاحظ اهتمامه بمن يقوم بهذا العمل وانهم يجب أن يكونوا من أهل الخير والاستقامة.

ونتيجة لتأسيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة المكرمة فقد أصبح لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رئاستان الأولى في الرياض والثانية في الحجاز وغطى الاحتساب كل أقاليم المملكة حيث أمر الملك عبدالعزيز بفتح هيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع البلدان.

ومن الجدير بالذكر هنا ان التطور الذي شهدته الدولة السعودية في عهد الملك عبدالعزيز والنمو الذي حدث في النواحي السياسية والادارية في البلاد بعد التوحيد أظهرت مجالات اخرى ذات صلة بمجال الاحتساب ومنها :

الجهات القضائية المختلفة.

الجهات الأمنية المختلفة.

وقد ادى ظهور هذه الهيئات على نحو منظم إلى مساعدت المحتسبين والدعاة على اداء رسالتهم وتحقيق أهدافهم ويبدووا ذلك واضحا في مجال حماية الاخلاق والآداب العامة والمحافظة على قيم المجتمع الإسلامي للبلاد

(١) رسالة مخطوطة بدارة الملك عبدالعزيز برقم (٦٦٠).

(٢) يوجد العديد من الوثائق التي تخدم هذا الموضوع لكنني اكتفيت بهذا القدر تحقيقا للغرض المقصود.

السعودية كذلك في مجال حماية الشباب من الانحراف ومقاومة المنكرات في العديد من المجالات، وعموما فإن الإسلام قد جعل من مبدأ الحسبة بصورة المختلفة نظاما شرعيا له تطبيقاته المتعددة بحيث أصبح اغفاله مخالفة شرعية كبيرة بل إنه يؤثر على حيوية المجتمع الإسلامي وفاعلية الفرد المسلم.

ان لاحتساب نظام يتأكد به دور الأمة الدعوي العام كما يتأكد به دور الجماعة الإسلامية كحارسة لقيم الدين ودور الفرد المسلم باعتباره مسؤولا مسؤولية فردية - امام الله - عن القيام بواجبه الشرعي ليصبح جهاز رقابة ذا فاعلية خاصة ويمهد الطريق العملي والأخلاقي في مسيرة الدعوة إلى الله عن طريق تقديم الفرد المسلم الملتزم والمجتمع المسلم.

وعليه فالحسبة تبرز أهمية المسؤولية الفردية ومكانتها في الشرع الإسلامي كما تبرز أهمية الجماعة المسلمة المتفقه الواعية ودور الأمة كلها في مجال الدعوة كل حسب قدرته.

ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأعتبره رقابة المسلمين على الشرعية في المجتمع الاسلامي لم يتوقف في يوم من الأيام. فطالما كان هناك إسلام ومسلمون فلا بد ان يوجد فيهم من يؤدي هذا الواجب، ولكن قد يقل تأثير هذا الواجب في بعض الفترات لقلة الوازع الديني في كثير من الجماعات ولأن المتغيرات التي مر بها عالمنا الإسلامي في القرون الثلاثة الاخيرة أحدثت فجوة بين الإسلام عقيدة وشرعية وبين المسلمين واقعا ومنهج حياة، فلذلك قل تأثير الإحتساب والدعوة في بعض الفترات ولكن مع ذلك فقد بقى وجود المحتسب الداعية مقوما أساسيا من مقومات الوجود الإسلامي لانه ركن من اركان الدعوة لا يتخلف عنها.



وإذا كانت إقامة الحسبة في الأصل تمثل واجبا عاما على كل مسلم شأنها شأن الدعوة عامة فإن وجودها في الحياة الإسلامية حقيقة واقعة على الأقل في صورة النصح لكل مسلم فقد روى الشيخان في صحيحيهما عن جرير رضي الله عنه قال (بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) (١) .

فواجب النصح الفردي مرحلة - أولى - في مجال الدعوة نقف عليها وتأتي بعدها المراحل التالية أي مرحلة الأمانة وفي السطور التالية أبين الدور المباشر وغير المباشر الذي يقوم به نظام القضاء ونظام التعليم في دعم وظيفة الحسبة وتحقيق أهدافها بما يخدم الدعوة إلى دين الله الحق .

---

(١) أخرجه البخاري (ج٢/٧ فتح الباري) كتاب مواقيت الصلاة - باب البيعة على إقامة الصلاة .

ومسلم ٧٥/١ كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة .

## المطلب الثاني

تعيين المفتين والقضاة وجهودهم في الدعوة

لابد للمجتمع الإسلامي من رجال يبينون له طريق السعادة التي جاء بها الإسلام ويوضحون للسائلين حكم الإسلام كما أنه لابد للمجتمع من رجال يعرفون العدل ويحكمون به ولا شك أن هاتين الوظيفتين من خير وسائل الدعوة للمخلصين الراغبين في سعادة البشر، وحكمة القضاء منع الظلم ونصرة المظلوم وقطع الخصومات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والقضاة هم الذين يقومون بالفصل في المنازعات بين الخصوم وهم الذين يحكمون بالقصاص ويعاقبون بتوقيع الحدود أو بالتعزير ولا يصلح كل شخص لأن يتولى القضاء، بل لابد من أن تتوفر فيه الشروط التي تجعله صالحاً لأداء هذا العمل.

واشتغال الدعوة بالقضاء ليس أمراً جديداً على الدعوة بل إنه منذ فجر الدعوة والرسول - صلى الله عليه وسلم - يرسل أصحابه للدعوة والقضاء معا فقد ورد أنه أراد أن يرسل معاذاً إلى اليمن - كما ورد في الحديث - فسأله رسول الله عليه الصلاة والسلام قائلاً: كيف تقضى إذا عرض لك القضاء؟ قال: بكتاب الله قال فإن لم تجد قال بسنة رسول الله قال: فإن لم تجد قال: اجتهد رأيي قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله بما يرضي رسول الله... الحديث (١)

ويتضح من الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد بعث معاذاً إلى اليمن يدعو إلى الله ويقضي بين أهلها بكتاب الله وسنة رسوله.  
قال ابن القيم :

(١) رواه أبو داود، باب اجتهاد الرأي في القضاء انظر (بذل المجهود في حل أبي داود ج١٥/٢٦٨) وقال الترمذي: الحديث منقطع الاسناد لكن له شواهد موقوفة عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس. (ورواه البخاري موقوفاً على ابن عباس كتاب الزكاة - الفتح ج٣/٢٦١).

(وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك داعيين إلى الإسلام فأسلم عامة أهلها طوعا من غير قتال(١) .

ونظرا لأن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هما الأصلان اللذان يرجع إليهما عند التحاكم وبهما يكون الفصل في المنازعات فإن من الطبيعي والحالة كذلك أن نرى الدولة تضع علماء الشريعة وفقهاء الدين في المنزلة التي تليق بهم لأنهم بذلوا الجهد لدراسة دين الله واستيعاب أحكامه وتشريعاته فهم يعلنون بما عرفوه وعلموه من دين الله لتهديب النزعات الانسانية والدوافع الفطرية حتى يعود الجميع إلى حكم الله ورسوله في رضى واطمئنان .

(والقضاء وإن كان مظهرا طبيعيا من مظاهر الحكم إلا أن له اعتباره من الوجهة الشرعية التي تمنع نفاذ أحكام القاضي الشرعي ما لم يكتسب حق التولية التي يملكها الحاكم أو نائبه(٢) .

ومن أهم ما يميز القضاء في هذه البلاد أن مرجع الفصل في كل خصومه شرع الله والقول فيها للقائمين عليه من أهل العلم ورجال الفقه في الدين .

والولاية يصدر عن أحكامهم وتشريعاتهم عن رأي العلماء الذين لا يألون نصحهم وإخلاصهم لحاكمهم وتذكيره وإيضاح ما خفي عليه أمره في مظهر كريم من التعاون الصادق المخلص بين العلم والهدى وبين السيف والسنان، وقد عرف الناس مدى اعزاز ملوك هذه الجزيرة وسكانها لرجال الشرع والقضاء ووضعهم في المكان اللائق بهم ويعلمهم فلست تراهم إلا ولهم الرأي المسموع

(١) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج١/ص٤٦ .

(٢) الشيخ حسن آل الشيخ، التنظيم القضائي في المملكة، ص٣١ .

والقول النافذ . (وقد اتبعت الدولة السعودية الناشئة نظام تعيين قاض وإمام في كل بلد تدين لها وحرصت على أن تجعل للقبائل المتنقلة قضاة وأئمة للصلاة يعلمون حدود الله وأحكامه)(١) .

وإخلاص الولاية للمبدأ الكبير وهو إعزاز دين الله وتحكيمه في كل شؤون حياتهم العامة والخاصة أوجد في نفوس رعاياهم مبدأ الاحترام والهيبة لرجال العلم والاطمئنان والثقة فيلجئون إليهم في غير مشاكل القضاء لاستفتائهم وطلب مشورتهم .

وأنا إذ أعبر هنا بلقب (العالم) بجانب لقب القاضي فلا أعني به مجرد الأخير من العلم لكنني أشير إلى امكان وجود علماء أفاضل لهم مكانتهم في النفوس والقلوب ممن ليسوا بقضاة وإلا فالواقع الطبيعي ينفي الاستحقاق للقضاء ممن لم يضرب في العلم بسهم وافر(٢) على أنه بالرغم من تبليغ العلماء ومنهم القضاة أحكام الدين للناس فقد يبقى بعض الناس جاهلا بهذه الأحكام .

وهنا يتعين على الجاهل بالأحكام أن يسأل أهل العلم استجابة لقوله تعالى (فستلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون)(٣) .

وهذا ما يعرف في الشريعة بنظام (الإفتاء) والافتاء في اللغة يعني : السؤال عن أمر أو حكم مسألة .

(١) انظر: د. عبدالله أبو رأس، بدر الديب / الملك عبدالعزيز والتعليم ص ١١٥ .  
وقد اورد المؤرخ ابن بشر في كتابه (عنوان المجد) اسماء العديد من قضاة البلدان في الدولة السعودية منذ عهد الامام محمد بن سعود رحمه الله .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٣) سورة الانبياء ، آية ٧ .

قال ابن منظور : هو الابانة .

يقال أفتاه في الأمر أي أبانه ، وأفتاه في المسألة يفتيه : إذا أجابه .

والاسم : فتوى .

وهو اسم يوضع موضع الافتاء والفتيا والفتوى : ما أفتى به الفقيه (١) .

والافتاء في الاصطلاح :

هو السؤال عن أمر أو حكم أو مسأله إذا كانت هذه المسألة تعتبر من

المسائل الشرعية . (٢)

وكانت علاقة الملك عبدالعزيز بعلماء الشريعة مبنية على الوقار والاحترام لعلمهم الشرعي حيث نذر نفسه لتنفيذ احكام الشريعة (ومن هنا كان لعلماء الدين المقام الأول عند الملك عبدالعزيز فكان يكبرهم ويجلهم ويبالغ في إكرامهم ، ويصغي إلى آرائهم المبنية على المناصحة بين الحاكم والمحكوم في مظهر للتعاون الصادق المخلص بين العلم والعمل وبين السيف والقلم وقل أن يجادلهم في أمر يرون فيه مالا يرى قبل أن يفسح المجال لهم للمناقشة .

وكان لكبارهم هبة في نفسه لا يصطنعها ولا سيما لمن اشتهر منهم بالعلم والصلاح (٣) ولا شك أن احترام الملوك للقضاة يرمز إلى حرمة العدل وتشجيع القضاة على حسن القيام بواجبهم وهو تأكيد لأن العلاقة بين الملك والعلماء كانت قائمة على المناصحة بين الحاكم والمحكوم .

هذا ولم يقتصر دور القاضي في عهد الملك عبدالعزيز على مجرد القيام بجميع أمور وشؤون المحاكم من الفصل في المنازعات والقضايا وكتابة العدل

(١) لسان العرب ، ج١٥ / ص ١٤٧-١٤٨ .

(٢) د . عبدالكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ص ١٣٠ .

(٣) الزركلي ، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز ، ص ١٥٩ .

وتولي شؤون بيت المال وعقود النكاح في البلد التي يعمل فيها بل تعداه إلى القيام بمهام دعوية عظيمة نذكر منها :-

١ - القيام بدور الوساطة بين الحاكم والرعية في الاقليم الذي يعمل به القاضي .

٢ - الجهاد في سبيل القضاء على العادات المترسبة من الجاهلية والمخالفة لأحكام الشريعة .

٣ - السعي في الصلح بين المتخاصمين .

٤ - التدريس ونشر العلوم الشرعية .

٥ - الرد على الاسئلة والاستفتاءات بالأجوبة الشافية .(١)

٦ - الذب عن الدعوة السلفية وتطهيرها مما لحقها من تزوير وتشويه لحقيقتها .

(لا يقتصر عمل المطوع أو المرشد في القبيلة على التعليم بل ربما كان هذا أقل ما يقوم به .

فهو واعظ البلد وخطيب مسجدها وإمامها في الصلوات والمتولي عقود النكاح فيها .

وهو مرجعها الديني في كل شيء وله رأي مسموع في جميع شؤونها)(٢) .

(١) يرجع الى الدرر السنية للتوسع في هذا المجال .

(٢) د. سعود بن سعد الدريب، الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة، ص٦٢-٦٣ .

ولعل قيام العلماء بهذه الوظائف - إلى جانب القضاء خلال فترة حكم الملك عبدالعزيز يدل دلالة واضحة على سعة علمهم وبعد نظرهم ورجاحة عقولهم بما أهلهم للقيام بمهام القضاء والافتاء وسائر الوظائف الدعوية كالحسبه وغيرها كما كانت للعلماء وخاصة القضاة منهم - مناظرات علمية في مواجهة علماء الضلال من الغلاة أو من أعداء الدعوة السلفية.

والى جانب هذه الجهود والمهام الشخصية للقضاء فقد كانت للهيئات القضائية(١) في عهد الملك عبدالعزيز نشاطات واختصاصات هامة في مجال الدعوة منها :

#### (أ) الإشراف على هيئة المعارف :

(وذلك من خلال مراقبة التدريس والكتب وسائر المناهج التي يقررها مجلس المعارف وكذلك التنبيه على المسائل التي تكون فيها مخالفة للمسائل الشرعية)(٢).

#### (ب) مراقبة هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

(وذلك من خلال تنبيه الهيئة في حال تجاوزها العرف الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراقبة سيرها وحضها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي حالة وقوع خلاف في الرأي يرجع إليها)(٣).

(١) وهي هيئة المراقبة القضائية .

(٢) جاء ذلك في المرسوم الملكي الصادر في ٢٤ صفر سنة ١٣٤٦هـ، انظر مجموعة الأنظمة ص٩، ص١٠ .

بتصرف من الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة ص٧٨/٧٩، د. سعود بن سعد الدريب .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٩ . وهاتان المهمتان للقضاء وهما الإشراف على هيئة المعارف ومراقبة هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما كانتا في عهد الملك عبدالعزيز ثم استقلتا بعد ذلك .



هذا إلى جانب قيام هذه الهيئات القضائية بتعيين الأئمة والمؤذنين والمدرسين واعتبارها رئاسة القضاء مرجع الفتوى فيما يتعلق بالمصالح المختلفة من خلال هذا العرض المختصر نلاحظ شيئين على هذه المدة الزمنية هما :

(أ) إتساع نطاق واختصاصات القاضي والمفتي من مجرد المهام الرئيسية للوظيفة إلى نطاق تبليغ الدعوة بكافة الوسائل ، وبالتالي فليس بالإمكان الحديث عن القضاء دون الحديث عن الدعوة .

(ب) كان هناك وازع ديني قوي متمكن في نفوس الناس وقد بدا هذا واضحا في ثباتهم مع الملك عبدالعزيز في جهاده لنشر الدعوة وهذه نتيجة طبيعية لجهود العلماء السابقة فضلا عما تحلى به أهل هذا الزمان من صدق في المعاملة .

وبالرجوع إلى ماسبق تقريره من أهمية القضاء في شرعية الحكومة الإسلامية فقد أولاه الملك عبدالعزيز اهتمامه الشخصي وحتى يطمئن إلى سلامة المنهج القضائي كان يقوم - بنفسه - بتعيين القضاء وإرسالهم إلى أقاليم الدولة المختلفة، حيث كان يختار من تحقق له كفاءتهم العلمية، ويكونون من أفضل الناس وانزهمهم، ثم يلزمهم بتولي قضاء الجهات التي يختارهم لها، ويجري عليهم مرتب من بيت المال .(١)

وقد اشتهرت جهود بعض القضاة والمفتين الذين عينهم الملك عبد العزيز

(١) انظر سعود الدريب ، الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة،

في مجال الدعوة إلى الله عز وجل بالوسائل المختلفة باعتبار هؤلاء العلماء أصحاب الرأي المسموع والقول النافذ بين الناس .

ومن هؤلاء سماحة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله والذي قام بتدريس العامة والخاصة وتحرير الرسائل والنصائح والفتاوي إلى البلدان النائية وتخرج على يديه طوائف من القضاة وسوف نترجم له في مبحث خاص إن شاء الله .

ومنهم سماحة رئيس القضاة في الحجاز الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ (وكان لما استعاد الملك عبدالعزيز الرياض ورأى في الشيخ عبدالله الكفاية والتقى عينه إماما في مسجد والده الإمام عبدالرحمن آل فيصل .

ثم قام الشيخ عبدالله بن حسن بنشر العلم وتثقيف البادية في أهم هجرة وهي (الأرطاوية) فتحولوا من جهلهم إلى العلم والتوحيد وفي سنة ١٣٤٦هـ اسند إليه الملك عبدالعزيز منصب رئاسة القضاة في مكة وهو مقام خطير لا يصل إليه إلا من بلغ من النضج العلمي مبلغا كبيرا فضلا عن اشتغاله بالحسبة حيث كان رئيسا لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة(١)

وللشيخ عبدالله جهود في الدعوة عظيمة سوف نفصلها - إن شاء الله - عندما نترجم له في الباب الأخير من البحث .

ومن العلماء البارزين في هذا المجال الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ والذي كان مستشارا شرعيا للملك عبدالعزيز في توليه القضاة وكانت له جهود علمية في مجال الدعوة سنذكرها إن شاء الله في الباب الأخير مع ترجمته

(١) الشيخ عبدالله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج١ / ص ٨٢ .

والشيخ سعد بن عتيق والذي كان يتولى القضاء في الأفلاج أيام حكم ابن رشيد ثم ولاء الملك عبدالعزيز على القضاء في الرياض كما اشرنا سابقا (ومن هؤلاء القضاة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ والذي ولاء الملك عبدالعزيز قضاء مدينة الرياض فكان المثل الحسن في العدل والانصاف والنزاهة والعماف واستمر في القضاء حتى سنة ١٣٥٢هـ (١).

ومنهم قاضي حائل الشيخ عبدالله بن بليهد (ولما استتب الأمر للملك عبدالعزيز في الحجاز عام سنة ١٣٤٤هـ نقل الشيخ عبدالله من قضاء حائل إلى رئاسة القضاء في مكة المكرمة فصار هو الذي يقابل الوفود الإسلامية وكان له مواقف مشرفة حمد عليها في تلك الأيام.

ونحن نجد في تولية الملك عبدالعزيز للشيخ عبدالله بن بليهد لقضاء حائل حين فتحها ثم توليته قضاء مكة حين فتحها ما يدل على أمرين :

أ - معرفة الملك عبدالعزيز رحمه الله للرجال وسياسته الحكيمه الرشيدة.

ب - العقل والحكمة السياسية التي يتمتع بها الشيخ عبدالله بن بليهد ذلك أن سكان هاتين المدينتين حين فتحهما محتاجون إلى ملاطفة وتأليف وتطمين لأنهم لم يألوا الحكم الجديد ولا يعرفون حقيقته فهم في حاجة إلى رجل له دراية وسياسة ليطمئنهم ويقرب بينهم وبين الحاكم الجديد.

وللشيخ عبدالله بن بليهد مع غلاة البادية نشاط ملحوظ في وعظهم وتوجيههم التوجيه الحسن وله رسالة مفيدة في هذا الشأن (٢).

(١) الشيخ عبدالله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ / ص ٣٥٦ .

(٢) وردت بعض اجزاء من الرسالة في كتاب علماء نجد خلال ستة قرون، ج٢/ص٥٤٦.

ومكث الشيخ عبدالله بن بليهد رئيسا للقضاة في مكة المكرمة حتى عام ١٣٤٥هـ حيث أعيد إلى حائل بناء على التماس قدمه أهلها إلى الملك عبدالعزيز.

وكان للشيخ عبدالله بن بليهد مجلس للتدريس والافتاء والقضاء وله عدة رسائل وأجوبة مفرقة لم تجمع (١).

وفي عام ١٣٥٨هـ عين الملك عبدالعزيز الشيخ سعود بن محمد بن رشود قاضيا بوادي الدواسر حتى عام ١٣٦٤هـ حيث نقله إلى قضاء المجمعة ثم استصحبه الملك عبدالعزيز إلى روضة خريم لحل قضايا ومشاكل خاصة هناك فأعجب بعقله وعلمه وحسن حله للقضايا فعينه في قضاء الرياض في الدماء وأعمال البادية ثم جعله رئيسا لمحكمة الرياض عام ١٣٦٧هـ (٢).

ومن هؤلاء العلماء الشيخ عمر بن سليم قاضي الأرتاوية من عام ١٣٣٠هـ إلى عام ١٣٣٧هـ (فقد كان قاضيا وواعظا ومرشدا بجانب أكبر زعماء البادية في وقته. فيصل الدويش - فكان كما ظن فيه الملك عبدالعزيز من الخير وحسن الدعوة).

ولما قام بواجب الدعوة إلى الله عند تلك البادية عاد إلى بريده فعين إماما في أحد جوامع بريده ومساعدًا لأخيه عبدالله على قضاء بريده والخطبة والصلاة فيها وجلس لتدريس العلم فكثرت طلابه وانتفع به العام والخاص وكانت دروسه تركز على التوحيد وعقائد السلف والتفسير والحديث والفقه وعلوم العربية.

(١) المرجع السابق ، ج٢/ ص ٥٤٦ ، ٥٤٧ .

(٢) ولد في الأفلاج عام ١٣٢٢هـ وتوفي في مدينة جدة عام ١٣٧٣هـ، انظر: عبدالله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج١ / ص ٢٧٠ و ص ٢٧١ .

ولما توفي أخوه أمره الملك عبدالعزيز بتولي القضاء في القصيم خلفاً لأخيه، فباشراً أعمال القضاء ومصالح المسلمين ولم يشغله ذلك عن نشاطه في التدريس والتعليم والوعظ في الجامع الكبير بالقصيم.

وقد تخرجت على يديه أفواج كثيرة ممن ولي القضاء والدعوة في مختلف بلدان المملكة (١) أما أخوه الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم فقد كان مع سعة علمه تقياً صالحاً عليه وقار الحكماء وورع الصالحين.

(ولاه الملك عبدالعزيز سنة ١٣٣١هـ قضاء مدينة بريدة بعد أن كان قاضياً لبلدة البكيرية فلم يشغله القضاء عن أداء واجبه في التعليم فقام بالأميرين خير قيام وكان مكرماً مبعولاً عند الملك عبدالعزيز وكان العلماء يقدرونه ويعرفون فضله وعلمه وقوته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولما تمرد زعماء البادية على الملك عبدالعزيز سنة ١٣٤٧هـ أرسل الشيخ عبدالله بن سليم يفاوضهم وغيرهم بما يجب عليهم من الطاعة ولزوم الجماعة (٢).

وفي سنة ١٣٢٤هـ عين الملك عبدالعزيز الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري قاضياً على المجمععة ومقاطعة سدير فقام بأمر هام في مجال السلم والحرب والصالح العام وكان يقوم بواجب القضاء والتعليم والدعوة في جميع بلدان سدير مع ملاحظة رجال الحسبة وأئمة المساجد بالتوجيه والتعيين والعزل (٣).

- 
- (١) الشيخ عبدالله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج٣ / ص ٧٤٥ .  
 (٢) الشيخ عبدالله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج٢ / ص ٦٢٤ .  
 (٣) الشيخ عبدالله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج٢ / ص ٥٨٣ و ص ٥٨٤ .

كذلك لما اشتدت صولة الأخوان في عام ١٣٤٧هـ بتحريض بعض اعداء المسلمين عمل الملك عبدالعزيز - رحمه الله جميع الوسائل السلمية الحكيمة معهم ومن جملتها أن بعث هذا العالم الكبير العاقل الفاهم لأمر الدين والدنيا ليقوم بالوساطة الرشيدة بين الطرفين فقام بها إلا أن الشر قد استطار فلم تنجح مساعيه فخدمت الفتنة بتأديبهم حتى عادوا إلى الصواب (١) .

وفي عام ١٣٣٦هـ عين الملك عبدالعزيز الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب بن زاحم قاضيا ومرشدا وإماما في هجرة الداهنة عند أمير الروقة .

(وفي عام ١٣٥٨هـ عينه الملك عبدالعزيز قاضيا في الرياض ثم نقله إلى رئاسة المحكمة الكبرى في المدينة المنورة سنة ١٣٦٣هـ .

وهو في كل بلد يحل بها يواظب على نشر العلم وإلقاء الدروس العامة والخاصة حتى نفع الله بعلمه فأخذت عنه طائفة كبيرة من العلماء (٢) .

وفي سنة ١٣٣٧هـ عين الملك عبدالعزيز الشيخ عبدالعزيز الشري قاضيا ومرشدا في هجرة الرين عند قبائل قحطان (واستمر في سلك القضاء أكثر من خمس وثلاثين سنة فقام بواجب الدعوة خير قيام وكان يستحث الولاة وكل مسئول على القيام بواجب الدعوة في وقت كان المجتمع في حاجة ماسة إلى كل داعية إلى الخير .

(١) الشيخ عبدالله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ / ص ٥٨٣ ، ص ٥٨٤ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ / ص ٥٩٠ .

وكانت الحكومة السعودية الرشيدة تعين أهل الدعوة والصلاح تفتح لهم صدرها وتلي كل مطالبهم وتشد من أزرهم كما كان ذلك رأيها - بحمد الله - مع رجال العلم والدعوة إلى الله ودأبها على نصرة الإسلام وأهله وتقوم ضد من تسول له نفسه النيل من حوزة الدين أو هدم مبانيه أو يتنافى مع الشرع المطهر(١).

وفي سنة ١٣٣٩هـ عين الملك عبدالعزيز الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عودان(٢) القضاء في عسيلة وماحولها من السر ونقل سنة ١٣٥٤هـ إلى قضاء شقراء ثم عنيزة (وباشر عمله بجد وحزم وجلس للطلبة بمسجد الجامع يعلمهم أصول الدين والفروع والحديث والفرائض وعلوم العربية)(٣).

وفي عام ١٣٥٧هـ تولى فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز قضاء منطقة الخرج ولما عرف به من سعة في العلم والمعرفة فقد أخذ طلاب العلم يتوافدون عليه من داخل المملكة وخارجها وخاصة من جنوب الجزيرة العربية فلما كثروا حوله طلب فضيلته من الملك عبدالعزيز - رحمه الله - مساعدتهم فأمر ببناء مكان لهم يدرسون فيه(٤).

ومن هذه الصور الدعوية المشرقة التي قدمها القضاة، ومن الدور الخطير الذي قاموا به في مقاومة الباطل وإقرار الحق، يتضح لنا - من هذا وذاك - أن وظيفة القضاء في عهد الملك عبدالعزيز لم تعرف العزلة عن المجتمع ولا

(١) محمد بن عثمان القاضي ، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ج١ / ص٢٩٨.

(٢) ولد في مدينة شقراء عام ١٣١٥هـ وتوفي بها عام ١٣٧٤هـ، انظر البسام/ علماء نجد خلال ستة قرون، ج٢ ص٤٠١.

(٣) القاضي / روضة الناظرين ، ج١ / ص٢١٧.

(٤) الملك عبدالعزيز والتعليم، ص٧٤.

الجمود عند الأحكام والأقضية وترك الحياة تعج بالفوضى، بل مزج كثير من  
القضاة بين وظيفة القضاء ووظيفة الدعوة، وقاموا بالدورين معا، لأنهم أدركوا  
أن الهدف واحد، وإن اختلفت الوسيلة، فتقديم مجتمع العدل والحب  
والتناصح والانسجام هو الهدف الدنيوي، وتحقيق رضا الله من تحويل الحياة  
كلها إلى ساحة عبادة بكل سلوكياتها هو الهدف الأخروي، والهدفان  
لا ينفصلان.



**المطلب الثالث**  
**التعليم في المسجد**

توجد وسائل كثيرة يمكن بها تبليغ الدعوة فهناك دعوة فردية يكون الخطاب فيها موجهاً إلى شخص واحد أو فئة قليلة، وهناك دعوة عامة يكون الخطاب فيها موجهاً إلى جماعة من الناس بقصد التأثير فيهم.

والوسيلة الجيدة هي التي تصيب الهدف وتبلغ القصد، وهي إحدى العوامل المهمة التي توفر على الداعية الوقت والجهد. ويعد التعليم في المسجد من أهم هذه الوسائل باعتبار أن المسجد قلعة حصينة للتربية الإيمانية ومنطلق للدعوة إلى دين الله منذ فجر الدعوة الإسلامية.

(ويعتبر المسجد من أهم المراكز الإعلامية بين المسلمين، وهو يحقق أوثق صلة بينهم وذلك لتردهم المستمر عليه ولقائهم فيه) (١) وإن من آثار المسجد الاجتماعية إيجاد التكافل الاجتماعي بين المسلمين فالمسجد وسيلة التعارف اليومي ثم يتحول التعارف مع مرور الأيام إلى تآلف ومنه تنشأ أواصر الأخوة الإسلامية في الله. والنتيجة الطبيعية لهذه الأخوة هي وجود مجتمع مترابط منسجم كالأسرة الواحدة.

فالمسجد إذن عامل مهم في بناء المجتمع لأنه يجمع الأفراد على أهداف واضحة مشتركة.

والمسجد : كل موضع يتعبد فيه (٢) المسلمون بالصلاة؛ يشهد لذلك قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - (جعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً) (٣).

(١) محمد خير رمضان، الدعوة الإسلامية - الوسائل والأساليب، ص ١١، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(٢) لسان العرب، مادة مسجد، ج ٣/ ٢٠٤.

(٣) رواه البخاري كتاب التيمم (ج ١/ ٤٣٦ فتح الباري) من حديث جابر بن عبد الله.

وقد عظم الله تعالى مكانة المسجد ورفع شأنه في آيات كثيرة منها قوله تعالى: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال) (١) وذلك بعد قوله تعالى (الله نور السموات والأرض) (٢).

ولما كان نور الايمان والقرآن أكثر وقوع أسبابه في المساجد ذكرها منوها بها فقال "في بيوت أذن الله...". أي: يتعبد لله (في بيوت) عظيمة فاضلة هي أحب البقاع إليه وهي المساجد.  
أذن الله: أي أمر ووصى "أن ترفع ويذكر فيها اسمه".

يدخل في ذلك الصلاة كلها فرضها ونفلها وقراءة القرآن والتسبيح والتهليل وغيره من انواع الذكر وتعلم العلم وتعليمه والمذاكرة فيها والاعتكاف وغير ذلك من العبادات التي تفعل في المساجد.

ثم مدح الله عمارها فقال :

(رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) (٣).

فهؤلاء الرجال - وإن إتجروا وباعوا واشتروا فإن ذلك لامحذور فيه - لكن لاتلهيهم تلك بأن يقدموها ويؤثروها على ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم ونهاية مقصدهم فما حال بيتهم وبينها رفضوه.

وقد اخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال :

- 
- (١) سورة النور ، آية ٣٦ .
  - (٢) سورة النور ، آية ٣٥ .
  - (٣) سورة النور ، آية ٣٧ .

(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) وذكر منهم الامام العادل ورجل قلبه معلق بالمساجد) قال ابن حجر: ظاهره أنه من التعليق كأنه مشبهه بالشيء المعلق في المسجد كالتنديل مثلا، إشارة إلى طول ملازمته للمسجد(١).

ومن افضل ممن جلس في المسجد يعلم الناس الخير اقتداء بالنبي - صلى الله عليه وسلم - .

وما اعظم فضل من سلك طريقه إلى المسجد يلتبس العلم .

وقد أفرد البخاري بابا عن جواز العلم والفتيا في المسجد أشار فيه إلى الرد على من توقف فيه لما يقع في المباحثة من رفع الاصوات فنه على الجواز(٢).

وقد أثبتت التجارب أن المسجد أقدر المؤسسات التعليمية في التربية وذلك للمناخ الإيماني الذي يهيئه فهو أول مؤسسة تربية أنشئت في الإسلام، فهو أصل وغيره من المرافق فرع .

ونظرا لهذه المكانة التي يتمتع بها المسجد في المجتمع الإسلامي كان أول عمل قام به الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة هو تأسيس المسجد .

قال ابن القيم :

(فلما هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى المدينة سار حتى

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج٢ / ١٤٣ - كتاب الاذان - باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، الطبعة السلفية عام ١٣٧٩هـ تعليق الشيخ عبدالعزيز بن باز .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ج١ / ٢٣٠ - باب ذكر العلم والفتيا في المسجد .

نزل في بني عمرو بن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة وأسس مسجد قباء وهو أول مسجد أسس بعد النبوة.

كما انه شارك أصحابه في بناء المسجد وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يبني معهم وينقل الحجارة قائلا:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة . . . . . فاغفر للأنصار والمهاجرة (١)

ولم يكن بناء هذا المسجد لأداء الصلاة وغيرها من الشعائر فحسب بل إنه كان مركزا للنظر في مصالح المسلمين الدينية والدنيوية؛ فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يشاور المسلمين في المسجد وكان يعلن الجهاد وينظم السرايا منه كما كان يتفقد أصحابه فيسأل عن المتخلف منهم فإن كان مصابا عزاه وإن كان مريضا عاده.

أي أن المساجد في ذلك الوقت كانت مراكز للقيادة تجتمع فيها القلوب على الإيمان والأبدان على العبادة والعمل الصالح.

ولاشك أن رسالة المسجد تتأكد أكثر عندما تنتشر البدع والانحرافات في المجتمع . وإذا كنا نستحدث عن التعليم في المسجد كوسيلة للدعوة إلى الله في عهد الملك عبدالعزيز والتي تعد امتدادا لحركة التعليم في المساجد، تلك الحركة التعليمية الدعوية الناتجة عن الاتفاق بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود حينما بدأ الشيخ برنامجا مكثفا للتدريس لاهل بلدة الدرعية ولمن قدم عليه من البلدان الأخرى؛ حيث كانت دروس العلم في هذه المدة تتمثل في دروس في المساجد يتطوع بها العلماء أو أنشطة محدودة للكاتب.

\* \* \*

(١) ابن القيم ، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٢/٦٢ .

وعندما تعاون الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود على إقامة الدولة الإسلامية طلب الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الأمير بناء مسجد كبير ليحضر جميع رجال القرية فيه عند كل صلاة.

وكان يأمر النساء والصبيان بحضور الدرس خلف سترة عملت لذلك تحجزهن عن الرجال وكانت له مجالس عديدة في التدريس كل يوم وكل وقت.

واجتمع الناس على الصلوات والدروس والسؤال عن معنى (لا إله إلا الله) وفقه معناها والسؤال عن أركان الإسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها ومعاني قراءتها وأذكارها فتعلم ذلك الصغير والكبير والقارىء والأمي بعد أن كان لا يعرفه إلا الخاصة (١) ثم انتشر بعد ذلك في المساجد هذا النمط من الجامعات التعليمية.

وهذه الجامعات التعليمية تعتبر النموذج الخاص للتعليم والتأهيل والقضاء في العصر السعودي برمته (٢)

وهكذا نرى أن المجمع الأول في الدرعية كان نموذجا لمجامع أخرى كثيرة أهمها مجامع الرياض.

يقول ابن بشر : وأما حالهم في الدرعية فقد بنوا مجمعا حول مسجد البجيرري يسع قدر مائتي رجل وجعلوا فيه رتفا للنساء فإذا صلوا الصبح أقبلوا لهذا المجمع وفيه معاميل وقهوة ومانابها مقيوم به من بيت المال ، تــــارة

(١) ابن بشر ج١ / ١١٣ - ١١٤ .

(٢) الملك عبدالعزيز والتعليم ص ٥٥ .

يجلس فيه حسين بن الشيخ وتارة عبدالله وتارة علي ويقرأون في نسخ التوحيد(١).

وكانت الكتاتيب إحدى الروافد التعليمية للمبتدئين باعتبار القرآن الكريم الأصل الأول الذي تستنبط منه العلوم الشرعية. ثم ينتقل المبتدئ بعد حفظ القرآن الكريم إلى طلب العلم في المراكز والحلق المعدة قرب المساجد لهذا الغرض.

وكان التعليم في هذه المدة يقوم في أسسه على التربية الدينية وكانت غاية التهذيب الخلقي وإعداد الفرد إعداداً ينظم علاقته بربه وعلاقته بمجتمعه.

كل ذلك كان يتم في مجامع(٢) قرب المساجد (ثم انتقل التعليم كلياً إلى المساجد وهجرت تلك المجمعات واستعملت كمساكن لطلبة العلم الغرباء الذين كانوا يقدمون من أنحاء البلاد لطلب العلم في الرياض باعتبارها إحدى مراكز التعليم في نجد)(٣).

ومما زاد في أهمية المسجد ومكانته العلمية ان علماء الدعوة السلفية كانوا يرون وجوب صلاة الجماعة في المساجد على الرجال ويعاقب المتخلف عنها مما نتج عنه الاقبال المتزايد على المساجد لأداء الصلاة فيها وبالتالي حضور حلقات الدرس التي تعقد في المساجد بعد أداء الصلوات المكتوبة.

(١) ابن بشر ج١ / ٢٥ .

(٢) كان في الرياض مجمعان أحدهما في دخنه قرب المسجد المعروف بمسجد الشيخ عبدالله والآخر قريب من الجامع الكبير ويدعى المديرسه، (الملك عبدالعزيز والتعليم ص٧٢).

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٢ .

وهكذا أصبح المسجد أهم مصادر نشر العلم والدعوة حتى دخلت الدولة السعودية عهداً الثالث. وعلى الرغم من وجود بعض المدارس في مطلع هذا العهد إلا أنها كانت قليلة.

وقد لوحظ أن البداوة كانت من أخطر العقبات في طريق الدعوة منذ فتح الرياض، وكان على الملك عبدالعزيز أن يواجه هذه البداوة ويوظف طاقتها لخدمة الدعوة. فوفقه الله لتجربة الهجرة، لكن ما يعنيننا هنا أن الهجرة كانت خلية اجتماعية تضم إليها أعضاء متأخين في الدين ووحدة المطلب دون أي اعتبار للأعراف القبلية التي فرضت قوالبها على المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية وأقامت منه بقعا متنافرة تدب فيها المشاحنات والخصومات وتورثها الأحقاد والضغائن.

والذي يعنيننا هنا أن بناء الهجرة كان يسبقه تشييد المسجد ورفعته باعتبار أن المقصود من هذه الهجرة تهذيب النفوس وتربيتها، والمسجد خير وسيلة لتحقيق هذا الغرض.

(كان نظام الهجرة نظاماً دينياً لتربية النفوس وتهذيبها دينياً فكانت الهجرة تبنى بعدما يشاد المسجد الذي يكون مركز القوم لتأدية الصلاة عماد الدين ومركز الشورى فيما يعترضهم من أمور ومركز الإرشاد والتوعية لمحاربة الجهل) (١).

وهكذا كان التعليم في المسجد هو الأساس الذي اعتمد عليه الملك عبدالعزيز بعد الله - عزوجل - في تخليص العقلية البدوية من ترسبات

(١) عمر أبو زلام، الملك عبدالعزيز العبقري في التحرير والتوحيد والتحضير، ص ٢٨٨.



العصبية في الأعراف والمفاهيم وتوجيهها إلى خدمة الدعوة.

وقد ورد تعريف الهجر في كثير من الكتابات عن الدولة السعودية الثالثة بأنها عبارة عن مساجد تتم فيها كل الأعمال التي كانت تتعلق بمصالح المسلمين في صدر الإسلام.

وصفها فؤاد حمزة في كتابه " قلب جزيرة العرب " فقال :-  
(الهجرة من حيث الحرب والسياسة معسكرات منتشرة في أنحاء البادية والأخوان جند هذه المعسكرات يسيرون بأمر القائد عبدالعزيز بن سعود في أي وقت يشاء والهجرة من حيث الدين مساجد غاصة بأهلها ممن تركوا الخرافات والبدع وعادات الجاهلية وعرف البوادي وانقلبوا إلى الحياة الدينية الوادعة حياة الطهارة والعفاف والفضيلة والإيمان)(١).

وقد رعى الملك عبدالعزيز هذا المشروع التعليمي الكبير بعدد من العلماء وجههم لتلقين سكان هذه الهجر المبادئ والتعاليم الصحيحة للعقيدة والعمل فترك المشروع آثارا كبيرة على المجتمع السعودي إلى الآن.

(ركزت حركة المصلح الملك عبدالعزيز - رحمه الله - على طلب العلم من داخل المسجد بجانب المعاهد والمدارس ومن حينها نمت حلقات علمية كبرى في مساجد المملكة وقراها يتصدرها مشايخ وقضاة أفاضل على جانب كبير من الفقه والخلق الحسن والحرص على إخلاص العقيدة وتوثيق معلوماتهم ودعوتهم من منهلها)(٢).

(١) فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب ، ص ٣٧٩ .

(٢) محمد بن محمد الأمين الأنصاري ، ضباب على منار المسجد ، ص ٣ .

إلا أنه تجدر الإشارة إلى أنه ليست هناك مصادر كافية لمعرفة رجال العلم الذين إختارهم الملك عبدالعزيز للقيام بهذه المهمة وسوف نذكر بعض العلماء الذين اسهموا في هذا المشروع وكانت لهم صلة مباشرة بالملك عبدالعزيز وبإنجازاته في تعليم أهل هذه الهجر قريبا إن شاء الله .

ونقدم لك بعض النماذج الرفيعة التي قامت بنشاط دعوى وتعليمي في المساجد وطريقة التدريس في المسجد، وأسلوب الدعوة فيه .

ومن أبرز هذه النماذج سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - فقد شغل جل وقته في نشر العلم حيث كان يجلس في مسجد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف في حي دخنه بعد صلاة الصبح لصغار الطلاب فيدرسون عليه مبادئ النحو في الاجرومية ثم يأتي بعدهم المتوسطون في العمر ثم يأتي بعدهم الكبار بالألفية وكل واحد من هذه الطوائف الثلاث يعطيه مايناسبه من المسائل والبحث والدرس فإذا انتهت دروس النحو شرع في دروس الفقه فأخذ الطلاب يقرؤون عليه (مختصر المقنع) (١) عن ظهر قلب ثم يشرع في شرح وبيان معانيه ثم يعيدون الدرس بعد شرحه بقراءة أحدهم واستماع الباقيين، وهو يقاطع القارئ بشرح جملة وتعليل أحكام والحقا فائدة لما هو عليه من سعة في الفقه وجودة استحضار وغزارة مادة فلا ينتهون من هذه القراءة إلا وقد أشبع رغبات الطلاب بما أزاح من الإشكالات وأوضح من المعاني وصور المسائل وزاد من الفوائد .

وبعد انتهائهم من درس الفقه يشرعون في درس الحديث والكتاب المفضل

(١) كتاب زاد المستقنع في اختصار المقنع تأليف شرف الدين موسى بن احمد الحجواي المتوفي سنة ٩٦٠هـ .

لديه لتدريس أصحابه هو كتاب (بلوغ المرام) (١) لاشتماله على أحاديث الأحكام وشرحها معها فهو دليلها ومستند أحكامها ومستند تفريعها فيوضح الفاظه ويبين أحكامه ويبرز فوائده.

وكل ماتقدم من دروس الحديث والفقه والنحو في جلسة واحدة من جلساته والتلاميذ على حلقاته الكبيرة ما بين وارد وصادر وهو في مجلسه كالنبي الصافي والمورد العذب الذي لا ينضب على كثرة الواردين وازدحام الناهلين.

ثم يذهب إلى بيته فيلبث فيه بقدر ما يفرغ من حاجته الضرورية ثم يعود إلى مجلسه في المسجد فيأتيه كبارا لطلاب ويشرعون بالقراءة عليه بالكتب الكبار والمراجع الضخام ثم يعود إلى بيته ويستريح فيه حتى تحين صلاة الظهر.

وبعد الفراغ من الصلاة يقام الدرس بحضور كبار التلاميذ وصغارهم بأحد الأمهات الست (٢) وبعد الفراغ منها يقرأ عليه الطلاب في كتب العقيدة ككتب شيخ الإسلام ابن تيمية وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهما في عقائد السلف، ويستمر الدرس حتى صلاة العصر وبعد الصلاة إلى قرب المغرب وهو في جلسة واحدة لاستقبال الطلاب فوجا بعد آخر وهم ما بين كتب التوحيد أو الحديث أو الفقه أو النحو وبعد صلاة المغرب يخصص وقته لعلم الفرائض فإذا قرب العشاء شرع في درس عام فقرأ عليه القاريء تفسير ابن كثير وهو يعلق على التفسير والآيات الكريمات بما يرى الحاجة تدعو إلى ذكره وإلحاقه حتى الساعة الثانية والنصف ليلا بالتوقيت الغروبي (٣) وهكذا قد فرغ

(١) بلوغ المرام من أدلة الأحكام للأمام الحافظ احمد بن حجر العسقلاني المتوفي سنة

٨٥٢ هـ .

(٢) الأمهات الست هي صحيح البخاري، ومسلم، وسنن ابي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه .

(٣) اي بعد غروب الشمس بساعتين ونصف .

كل أوقاته وصرف جميع حالاته في خدمة العلم وتحصيله ونشره (١).

هذا وقد تخرج على يد الشيخ محمد بن ابراهيم علماء كبار مثل : الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، والشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، والشيخ عبدالرحمن بن قاسم، والشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي . . وغيرهم كثير.

ويحدثنا سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز عن حلقات التدريس في المسجد على الشيخ محمد بن ابراهيم فيقول :

(كنت ممن قرأ على الشيخ محمد بن ابراهيم ولازمته نحواً من عشر سنين فكنا نعتني بحفظ المتن لما فيها من الفائدة العظيمة فقد كانت هناك مقولة مشهورة مضمونها : ليس العلم بما حواه السطر . . ما العلم إلا ماوعاه الصدر هذا باعتبار أن حفظ المتن أساس عظيم للانتفاع بالعلم حيث ان افتقار حفظ هذه المتن قد يضعف التماس المسائل ودليلها من مظانها والحفظ مما يعين الطالب على العمل .

وكانت مجالس الشيخ عامرة بالعلم والتوجيه للخير والحرص على العمل الصالح والأمر بالمعروف والنصح لله ولعباده والإجابة عن أسئلة الطلبة مع العناية بالدليل والترجيح فجراه الله خير الجزاء (٢).

(ولا يزال الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله يقدم خدمات جليلة للمسجد حيث كانت حلقاته العلمية والإفتاء والمحاضرات والندوات في المساجد وهي جزء من حياته المباركة وقد استفاد منها خلق كثير من طلاب العلم وخاصة من الشباب الذين هم في حاجة إلى توجيه من داخل المسجد حتى ولو كان مؤهلاً من الجامعات) (٣).

(١) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج١ / ٨٩ - ٩٠ .

(٢) شريط مسجل للشيخ عبدالعزيز بن باز بعنوان (في طريق الدعوة) .

(٣) محمد الأنصاري ، ضباب على منار المسجد ، ص ٣ .

ولما كان المسجد الحرام أشرف المساجد على الإطلاق فإنه لما تم للملك عبدالعزيز توحيد المملكة كان عليه أن يهتم بتطوير التدريس في الحرمين ومعالجة ما أصابه من ضعف خلال الحكم السابق.

فعندما دخل الملك عبدالعزيز مكة سنة ١٣٤٣هـ أصدر نظاما جديدا للتدريس في الحرم المكي (١) اشار هذا النظام في بدايته إلى الحالة السيئة للتدريس في المسجد الحرام حيث جاء فيه: (أما بعد: فإن غالب العلماء بالمسجد الحرام لما اشتغلوا عن التدريس وتعليم الطلبة الكرام لضيق معيشتهم وكثرة عيلتهم حتى خشى مع ذلك أن يقل التدريس والمدرسون بل خيف مع ذلك أن يضمحل العلم والمعلمون ويتولى رؤوس جهال على المسلمين ويكثر الضلال فقد أصدر أمير مكة أمره بتشكيل لجنة من خمسة عشر عالما وكاتبا ومفتشين من العلماء ليحيا بهم العلم بالمسجد الحرام وليرتب لهم في الحال ذلك الذي عينه لهم من المال معاشا شهريا يكون معينا لهم على معيشتهم وباعثا لهم على فراغهم للقيام بوظيفتهم وبتدوين نظام جديد يكون ضابطا لمرام الدولة) (٢) إلا أن هذا النظام لم يحقق الغرض إذ أنه ركز على تنظيم النواحي الإدارية والمالية أكثر من تنظيم وتحسين عملية التدريس.

وفي ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ صدر الأمر الملكي مصدقا على ما يأتي:  
(أمر الملك عبدالعزيز بتأليف لجنة علمية برئاسة سماحة الشيخ عبدالله بن بليهد وعضاؤها فضيلة مدير المعارف العمومية (٣) ومدير المعهد الإسلامي السعودي ومدير معهد الفلاح ونائب رئيس القضاة وتدعى هذه الهيئة العلمية).

- (١) كان هناك نظام اصدره حسين بن علي سنة ١٣٣٢هـ وهو مطبوع على نفقة الشيخ محمد ماجد الكردي والذي عين وكيلا للمعارف فيما بعد كان هذا النظام يركز أساسا على تحديد مراتب واستحقاقات المدرسين (الملك والتعليم ص ١٤١).
- (٢) ام القرى العدد (٣٤) الصادر في ٣٠ محرم سنة ١٣٤٤هـ.
- (٣) افتتحت مديرية المعارف في رمضان سنة ١٣٤٤هـ.

ويقرر النظام أن وظيفة هذه اللجنة الإشراف على سير الدروس في الحرم المكي وانتقاء الكتب النافعة وتعيين الأساتذة المشهود لهم بالكفاءة وحسن السيرة والسير على طريقة السلف الصالح وبالتدقيق في بنود هذا النظام نلاحظ أنه اهتم أساساً بمضمون التدريس في الحرم وذلك على النحو التالي :

١ - يقرأ فقه المذاهب الأربعة والعلوم العربية بكرة وأصيلاً ودرس التوحيد والتفسير والحديث والوعظ بين العشائين .

٢ - يجب على المدرسين أن يبينوا في أصول العقائد ومباحث الصفات مذهب السلف الذي أجمع عليه أئمة أهل السنة على أنه أسلم المذاهب وأحراها بالقبول .

٣ - يجب على المدرسين أن يبينوا للناس في أثناء دروسهم أنواع البدع التي شوهت سمعة الدين الحنيف وأنواع الخرافات التي أخرت المسلمين وهبطت بهم إلى الحضيض (١) .

كما رأى الملك عبدالعزيز ضرورة الاستعانة بالكفاءات المختلفة من العلماء في بلاد العالم الإسلامي لتطوير التدريس في الحرم والنهوض بمستواه .

(ولم يمر عام على هذا النظام حتى شكل الملك عبدالعزيز هيئة لرئاسة القضاء سنة ١٣٤٦هـ أوكلت إلى الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ والذي كلف بحكم وظيفته ومكانته العلمية بالإشراف على التدريس في الحرم وتحددت العلوم التي تدرس في الحرم) (٢) .

(١) الملك عبدالعزيز والتعليم ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) جريدة أم القرى بعدها رقم (١٨٥) الصادر في ١٨/١/١٣٤٧هـ .

ويعتبر ظهور الأنظمة الجديدة للتدريس في الحرم الشريف إعلاناً عن خطوات الملك عبدالعزيز في تكوين النهضة العلمية الجديدة حيث بدأ بإعادة تنظيم التدريس في أقدس بقاع الأرض وأكثرها تأثيراً في نفوس المسلمين .

حقاً إن المسجد مدرسة يوم أغفلها المسلمون فتحو أبواباً كثيرة للجهل والامية وبدأ الرباط الوثيق بين الجماعة المسلمة من حول المسجد يتفكك ويتقطع إلى أوصال لا يعرف بعضها بعضاً غير أنه يجب التأكيد على أنه إذا فقدت ريادة المسجد فإنه لن تستطيع الجامعات ولا المعاهد ولا المحاكم ولا المحاضرات أو المؤتمرات أن تعوض عن المسجد .

إن المسجد جامعة حضارية فوق كل الأكاديميات يمكن أن تسترجع ما فقدناه إذا أخلصنا ما بيننا وبين الله عزوجل استجابة لقوله تعالى (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (١) .

وكما نرى من العرض السابق فإن العلماء الذين اشتغلوا بالتدريس في المساجد لم يقفوا عند حد الاستظهار والتلقين والتعليم، بل كانت الدعوة مقصدهم الأسمى، وبالتالي فهم لم يخرجوا فقهاء أو متخصصين وإنما خرجوا أئمة هدى ودعاة خير وأمثلة حية للعمل في سبيل الله، من خلال خدمة الأمة الإسلامية ونشر الثقافة الإسلامية الصحيحة . . . لقد كان المسجد الذي تولى الوظيفة الدعوية ولاسيما المسجد الحرام جامعة حضارية لبناء الإنسان المسلم بالمعنى الشامل لهذا المصطلح الكريم .

**المطلب الرابع**  
تعيين الأئمة والخطباء في المساجد للدعوة



ان استعراض واقع الدعوة في أنحاء الجزيرة العربية قبيل الملك عبدالعزيز وخلال سنوات التوحيد يؤكد أن السمة السائدة لنشر مبادئ الدعوة هي إتباع الأسلوب التقليدي داخل نموذج قديم لمدرسة المسجد والكتاب.

والحقيقة أن هذا الأسلوب قد حافظ على قدر كبير من آثار الدعوة السلفية والتراث العلمي القديم فضلا عن تخريجه مجموعة من العلماء والقضاة.

فالمسجد هو القاعدة التي تنطلق منها رسالة المؤمن وفيه تتحقق العبودية بمعناها الصحيح. وهو المدرسة التي تربي المسلم من جميع الجوانب - علما وعملا، وشجاعة وجهادا وتواضعا لله - وبذلك أثر المسجد في الرعييل الأول. فكانوا مصليين وقادة فاتحين منتصرين.

ومن أهمية المسجد تنبثق أهمية الامامه فيه فهي مسؤولية كبرى أولاها الاسلام عناية فائقة دل على ذلك الشروط التي أفاض الفقهاء في شرحها وذهبوا إلى وجوب توفرها في الامام وهي ليست مجال البحث.

ولا يقتصر دور الائمة في المسجد على إمامة المصلين في الجماعات وخطبة الجمعة بل يكون لهم دورهم في التثقيف والتربية والتعليم وذلك لعقد الندوات والمحاضرات التي تتعرض لمشاكل العصر والتي يتعرض لها المسلم وتوضيح موقف الاسلام من هذه المشاكل.

والإمامة درس عملي في حسن الاقتداء قال شيخ الاسلام ابن تيمية: لقد كانت سنة المصطفى وسائر خلفائه الراشدين ومن سلك سبيلهم من ولاة الأمور في الدولة الإسلامية أن الأمير هو الذي يكون إماما في الصلاة والجهاد وكان - صلى الله عليه وسلم - إذا بعث أميرا على حرب كان هو الذي يتولى إمامة

الصلاة، وكذلك إذا استعمل رجلاً نائباً على مدينة، كان نائبه صلى الله عليه وسلم هو الذي يصلى بهم ويقوم فيهم الحدود، وكذلك خلفاؤه بعده، ومن بعدهم من الأمويين وبعض خلفاء العباسيين وذلك لأن أهم أمر الدين الصلاة والجهاد(١).

فالإمام مرتبة عالية وفضيلة ظاهرة لا يستحقها إلا من هو أهل لها بالعلم والعمل.

ولاشك أن وجود الإمام الصالح الحافظ لكتاب الله الفاهم للإسلام والشريعة وقضاياها فهما صحيحا يسهم في خدمة الدعوة إلى الله.

فهي وظيفة من أداها باخلاص على الوجه المشروع استحق أن يكون وريث الأنبياء كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (العلماء هم ورثة الأنبياء ورثوا العلم من أخذه من أخذ بحظ وافر)(٢).

هذا ويعتبر الإمام قدوة للناس وغير خاف على أحد أثر القدوة الطيبة من تأثير حسن في التربية والسلوك.

ولا يفوتنا أن ننوه هنا إلى أهمية صلاة الجمعة وخطبة الجمعة التي أحاطها الإسلام بسياج من الأهمية وصل إليها إلى درجة أنها واجبة وركن في أداء صلاة الجمعة والزم المسلمين الإنصات لها وكأنهم في صلاة "إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت - والإمام يخطب - فقد لغوت"(٣).

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ج ٢٨/٢٦٠.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج ١ ص ١٦٠ طبعة السلفية.

(٣) أخرجه الإمام البخاري من حديث أبي هريرة (ج ٢/١٤٤ فتح الباري).

قال الحافظ وروى أحمد عن علي رضي الله عنه (من قال صه فقد تكلم ومن تكلم فلا جمعة له)، وانظر المسند ١/١٣٠.

وأمر المسلمين في وقتها أن يتركوا كل عمل سواها بل حرم في وقتها البيع والشراء وكل المعاملات.

قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع" (١).

قال الشيخ السعدى : يأمر تعالى عباده المؤمنين بالحضور لصلاة الجمعة والمبادرة إليها من حين ينادى لها . والسعي إليها أي المبادرة والاهتمام بها وجعلها أهم الأشغال .

(وذروا البيع) : أي اتركوا البيع إذا نودى للصلاة وأمضوا إليها فإن (ذلكم خير لكم) من اشتغالكم بالبيع أو تفويتكم لصلاة الفريضة التي هي من أكد الفروض .

وهذا الأمر بترك البيع مؤقت مدة الصلاة . (٢) .

فخطبة الجمعة شأنها عظيم في الدعوة إلى الله فهي حدث هام وعنصر من عناصر تربية الأمة الإسلامية جدير بالعناية وخليق بأن يهتم المسلمون به .

قال ابن القيم : "إنه يوم اجتماع الناس وتذكيرهم بالمبدأ والمعاد وقد شرع الله سبحانه وتعالى لكل أمة في الأسبوع يوماً يتفرغون فيه للعبادة ويجتمعون فيه لتذكيرهم بالمبدأ والمعاد والثواب والعقاب ويتذكرون اجتماعهم يوم الجمع الأكبر قياماً بين يدي رب العالمين .

وكان أحق الأيام بهذا الغرض المطلوب اليوم الذي يجمع الله فيه الخلائق وذلك يوم الجمعة ، فادخره الله لهذه الأمة لفضلها وشرفها فشرع اجتماعهم فيه

(١) سورة الجمعة ، الآية (٩) .

(٢) الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدى ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج٧/ص٢٨٢ .

مع الأمم لنيل كرامته فهو يوم الاجتماع شرعا في الدنيا وقدرنا في الآخرة ولما خلق الله السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وتعرف بذلك إلى عباده على السنة رسله وأنبيائه شرع لهم في الأسبوع يوما يذكرهم فيه بذلك وحكمة الخلق وما خلقوا له في السموات والأرض وعود الأمر كما بدأه سبحانه وعدا عليه حقا وقولا صدقا" (١).

### جهود الإمام في الدعوة إلى الله :

يلزم في امام المسجد ان يكون قدوة سالحة لمن حوله ليؤدي دوره في الدعوة باعتبارها أهم الأعمال التي ينبغي أن يقوم بها في المسجد .

وفي خطبة الجمعة والعيدين مجال واسع لدعوة الناس وتوجيههم إذا أحسن الإمام استغلالها . لهذا جعل الإسلام خطبة الجمعة تتكرر كل أسبوع تلبية لحاجة الناس إلى الإرشاد والعلم كما جعل خطبة العيد في العام مرتين ليتسنى للخطيب طرح الحلول المناسبة لمشاكل الناس وما يتطلبه واقع المسلمين ، فالخطابه تعتبر أعظم وسيلة قولية لتبليغ الدعوة إلى الناس حيث يمكن للخطيب استمالة المدعوين وإقناعهم بما يدعوهم اليه فيملك قلوبهم ويشد انتباههم إلى محاسن الدين وأهمية التوحيد .

قال ابن القيم رحمه الله :

(ومن تأمل خطب النبي صلى الله عليه وسلم وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحبهم إليه فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحبهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبه وأحبهم .

(١) زاد المعاد ، ج١ / ص ١٤٤ .

لا كخطب عصرنا التي تفيد أمورا مشتركة وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيمانا بالله ولا توحيدا له ولا معرفة ولا بعثا للنفوس على محبته فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسّم أموالهم ويبلّى التراب أجسامهم فياليت شعري اي ايمان حصل بهذا وأي توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به(١) .

ونظرا لاهمية الخطابة فقد حظيت بعناية المؤلفين(٢) لمالها من أهمية بالغة في الدعوة إلى الله .

واهتم العلماء وولاة الأمر بإعداد هذه الوسيلة الهامة فضمنوها مناهج الدراسة في دور العلم والمعرفة .

ويجب أن يكون الخطيب ذا ثقافة واسعة في الدين والاجتماع والتاريخ والأدب وغير ذلك من المعارف حتى يملك قلوب الناس بحسن الفاظه وصدق تعبيراته وجودة القائه .

أما القاء الدروس والمحاضرات والندوات في المسجد سواء قام بها امام المسجد أو غيره من العلماء فتأثيرها في نجاح الدعوة كبير .

(ومن أهم مزايا الدرس أنه اكثر فائدة من الخطبة والمحاضرة والندوة حيث يستطيع المشارك في حضور الدرس أن يسأل ويستفسر عن كل مايجول بخاطره أو يشكل عليه وبذلك تكون فائدته أعمق وأدق لقرب المدرس من الطلاب وافساحه المجال لهم بالسؤال والتعليق والاضافة) (٣)

(١) ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج١ / ص ١٤٥ .

(٢) مثل الشيخ على محفوظ مؤلف كتاب (الخطابة) وهداية المرشدين - والشيخ محمد ابي زهرة مؤلف كتاب (الخطابة أصولها وتاريخها عند العرب) والدكتور محمد طاهر دويش مؤلف كتاب (الخطابة في صدر الاسلام) .

(٣) راجع في ذلك البيه الخولي ، (تذكرة الدعاء) ، ص ٤٨٥ .

أما المحاضرة فهي مجال رحب للدعوة الى الله تعالى، من خلالها يستطيع: إمام المسجد أن يستقطب جمهورا كبيرا ويؤثر فيه اذا قام بهذا الأمر كما ينبغي ويكون تأثيرها أكبر لو اختار المواضيع المناسبة للزمان والمكان واختار العلماء المتخصصين.

والندوة لا تقل في الأهمية عن المحاضرة وفائدتها إلا أنها تختلف عنها قليلا، فالندوة يكون المتحدث فيها أكثر من واحد فتعم الفائدة جمهور المستمعين وغالبا تكون هناك توصيات وقرارات تعرض على الحاضرين للموافقة عليها نتيجة لما أسفرت عنه المناقشة وان تعدد المتحدثون في الندوة دفعا للملل وتعميما للفائدة حيث يأتي المتحدثون على كل جوانب الموضوع محل الندوة.

وهكذا تتضح لنا أهمية الخطب والدروس والمحاضرات والندوات ودورها في دعوة الناس وتوجيههم؛ لذا كان على إمام المسجد ان يحرص على عقد الدروس والمحاضرات والندوات وأن يدعو إليها من علماء الأمة ومفكريها من يستطيع التأثير على الناس ودعوتهم الى طريق الصلاح والهدى.

وهكذا يؤدي حضور الجمعة والجماعة إلى تعميق المعرفة الدينية ويتأثر سلوك الفرد بالجماعة. ويؤثر فيها؛ وذلك أن المسلم يسلك داخل جماعته الاسلامية سلوكا ينسجم مع قيم هذه الجماعة ومثلها العليا.

ونظرا لأهمية الإمامة فإن الدولة السعودية - منذ نشأتها كانت حريصة على تدعيم هذا المرفق الهام فقد اهتمت بتعيين الأئمة والخطباء فكانوا رجالها في مجال نشر الدعوة السلفية وتثبيت أركانها في المجتمع.

فمثلا عندما دخل سعود الكبير الاحساء سنة ١٢١٠هـ وامتدت حركة الدعوة السلفية الى الاحساء نقل لنا ابن بشر مايلي :

(أقام سعود قريبا من شهر ورتب أئمة المساجد وأمرهم بالمواظبة على الصلوات وإقامة الجمع والجماعات ونادى بإبطال جميع المعاملات الربوية وما خالف الشرع.

ورتب سعود الدروس وجعل فيهم رجالا علماء يعلمونهم التوحيد ويذاكرونهم ويعلمونهم أصول الإسلام(١).

ومع إشراقة الدولة السعودية الثالثة كان أغلب المساجد بدون أئمة لقلة الدعاة وازدادت حدة المشكلة مع توالي الفتوح وتوحيد البلاد فقد اتسعت رقعة الدولة وازداد عدد المساجد بالإضافة الى مساجد الهجر الجديدة فكان على الملك عبدالعزيز أن يواجه هذه المشكلة وقد انتهج الملك عبدالعزيز في هذا المجال عدة تدابير منها :-

١ - شغل المساجد الكبرى بأئمة وخطباء غير متفرغين ممن كانوا يشغلون مناصب القضاء والتدريس وغيرها وذلك لما كان يتمتع به شاغلو هذا المناصب من درجة كبيرة من العلم، فقد كان هؤلاء العلماء يوقظون بمواعظهم القلوب ويكشفون عن الشبهات ويدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وكانت لهم خطا ثابتة في نشر العلم ومكافحة الجهل المنتشر في ذلك الوقت.

والمتمثل في سيرة العلماء الذين جعلهم الملك عبدالعزيز أئمة في مساجدهم يجد أن معظم هؤلاء العلماء قضوا حياتهم في نفع العباد ونشر العلم لوجه الله.

منهم الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ(٢) فقد عينه الملك عبدالعزيز اماما في مسجد والده الامام عبدالرحمن آل فيصل فاستمر اماما وواعظا ومدرسا في هذا المسجد وقام بذلك خير قيام.

(١) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ١ / ص ١٢٩ .

(٢) انظر التعريف بهذا العالم في الباب الأخير مع أشهر الدعاة

كما كان رحمه الله إماما للملك وقاضيا للجيش وواعظا ومرشدا ولما استتب الأمر في الحجاز في مدنه وقراه جعله الملك عبدالعزيز اماما وخطيبا في المسجد الحرام سنة ١٣٤٤هـ وكما أسند إليه الملك عبدالعزيز منصب رئاسة القضاة ورئاسة الأمر بالمعروف كما أسند إليه تعيين الأئمة في المساجد واختيارهم، كما جعل المشرف العام على أحوال المسجد الحرام والمدرسين والوعاظ فيه وتعيينهم وتوجيههم.

فعمرت المساجد والخطب وقام بالتدريس والوعظ في المسجد الحرام على أحسن ما يرام من تقرير عقائد السلف وتدريس مذهب أهل السنة والجماعة مع سائر العلوم الشرعية والعربية (١).

وعين الملك عبدالعزيز الشيخ سعد بن عتيق إماما في جامع الرياض الكبير، وفي هذا المسجد الواسع عقد له حلقتين للتدريس إحداها بعد طلوع الشمس حتى امتداد النهار والثانية بعد صلاة الظهر.

وكان حريصا على ما يلقى من الدروس شديد التثبث لمعنى ما يقرأ عليه فلا يلقى درسه ولا يسمعه من الطالب حتى يراجع فيه شروحه وحواشيه وما قاله العلماء فيه وضبطه لغة ونحوها وصرفا حتى يحضر الدرس تحريرا بالغا لذا أقبل عليه الطلاب واستفادوا منه فوائد جليله (٢).

وهكذا قامت الدعوة في كل بلد على كبار العلماء فيه وتحت رعايتهم.

٢ - إنشاء المؤسسات التعليمية التي تكون نواة لتخريج أئمة مؤهلين مثل إنشاء دار التوحيد في الطائف سنة ١٣٦٤هـ.

(وليس هناك شك في أن الذي سعى إلى تأسيس دار التوحيد هو الملك عبدالعزيز، وكان يهدف إلى تأسيس معهد ديني يخرج شبابا عقائديا

(١) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ١ / ص ٨٢ - ٨٤ .

(٢) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ١ / ص ٢٦٧ .



مؤهلين لوظائف القضاء والتعليم والعمل في السلك الحكومي والوظائف الدينية . لاسيما وأن المملكة في بداية تأسيسها كانت في أشد الحاجة إلى مثل هذا النوع من الرجال .(١)

٣ - أسند إلى رئاسة القضاء الشرعي المهام المتعلقة بالمدرسين في المساجد . حيث نص نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي(٢) على مايلي :-

(جميع المدرسين الرسميين في المساجد يكون تعيينهم وفصلهم وتنقلاتهم وغير ذلك من اختصاص رئاسة القضاء)(٣)

وكان من حق رئاسة القضاء مراقبة الدروس بحيث لا يقر فيها ما يخالف العقيدة ويتنافى مع الشرع الحنيف .

ويتضح من ذلك أن عملية تعيين الأئمة والخطباء قد دخلها شيء من التنظيم فقد أصبح هناك مدرسون رسميون للمساجد بدلا من المتطوعين .

٤ - توجيه الاهتمام بأحوال الأئمة : فانه نظرا لتطور الظروف المعيشية وجب أن يمنح القائمون بوظيفة الإمامة والخطابة والدعوة إلى الله الحقوق المادية التي تؤهلهم للتفرغ الكامل لوظائفهم وتضمن لهم المعيشة الكريمة الهادئة فلا يشغلون بمعاشهم ومعاش أسرهم عن التفرغ لمهامهم .

ويأتي في مقدمة هذه الحقوق ان يلحق بكل مسجد دار تعد لإمام المسجد لتسهيل له مهمته للإمامة في كل الصلوات وفي الحر والبرد . ولنا

(١) ابوراس / الديب ، الملك عبدالعزيز والتعليم - ص ٢٠٤ .

(٢) صدر في ١٣٧٢/١/١٤ هـ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فقد كانت حجرات نسائه ملاصقة للمسجد وأبوابها شارعة إليه . وقد تنبه الملك عبدالعزيز لهذه الناحية فلما زادت موارد الدولة نتيجة تدفق البترول شرع يخصص رواتب للأئمة ويشترى لهم البيوت وبأيدينا مخطوطة تتضمن خطابا من الملك عبدالعزيز الى الشيخ حمد بن عبدالمحسن التويجري يكلفه بشراء بيوت للأئمة والمؤذنين (١) .

ومن اهتمامه أيضا ترتيب أئمة في المساجد يعينون بصفة ثابتة ودائمة ، فقد ورد في أحد كتبه : من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل الى عبدالله بن ناصر إن شاء الله تستقيم عند جماعتك تصلى بهم ، وتعلمهم قراءة القرآن وتعلمهم أوامر دينهم .

(٢) (١٣٣٨/١١/٢٦هـ)

وفي كتاب آخر ورد قوله : (من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل الى عبدالله بن ناصر توكل على الله وانحر (٣) إخوانك ابن ضمنه وجماعته واستقم عندهم تصلى بهم وتعلمهم أمر دينهم .

(٤) (١٣٤٢/١/٢٨هـ)

ولقد كان لإمام المسجد في عهد الملك عبدالعزيز دور كبير في الدعوة خاصة بعد تأسيس الهجر سنة ١٣٣٠هـ فقد كانت لهم إسهامات في مجال الدعوة نتيجة لاتصالهم بالناس في اليوم خمس مرات .

(١) المخطوطة بدارة الملك عبدالعزيز برقم (٧١٩) .

(٢) من وثائق الملك عبدالعزيز ص ٧٧

(٣) اصدار المهرجان الوطني للتراث والثقافة (٦٠) ١٤١٠هـ - الحرس الوطني .

(٤) انحر : توجه

(٤) من وثائق الملك عبدالعزيز ، ص ٩١

(٤) اصدار المهرجان الوطني للتراث والثقافة (٦٠) ١٤١٠هـ - الحرس الوطني .

ولم يقتصر دور الامام في هذه الفترة على مجرد الإمامة في الصلاة بل إن الإمام كان مرجعا للجماعة في المسائل الدينية حتى كانوا يسألونه عما يشكل عليهم كما كان الإمام في ذلك الوقت يقوم ببعض اعمال الحسبة بالإضافة لعمله الأساسي في الإمامة والخطابة والوعظ والتدريس والتصدي لافادة الطلاب والعامه حيث كان لمعظم الأئمة دروس خاصة للطلاب ودروس عامة لسائر الناس .

وكان الأئمة لهم نشاط كبير في الدعوة حيث كانوا يستغلون فرصة إقبال الناس على الدين فنشطوا في تثقيف العامة ونشر العلوم الدينية وكان من عادة الأئمة في أغلب المساجد عقب صلاة الفجر أن يختار أحد الحاضرين ويسأله عن ثلاثة الأصول (١) :

من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

وهكذا يخصصون المسائل الضرورية بمزيد العناية وكثرة المراجعة كما كان لإمام المسجد درس يومي عقب صلاة العصر وغالبا مايكون في رياض الصالحين (٢) أو الترغيب والترهيب (٣) ودرس آخر قبل صلاة العشاء يكون في تفسير ابن كثير (٤) أو السيرة النبوية . وكانوا يتخولون الناس بالموعظة كراهة الملل ويزداد نشاطهم في الدعوة مع مواسم الخير كشهر رمضان وكان على المؤذن أن يتفقد جماعة المسجد ومعرفة المتخلف عن الصلاة حتى يؤديوا حقه في العيادة إن كان مريضا أو المواساة ان كان مصابا أو مجازاته ان كان متخلفا بغير عذر وذلك بإذن الإمام .

- 
- (١) ثلاثة الاصول : للشيخ : محمد بن عبدالوهاب رحمه الله استنتجها من فتنة القبر  
واسئلة الملائكة لأهلها . طبع عدة مرات .  
(٢) رياض الصالحين : الإمام النووي .  
(٣) الترغيب والترهيب : المنذري .  
(٤) تفسير القرآن العظيم : ابن كثير .

وكان الأئمة والخطباء يرجعون إلى بعض الكتب والدواوين الوعظية في  
خطب الجمعة والأعياد وأشهرها في ذلك الوقت ديوان الشيخ عبدالله بن حسين  
المخضوب (١).

أما بالنسبة لراتب الامام فإنه في البلدان الكبيرة غالباً ما يكون هناك وقف  
على المسجد ينفق منه على المسجد وإمامه وأما المساجد في البلدان الصغيرة  
التي ليس لها أوقاف فإن كان الإمام غنياً عمل تطوعاً وإلا جعل له جماعة  
المسجد راتباً.

وأما بالنسبة للهجر التي أنشئت في ذلك العصر وهي كثيرة فكان إمامهم  
قاضياً مكلفاً من قبل الملك عبدالعزيز. فإن لم يكن هناك قاضٍ طلبوا من  
الملك عبدالعزيز إماماً (مطوعاً) فيرسل لهم من يقوم بذلك مثل هجرة آل  
عاطف حينما طلب أميرهم من الملك مطوعاً فأرسل لهم الشيخ صالح بن  
مطلق رحمه الله (٢) وكان له مرتب سنوي من بيت المال يصرف عادة من  
الزكاة تمراً أو قمحاً ونحوه.

ولما تدفق البترول وازدادت موارد الدولة رتب الملك عبدالعزيز الرواتب  
للأئمة واهتم بأحوالهم المعيشية.

وهكذا كان للملك عبدالعزيز يد طولى في تنظيم تنصيب الأئمة والخطباء  
للوخطب والارشاد والتوجيه وإمامة الناس في الصلاة. وقد أصبحت الإمامة وظيفة  
ثابتة لها مخصصات وعليها واجبات وللقائم بها حقوق مادية ومعنوية.  
وبالتأكيد فقد مكن هذا التطور من تحقيق أهداف المسجد، وأهمها الدعوة إلى  
الله بالعبادة والوعظ والتوجيه. في عصر أصبح لا يكفي فيه الاعتماد على  
الأعمال التطوعية.

(١) من علماء الخرج ولد سنة ١٢٣٠هـ وتوفي سنة ١٣١٧هـ، من قبيلة بني هاجر.

(البسام، علماء نجد ٢/٢٥٣)

(٢) ولد سنة ١٣٠٧هـ وقرأ على مجموعة من العلماء، عين إماماً مرشداً لهجرة الرين

الوسط عام ١٣٦١هـ، توفي عام ١٣٨٥هـ (اتحاف اللبيب ص ١١٨).

**المطلب الخامس**  
ارسال العلماء والدعاة الى البوادي والهجر

لاستطيع دعوة أن تؤتي أكلها ما لم تساندها برامج تربوية منهجية  
تدرجية وذلك شيء تحتاج إليه كل دعوة.

فالدعوة لاتؤمن بإصلاح جزئي إنها تعتمد إلى الحياة البشرية باجزائها  
وأبعادها وأعماقها فتقلبها وتعطي خطة جديدة لحياتها الاجتماعية ولذلك فإن  
الأمر يقتضي برنامجا تربويا تدريجيا لا يقل أهمية عن الدعوة.

وهذه المرحلة - بعد فتح الرياض - من تاريخ الدعوة في المملكة والتي هي  
بمثابة وضع الأساس للدولة الإسلامية المنشودة هي أشق مراحل الطريق وإن لم  
يبرز لها كيان ظاهر شأنها شأن أساس أي بناء.

وكلما كان الأساس صلبا ومتينا ظل صامدا لاتؤثر فيه معاول الباطل ، وكان  
أدعى إلى استقرار البناء عليه مهما علا وارتفع.

هذه القاعدة الصلبة تتمثل في إعداد جيل مؤمن استحوذت عليه العقيدة  
الإسلامية فملك عليه حياته وسخر لها كل طاقاته وإمكاناته حتى تكون كلمة  
الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

وهذه القاعدة الدعوية كانت إحدى الدعائم التي سار عليها الملك  
عبدالعزیز فعندما عاد إلى الرياض شعر بعظم المسؤولية التي أوكلتها الدعوة  
السلفية إليه لذلك رأى الملك عبدالعزیز - والدعوة في طورها الأول - أن يوجه  
اهتمامه إلى البناء الداخلي لإيجاد جبهة منيعة قادرة على الصمود في وجه  
أعداء الدعوة.

ومعلوم ان البدوي الذي يواجه التحدي من جانب البيئة ومناخها - صفاته  
خشنة وطباعه غليظة أصعب من الحضري وأشد تمنا في قبول الأوامر

والاستكانة للتعالم مما جعل تهذيبه وتعليمه من المشاكل الكبرى، (وقد حل الملك عبدالعزيز هذه المشكلة بطريقة لم يسبقه إليها أحد من ملوك العرب قديما أو حديثا فهو من هذا القبيل المصلح الأكبر في العرب (١) أجل قد حارب البدو وغلبهم كما فعل أجداده وأدخلهم في دين التوحيد كما فعل أسلافه ولكنه لم يقف مثلهم عند هذا الحد، بل قال سنعطيهم أرضا ونساعدهم في بناء البيوت) (٢)

وقد كان عام ١٣٣٠هـ هو بداية استيطان البدو وبداية التنظيم الجماعي الجديد في حياة الحل والترحال وعام جمع قلوبهم على عقيدة التوحيد. وقد اختط أول هجرة في قلب التجمع القبلي في شمال القصيم مابين شمر الجبل وبدو القصيم وبدو الأحساء، وعلى الطريق المؤدية إلى الكويت أسس هجرة الأرتاوية (٣) وسكنها أحد رؤساء حرب هو سعيد بن مشيب ثم أعطيت لفصيل الدويش زعيم قبيلة مطير وأحد قادة الإخوان) (٤)

وبالرجوع إلى كتابات بعض المؤرخين عن الهجرة نجد أنهم يعتبرون الهجرة مجرد مشروع زراعي أو حركة للتوطين وهذا يقلل من أثر الجهود التي قام بها العلماء والذين أرسلهم الملك عبدالعزيز لهذه الهجرة.

- 
- (١) الحقيقة أن الفكرة كانت موجودة في حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأن هناك اشارات تؤكد أنه دعا المؤمنين إلى الهجرة اليه حيث جرى تحويلهم الى عقائدين. وقد ورد في كتاب (الأصول الثلاثة) أن الهجرة قائمة إلى قيام الساعة، إلا انه لم يتم تنفيذ انشاء فكرة الهجرة بشكل كبير إلا في عهد الملك عبدالعزيز.
- (٢) عمر أبو زلام ص ٣٨٧ ، انظر: عبدالعزيز آل سعود العبقريّة في التحرير والتوحيد والتحضير.
- (٣) سميت الأرتاوية لان الأرتي مرعى الابل المعروف بكثرة في جوارها (انظر: الريحاني تاريخ نجد الحديث ، ص ٢٦٢ .
- (٤) وقع الخلاف بين المؤرخين حول أول هجرة وسنة تأسيسها وزعيمها والأشهر أنها الأرتاوية سنة ١٣٣٠هـ وكانت لفصيل الدويش.

فإن الحقيقة التي تستند على الواقع وعلى روايات المعاصرين لهذه الهجرة وعلى كتابات المحققين المحللين لهذا المشروع تؤكد أن الهجرة كانت هجرة بالمعنى الديني غرسها علماء الدعوة في قلوب البدو مما جعل من هذه التجربة ظاهرة لم تتكرر منذ عصر النبوة.

فالبدوي الذي يواجه تحديا من جانب البيئة - أكبر من أن يقاوم - لكنه استطاع - بفضل الله - ثم بجهود علماء الدعوة أن يقهر تأثيرات هذه البيئة على سلوكه لأنه ما كان أحد يستطيع أن يخرج من سلطان هذه البيئة إلا العقيدة.

لقد نجح الملك عبدالعزيز في ربط مشروعه للامساك بالقبائل البدوية المتنقلة بإحياء العقيدة الصحيحة.

(وأن شخصية الملك عبدالعزيز هي التي اعطت الدفعة القوية لهذا التحول العظيم وأحاطته بمقتضيات النجاح لهذا العمل الكبير وهي التي جعلته يعين المرشدين بمقتضيات النجاح لهذا العمل الكبير وهي التي جعلته يعين المرشدين لتعليم هؤلاء الرحل الزراعة والرعي إلى جانب المطوعين لتعليم أسس العقيدة الصحيحة.

ليس هذا فحسب بل إنه رأى أن من مقتضيات النجاح الاهتمام بتعليمهم لغتهم العربية التي هي لغة القرآن.

كما وجه العناية ببناء المساجد لعلمه أن الصلوات الخمس هي أهم رابط لهؤلاء السكان كما أنها ستوفر رقابة مستمرة للمطوعين على هؤلاء البدو(١).

(والبدوي ليس وحده الذي يتأثر بالعقيدة، فالإنسان لا يضحى ولا يستشهد إلا في ظل قناعة عقدية، وليس في التاريخ حركة تغيير أو بعث أمة من الأمم

(١) عثمان الصالح ، جوانب من عبقرية عبدالعزيز ، ص ١٨ .



نجحت إلا باسم العقيدة حيث اقتنع الناس في الزمان والمكان المعينين بأن الموت في سبيلها أفضل من حياتهم الحالية.

والتاريخ حافل بالأمثلة على قدرة العقيدة على قهر العوامل المادية فالبدو أثبتوا أنهم أكثر تضامنا وأخوة وترابطا من كل الأمم حولهم (١) .

هؤلاء البدو الذين التزموا بالدين هم الذين نادى فيهم الملك عبدالعزيز وهو ذاهب لحرب ابن رشيد في حائل فقال :

يجب أن تعرفوا أننا مقدمون على أمر خطير فمن أراد الشهادة فليتبعنا ومن شاء فليعد إلى زوجته، فتعالى بكاء الأخوان وأقسموا على الموت وبدأوا يستعدون للشهادة بالتوبة من المعاصي، ثم كتب كل منهم وصيته وجاءه جندي بمائتي جنية ذهب أخذها غنيمة فسأله الملك عبدالعزيز من رآك تأخذها . رد الرجل الله وحده .

وهم الذين نقل عنهم الشريف عون بن هاشم الذي شاهدتهم في معركة تربة فقال : (من أعجب ما رأيت، رأيت الاخوان في أثناء المعركة يدخلون الجامع ليصلوا ثم يعودون للقتال) (٢) .

فقد أدرك الملك عبدالعزيز دور العقيدة في بناء الشخصية المسلمة ولذلك أرسل العلماء إلى تلك الهجر على منهاج الدعوة السلفية القائمة على العقيدة التي هي اساس التعليم وهدفه .

(ومن هنا كان الخطأ الفاحش في تقويم تلك الفكرة العملاقة بتصويرها كمشروع زراعي أو إصلاح إجتماعي يهدف الى توطين البدو وبتحويلهم إلى

(١) بتصريف من : محمد جلال كشك ، السعوديون والحل الاسلامي ، ص ٥٧٣ .

(٢) بتصريف من : محمد جلال كشك ، السعوديون والحل الاسلامي ، ص ٥٨٩ ،

مزارعين . وإنما هي تشكيل عقدي لجيش تحرير توجهه العقيدة فهي هجرة بالمعنى الاسلامي (١) .

من هذا العرض السريع يتبين لنا أن الهجر مجتمعات تعيش لتحقيق رسالة التوحيد ورفض كل ما يخالف هذه الرسالة أما الزراعة أو التجارة أو حتى التعليم فليست إلا مجرد وسائل لزيادة قدرة الدعوة ودعمها بالقوة التي تمكنها من الانتشار وبسط سلطان الشرع في الأرض لذلك كان الأخوان في وقت السلم يزرعون ويحصدون ويتاجرون ويرعون مواشيهم فلم تمنعهم الدعوة عن اعمالهم . بالإضافة الى تدينهم وسلوكهم وشجاعتهم وكفاءاتهم القتالية في وقت الحرب .

(وقد تحدث ابن سعود نفسه عن الهجر فلم يشر من قريب أو بعيد للمشروعات الزراعية أو بناء المدن بل وصفهم بقوله :

يجيئوننا في السلم فنعطيمهم كل ما يحتاجون إليه من كسوة ورزق ومال ولكنهم في أيام الحرب لا يطلبون منا شيئاً ، في أيام الحرب يحتزم الواحد منهم بحزام الرصاص ويبادر إلى البندق ثم يركب الذلول إلى الحرب ومعه شيء من المال والتمر نعم كانت الحاضرة أثبت قدما وأشد بأسا من البادية ، أما الآن فالبادية المتحضرون أهل الهجر هم في القتال أثبت من الحاضرة وأسبق إلى الاستشهاد .

وهكذا استطاع الملك عبدالعزيز بالنظام الجديد إقناع كل القبائل التي استمرت تقاتل بالأسلوب البدوي بل استطاع بفضل الله ثم بواسطتهم هزم جيش الأتراك النظامي والدائم وكذلك جيش الملك حسين رغم مدافعه وطائراته وخبرائه الروس والشوام وأقنع بريطانيا بتجنب مواجهته وجعله يفخر بقوله :

(١) المرجع السابق ، ص ٥٧٤ ، ص ٥٧٥ .

(إن وراثي ما لا يقل عن اربعمائة ألف مقاتل إن بكيت بكوا وإن فرحت فرحوا وإن أمرت نزلوا على إرادتي وأمري وإن نهيت انتهوا . وهؤلاء هم جنود التوحيد . . . أهل التوحيد إخوان من أطاع الله . ومعلوم أن هتافات الأخوان هي خيال التوحيد . . . أهل التوحيد . . . أخو من أطاع الله - هبت هبوب الجنة . . . وين أنت يابا غيها . . . ياويل عدو الشريعة منا)(١) .

وبذلك يتقرر ما سبقت الإشارة إليه من أن نظام الهجر كان نظاما دينيا لمحاربة الجهل وتثبيت العقيدة .

فإن المجتمع المفكك المضطرب لا علاج له إلا الالتزام بمبادئ الإسلام، وقد أدرك الملك عبدالعزيز أن نشر مبادئ هذه الدعوة هو الضامن الوحيد لهذه الأمة كي تنهض من غفلتها وتتحرك من الضعف والانحلال .

ويؤكد هذا المعنى الريحاني بقوله :

الفكرة الدينية في الهجر هي الفكرة الأولى ، فالهجرة هي الانتقال إلى دار الإسلام فهي إذن هجرة إلى الله والتوحيد وهي أيضا هجرة مدنية .

فالداعي إلى الهجرة إذن ثلاثة أمور :-

- تعليم البدو الدين .
- إفادة البدو بالحياة المدنية .
- احتواء البدو وسهولة توجيهم(٢) .

وفي سبيل تحقيق الهدف الأول - تعليم البدو الدين - أرسل الملك عبدالعزيز الدعاه (المطاوعة) ليعلموا أهل هذه الهجر دين التوحيد .

(وآخى بين رجال تلك القبائل المتنافرة مقتفيا سنة محمد عليه الصلاة والسلام عندما آخى بين المهاجرين والأنصار وبعث لسكان الهجر (مطاوعة)

(١) بتصرف من المرجع السابق ، ص ٥٧٨ ، ص ٥٨٨ .

(٢) بتصرف ، الريحاني ، تاريخ نجد الحديث ، ص ٢٦١ .

أي علماء دين وحفظة قرآن يعلمونهم القراءة ابتداء من حروف الهجاء حتى إن  
الإنسان إذا مر برجال تلك الهجر يسمع لهم دويًا كدوي خلية النحل ولذلك  
فإن الإبل التي كانوا يرعونها باعوها بأبخس الأثمان اعتقادًا منهم أن هذه الإبل  
شغلتهن عن طاعة الله (١)

ومن المعروف أن إرسال العلماء للدعوة من الوسائل التي حث عليها الرسول  
صلى الله عليه وسلم قولًا وعملاً فقد أرسل عليه الصلاة والسلام مصعب بن  
عمير ليعلم مسلمي المدينة القرآن الكريم، وقد ظل مصعب يعلم القرآن  
ويدعوا إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها مسلمون (٢).

كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل على بن أبي طالب ومعاذ بن  
جبل وأبا موسى الأشعري إلى قبائل من العرب ليدعوهم إلى الإسلام ويعلموا  
من أسلم منهم (٣).

أما المنهج التعليمي لهذه الهجر الدعوة فكان يهدف إلى بث روح الفقه  
الدعوى والعلم بحقائق الإسلام والتبصير بأمور الحياة في ضوء التشريع  
الإسلامي والعقيدة الإسلامية وقد قدم لنا الريحاني نموذجًا من نماذج الدعوة  
التي اقتفى فيها الملك عبدالعزيز أثر السلف الصالح فقال

بأمر ابن سعود إصلاحه الكبير بالوسائل الدينية فكان يرسل المطاوعة إلى  
البادية ليعلموا أهلها دين التوحيد والفرائض ويزينوا لهم هجر ما هم فيه إلى

(١) فهد المارك / من شيم الملك عبدالعزيز ج ٣ / ص ١٩٢ .  
والمطوع مقتبسة من الآية (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات . . .)  
التوبة آية ٧٩ .

(٢) ابن هشام ج ٢ / ص ٢٠٨ .

(٣) انظر ابن هشام / سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٠٣ ، ٢٣٣ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ .  
ابن كثير / الهداية والنهاية ج ٥ ص ١٠٥ ، سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٥٠ .

مادعاهم اليه من إيمان يستشعرونه، وبيت يأوون اليه، وأرض يحرثونها(١)

وقال فيلبي :

" إن المشروع بدأ بإرسال دعاة، أو مطوعين ليطوفوا في القبائل يدعون للهجرة، فتجمع سنة ١٣٣٠هـ عدد من الدعاة في بلدة حرمة، بالقرب من بلدة المجعة للتفقه في الدين "

وقد قرر عدد من الإخوان في حدود خمسين رجلا، وعائلاتهم الهجرة إلى الأريطوية، بين الكويت، والقصيم فأصبحت معسكرا للمتدينين المقاتلين، وانتشرت الفكرة في طول البلاد، وعرضها.

وقد كان ابن سعود هو الذي بدأ حركة البعث بواسطة دعائه، ووفر لهذه المستعمرات كل احتياجاتها؛ من المال، والأدوات الزراعية، والمعلمين الدينيين، والسلاح، والذخيرة للدفاع عن العقيدة التي كان البند الأول فيها هو التخلي عن العادات الجاهلية، والقبلية، والتأخي بين كل الذين يقبلون النظام الجديد، بصرف النظر عن قبائلهم، وأصولهم الإجتماعية.

وهكذا وجه الملك عبدالعزيز النزعة القتالية عند الأعراب، إلى خدمة الإسلام، وفي المقابل حرمت عليهم الغارات القبلية، وأعمال النهب، وشرب الدخان، وكل خطايا الحياة القديمة.(٢)

ومن نماذج الدعاة الذين أرسلهم الملك عبدالعزيز للهجر :

(١) الريحاني / تاريخ نجد الحديث ص ٢٦١ هذا وقد روعي في اختيار أماكن الهجرة وجود المياه الجوفية الصالحة للشرب ولزراعة الأتوات الضرورية وساعدهم الملك عبدالعزيز ماديا لبناء مساجدهم ومسكنهم فضلا عن تخصيص الأتوات والمساعدات لكل هجرة بما يضمن الاستقرار في هذه الحياة الاسلامية عوضا عن الحل والترحال في الحياة البدوية.

(٢) انظر محمد كشك / السعوديون والحل الاسلامي / ص ٥٥٩ ، ٥٦٠ .

الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ أرسله الملك عبدالعزيز إلى الأرتاوية اول الهجر أنشاء وكان امير الأرتاوية هو فيصل الدويش من اشهر رؤساء البادية ومن ارفعهم ذكرا وهجرته عاصمة هجر قبيلة مطير، فجعل الله في رحلته الخير والبركة، حيث تبدلت طباع أهل البادية بفضل الله، وتمكن الشيخ بالتوجيه الحسن أن يحول الجفاء لظفا والغلظ لينا والجهل توحيدا وفهما فصنعت مواعظ الشيخ ودروسه من هذه البادية الجافية الجاهلة قوة فتحت البلدان وأقامت العمران تحت قيادة الملك عبدالعزيز رحمه الله(١).

ومنهم الشيخ عمر بن سليم الذي بعثه الملك عبدالعزيز إلى نفس الهجرة سنة ١٣٣٠هـ لما علم فيه من رجاغة عقله وبعد نظره وسعة العلم وحسن الدعوة(٢).

ومنهم الشيخ محمد بن عثمان الشادي الذي نفع الله بوعظه وإرشاده في بلدة الغطف، وكان رئيسها سلطان بن بجاد فصار يغزو مع الجيش تحت راية الملك عبدالعزيز مرشدا للجيش وقاضيا حتى تم فتح الطائف سنة ١٣٤٣هـ(٣).

كما أرسل الملك عبدالعزيز أيضا الشيخ عبدالله بن حمد بن عتيق مرشدا وواعظا لهجرة الغطف حال إقبال البادية على السكن في القرى والرغبة في الدين والجهاد في سبيل الله. وكان أهل هذه الهجر هم أقوى ساعد لإمام المسلمين في الجهاد في سبيل الله فاختره لهم ولاسيما وقد علم أنه دخل معهم أناس يدعون العلم وقد فتنوا كثيرا منهم بالتشديد والغلو - عن حسن قصد - مع عدم المعرفة بحقوق المسلمين وإمامهم، فعندما وصل هذا العالم

(١) يتصرف من علماء نجد خلال ستة قرون البسام ج١ ص ٨٣

(٢) المرجع السابق ج٣ / ص ٧٤٥

(٣) المرجع السابق ج٣ / ص ٨٩٨

الجليل إلى هذه الطائفة رأى منهم الجفاء وافتتانهم بمن لديهم من الأدعياء فرجع إلى الرياض وطلب إعفاه من الرجوع إليهم ودعوتهم لكنه رجع إليهم . مع دخول شهر رمضان فلما تقدم هذا العالم الجليل والقارىء الذي لم يكن له مثيل لصلاة التراويح يرتل القرآن فخشع السامعون وكثر الباكون وأقبلت القلوب إلى الرغبة فيما عند علام الغيوب .

ولم يخرج هذا الشهر الكريم إلا وقد أصبح لهذا الشيخ مكانة رفيعة في قلوب أهل هذه الهجرة حتى أصبح أحب إليهم من أولادهم وإخوانهم ، وأقبلوا يستمعون إلى وعظه وإرشاده، وأقبل الشيخ عليهم بالنصح والتعليم فنفخ الله به تلك الطائفة ولم يحصل منهم أي خلاف في حياته (١) .

#### أثر علماء الدعوة في الهجر :

تسببت الهجرة في بداية أمرها للملك عبدالعزيز في مشكلة كبيرة، وهي أن البدو أقاموا في الهجر بعد بيع جمالهم لا يعملون شيئاً في أيام السلم غير الصلاة والعبادة في المساجد، فكادت تنتشر البطالة بين أهل هذه الهجر .

ولكن الامام المجاهد لم يعدم طريقة تنقذ إصلاحه من الخطر فشحذ ذهنه واستشار العلماء في تلك الحالة فأشاروا عليه ببحث أهل الهجر على العمل والكسب وزودوا الدعاء والمطاوعة بكتب التاريخ وأخبار السلف التي تدل على أن السلف الصالح كانوا يعملون في الزراعة والتجارة، فراح هؤلاء الدعاء ينشرون هذه الأفكار وغيرها ضد البطالة والكسل، وراحوا يعلمون المتحضرين أن الزراعة والتجارة والصناعة لاتنافي الدين، وأن المؤمن الغني خير من المؤمن الفقير ويضربون الأمثال بأبي بكر رضي الله عنه الذي كان يملك ثمانية آلاف رأس من الإبل والخيل . . . ثم يقولون لهم : هل تدرّون أيها

(١) بتصرف من البسام / علماء نجد خلال ستة قرون / ج ٢ / ص ٥٢٨ .

الأخوان ما كان يرغب فيه ابوبكر ؟ وهل تشكون في أن الله سبحانه وتعالى يفتح لكم - إذا أنتم زرعتم وتاجرتم أبواب الثروة والجاه ؟ .

وقد أفلح المطاوعة في تحبيب العمل والغنى والكسب إلى الإخوان فشرعوا يزرعون الأرض حول الهجر ويتاجرون دون أن تضعف فيهم روح القتال وحب الاستشهاد(١) .

كما كانت الهجر تضم الكثير من الصالحين من أنصاف المتعلمين - غير المتمكنين في العلم - والذين جنحوا إلى التشديد عن حسن قصد .

إلا أن العلماء - بما غرسته الدعوة في قلوبهم من أدب في الاقتناع - أخذوا يواجهون غلوهم ويردونهم بالحجة ويدعونهم إلى الرجوع عن غلوهم بالدليل الشرعي مما كان له أحسن الأثر في اعتدالهم ورجوعهم عن غلوهم بعد أن كانوا يكفرون من لم يتحضر من البدو .

وقد صدرت عن العلماء فتوى بخصوص تعصب بعض الأخوان وذلك سنة ١٣٣٧هـ ونقتبس منها هذه السطور :

(من عبدالله بن عبداللطيف وحسن بن حسين وسعد بن حمد بن عتيق وعمر بن محمد بن سليم وعبدالله بن عبدالعزيز العنقري وسليمان بن سحمان ومحمد بن عبداللطيف وعبدالله بن بليهد وعبدالرحمن بن سالم إلى الإخوان كافة من أهل الهجر وغيرهم وفقنا الله وإياهم لما يحبه ويرضاه .  
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

إنكم تفهمون ما من الله به علينا وعليكم من نعمة الإسلام وتجديد هذه الدعوة . والذي علينا وعليكم شكر الله واتباع أوامره واجتتاب نواهيه ، ولا يخفى عليكم ماجرى من الاختلاف وكثرة الشبه وهي على ثلاثة أمور :-

(١) أمين الريحاني ، تاريخ نجد الحديث ، ص ٢٦٢ و ص ٢٦٣ .



الأول : وهو الأكثر طلب الخير، والاجتهاد، ووقوع الناس في أمور تخل بدينهم، ودنياهم لأنهم يأتون ذلك محبة للدين بغير دليل . . . . فلما تحقق ذلك عند أولي الأمر، وعند العلماء أحبوا اجتماع المسلمين مع علمائهم، وولاية الأمر منهم، فلما حضروا سألنا الإمام عبدالعزيز بحضرتهم عن أمور هي :-

**الأول :** هل يطلق الكفر على بادية المسلمين الثابتين على دينهم، القائمين بأوامر الله، ونواهيه أم لا ؟

**الثاني :** هل من فرق بين لبس العقال، ولبس العمامة إذا كان معتقدهما واحد أم لا ؟

**الثالث :** هل في الحضرة الأولين، وفي المهاجرين الآخرين . فرق أم لا ؟

**رابعاً :** هل في ذبيحة البدوي، والحضري فرق أم لا ؟

**خامساً :** هل للمهاجرين أمر، أو رخصة في اعتدائهم على الذين لم يهاجروا ؟

وأجاب العلماء وقرروا بعد البحث ما يأتي :-

- ١ - الكفر لا يطلق على بادية المسلمين الثابتين على دينهم .
- ٢ - لا تفاوت بين لبس العقال، ولبس العمامة إذا كان معتقدهما واحداً .
- ٣ - لا فرق بين الحضرة الأولين، والمهاجرين الآخرين .
- ٤ - لا فرق بين ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين، ودربه دربه، ومعتقده معتقدهم، وبين ذبيحة الحضرة الأولين، والمهاجرين .

٥ - لاحق للمهاجرين ان يعتدوا على الناس الذين لم يهاجروا بأن يضربوهم أو يلزموهم، الهجرة.

٦ - لاحق لأحد أن يهجر أحدا بدويا كان، أو حضريا بغير أمر واضح، أو كفر صريح. (١)

وفي هذا المقام، فإننا نشير إلى أن بعض المؤرخين عن المملكة قد نسبوا الكثير إلى علماء الهجر عن وقوفهم ضد تيار التمدن واعتبر هؤلاء المؤرخون أن الدين عائق عن التقدم، وكثرت رواياتهم عن موقف العلماء من اللاسلكي والسيارة وغير ذلك... ونسي هؤلاء المؤرخون أن المسلم أقدر على التعامل مع الحقائق العلمية بمجرد أن يفهم سرها، وعندئذ يتقبلها بيسر وسهولة وذلك للعقلية العلمية التي يتميز بها العالم المسلم ومرجع ذلك إلى حث القرآن الكريم على استخدام العقل والعلم في آيات كثيرة، ولكن هذا الرفض للمخترعات قبل فهمهم سرها، يدل على عقلية أكثر علمية، وأكثر احتراما للنفس من المتخلف الذي يتعاطى هذه المخترعات دون أي انفعال، رغم مخالفتها لكل قوانين عالمه، وجهله المطلق بفكرتها... ان الخوف من المجهول، أول درجات العلم.

فقد كان البدو يستعملون - من عهد الإمام فيصل بن بركي - طلمبات الماء الميكانيكية ويستعملون البنادق وكلها تعمل كالشيطان. والحقيقة لمن يمعن النظر، هي وجود دافع ديني لهؤلاء العلماء خوفا من أن تسهل هذه المخترعات للأجنبي - وهي فعلا تسهل - غزو بلادهم، لأنها تأتي بالعدو باعتباره مخترعها، فيأتي في شكل امتيازات وإدارات أجنبية، وكله يفتح الباب

(١) الريحاني / تاريخ نجد الحديث / ص ٢٦٥ .

وانظر الدرر السنوية ج٧ / ص ٣٩٦ رسالة الشيخ محمد عبداللطيف والعنقري لأهل الأوطان.

للتدخل الأجنبي، وقد فقدت معظم دول المنطقة استقلالها وكانت البداية امتيازاً حصل عليه الأجنبي (١)

ولكن الملك عبدالعزيز كان بعيد النظر فاستطاع أن يحافظ على استقلال المملكة من أي ضغوط أو امتيازات أجنبية مع انتفاعه بكل وسائل المدنية الحديثة.

بقي أن نشير إلى أن العلماء لم يقتصر دورهم على الهجر فحسب فقد كان لهم نشاط ظاهر في تثقيف العوام وإرشاد الناس إلى تعاليم الدين الحنيف في كل أنحاء المملكة.

فقد قام الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي بالدعوة في جنوب المملكة العربية السعودية على أسس إسلامية سلفية صحيحة، وفتح عندهم المدارس وركز لديهم المجالس العلمية وبحث فيهم العقيدة السلفية فكثر لديه المتعلمون، وانتشر التعليم في الجنوب والغرب، وقد استطاع أن يستعين ببعضهم حتى عم كثيراً من مناطق تهامة والحجاز العلم النافع والعقيدة السلفية والدين الخالص، وتخرج على يديه الكثير من طلاب العلم الذين أصبحوا قضاة ومرشدين ومدرسين فصار لهذه الدعوة أثر كبير ونفع عظيم (٢).

وكان قد سبقه في الذهاب اليهم الشيخ محمد بن عبداللطيف، ومكث عندهم مدة من الزمن، يدعوا إلى الالتزام بدين الله، وعندما رجع ظل على صلة دعوية معهم عن طريق المراسلة، وكان مما كتبه اليهم هذه النصيحة :

من محمد بن عبداللطيف آل الشيخ إلى من يراه من أهل القرى، ورؤساء القبائل من أهل الجنوب وعسير، وتهامة، وشهران، وبنى شهر، وقحطان،

(١) بتصرف من محمد جلال كشك / السعوديون والحل الإسلامي / ص ٥٨٨ .

(٢) بتصرف من الشيخ البسام / علماء نجد خلال ستة قرون / ج ٢ / ص ٦٣٢ .

وغامد، وزهران، وكافة أهل الحجاز وغيرهم هدانا الله، وإياهم لدين الإسلام،  
وجعلنا وإياهم من أتباع سيد الأنام آمين.  
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(أما بعد) فإنه لما كان في هذه السنة - وهي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة  
وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأشرف التحية - بعثنا  
الإمام المقدم، والرئيس المفضل عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود  
أعلى الله سعوده، وأدام للمسلمين وجوده لأجل تعليمكم ما أوجبه الله عليكم  
وتعبدكم به من دين الإسلام الذي معرفته والعمل به والبصيرة فيه سبب لدخول  
الجنة؛ والجهل به والاعراض عنه وعدم قبوله والانقياد له لسبب لدخول النار.  
فلما قدمنا بعض جهاتكم رأينا بعض أهلها قد جال بهم الشيطان والهوى،  
وتمادوا في الغي والطغيان والإعراض عن النور والهدى، وفرقوا أمرهم وكانوا  
شيعا، وغلب عليهم الجهل وايتثار الشهوات، واستجابوا للداعي الشبهات،  
فوقعوا في وادي جهل خطير، فهم على شفا حفرة من السعير، وغلب على  
أكثرهم الاعتقاد في أهل القبور والأحجار والغيران، وتعظيم أهل الصلاح من  
المقبورين، وهذا هو دين أهل الجاهلية الأولين، الذي بعث فيهم سيد  
المرسلين وإمام المتقين.

فلما رأينا ذلك وجب علينا الدعوة إلى الله بالحجج والبراهين، وهي طريقة  
النبي الأمين، وسبيل من اتبعه من الصحابة والتابعين، ومن سلك منهاجهم  
إلى يوم الدين، كما قال تعالى (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا  
ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (١) وكتبنا من الآيات  
القرآنية والأحاديث النبوية، والعقائد السلفية إلى القبائل والبلدان بعدما سفت  
عليها السوافي، وقل من يعرفها من أهل القرى والبوادي، نصحا لله ولرسوله  
ولكتابه ولعباده المؤمنين، وصار بعض الناس يسمع بنا معاشر الوهابية  
ولا يعرف حقيقة مانحن عليه، وينسب إلينا ويضيف إلى ديننا ما لا ندعو إليه.

(١) سورة يوسف / آية ١٠٨ .

فاعلموا أن حقيقة ما نحن عليه وما ندعوا إليه ونجاهد على التزامه والعمل به، أنا ندعوا إلى دين الإسلام، والتزام أركانه، وأحكامه، الذي أصله، وأساسه شهادة أن لا إله إلا الله والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له (١).

وفي رسالة ثانية له يبين حقائق الدعوة بصورة أوضح فيقول :  
 "فاعلموا أن الذي نعتقد وندين الله به وندعو الناس إليه ونجاهدهم عليه هو دين الاسلام الذي أوجبه الله على عباده وحقه عليهم الذي خلقهم لأجله .

ثم قال . . . وبالجمله فإننا نأمر بما أمر الله به في كتابه، وأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وننهى عما نهى الله عنه ونهى عنه رسوله، ولا نحرم إلا ما حرم الله، ولا نحلل إلا ما حلل الله، فهذا الذي ندعوا إليه، ومن كان قصده الحق ومراده الخير والدخول فيه التزم ما ذكرنا وعمل بما قررنا فيكون له مالنا وعليه ما علينا ونجاهد من لم يقبل ذلك ونستعين بالله على جهاده ونقاتله حتى يلتزم ما أمر الله به في كتابه وأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٢).

وليس هناك شك - بعد هذا العرض - أن خطة الملك عبدالعزيز في إرسال الدعوة إلى البادية والهجر كانت من أنجح الوسائل في نشر الدعوة، وكان من العوامل المساعدة في إقامة دولة الإسلام في الجزيرة العربية على أسس مستقرة، كما أنها قضت على نزعات الخروج والاجتهادات الفردية الجامحة التي تميل إلى التطرف، والتي تسيء إلى صورة الإسلام، والمسلمين في نهاية الأمر.

(١) ابن قاسم / الدرر السنية / ج ١ ص ٢٨٤ .

(٢) ابن قاسم / الدرر السنية / ج ١ ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

**المطلب السادس**  
رسائل العلماء ومكاتباتهم

من البديهي أن القيام بواجب تبليغ الدعوة إلى الله يكون عن طريق القول والكلمة المسموعة والمقرّوة، كما يكون عن طريق العمل الفردي والجماعي فالقول، أو الكلمة، هو الأصل وهو الوسيلة الأولى للتبليغ؛ حيث إن الفعل يقتضي إيماناً واقتناعاً وهما لا يتحققان إلا بالكلمة التي تخاطب العقل والوجدان، وجدير بالذكر أن القول تتفاوت أنواعه وفنونه؛ فقد يأتي في شكل حوار ثنائي بين الداعي والمدعو، وقد يأتي في صورة خطاب أو رسالة، كما يأتي في صورة خطبة أو درس أو محاضرة، أو كتاب أو مقالة أو غير ذلك مما يدخل في فنون القول ويتوجه به صاحبه إلى قطاع كبير من الناس.

والكتابة - كما هو معروف - إنما هي وسيلة قولية يتحدث بها الكاتب لمن لا يمكنه المشافهة معه، كما أنها تحقق أحياناً ما لا يمكن للقول المنطوق أن يحققه.

وهذه الكتابة - كما ألمحنا - قد تكون كتابة رسائل يتوجه بها الداعي إلى من يريد دعوتهم إلى الإسلام لتصحيح عقائدهم، وهذه الرسائل ذات طابع فردي، على الأغلب إلا أن تكون منشوراً يقرأ على عامة الناس في المساجد أو المحافل.

وقد تكون الكتابة متجهة لتأليف الكتب والمقالات والأبحاث والقصائد الشعرية وغيرها.

وفيما يتعلق بالرسائل - التي هي موضوع بحثنا هنا - والتي تتصل بوظيفة الدعوة هذه الرسائل كانت وسيلة قديمة أصيلة معروفة منذ ظهور

الإسلام، فقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم الرسائل إلى الملوك والأمراء، وكان يكتب لكل منهم حسب حالته العقدية أو السياسية داعياً إياه ومن معه إلى الدخول في الإسلام.

روى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم (كتب إلى كسرا والي قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى) (١)

كما استخدم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم هذه الوسيلة الدعوية الهامة (الرسائل)؛ فالخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجه عدداً من الرسائل إلى رؤساء القبائل، وإلى بعض المرتدين يدعوهم إلى الإسلام والثبات (٢) عليه، كما كانت الرسائل من أقوى وسائل الإعلام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي عهد غيره من الخلفاء، وقد حفظ لنا التاريخ طائفة صالحة من الرسائل التي بعث بها الخليفة عمر رضي الله عنه إلى قواده في الحرب وإلى عماله في الأقاليم، وإلى القضاة الذين كان يبعث بهم إلى الأمصار (٣) كما كان العلماء والدعاة على امتداد التاريخ الإسلامي يرسلون الرسائل إلى حكام المسلمين يدعوهم فيها إلى الالتزام بما أمرهم الله به - ويذكرونهم ويعظونهم.

ومن ذلك مثلاً رسالة الأوزاعي (٤) إلى والي العباسي في الشام حول أهل الذمة ولزوم رعاية حقهم (٥).

- 
- (١) رواه مسلم ١٣٩٧/٣ برقم ١٧٧٤ كتاب الجهاد باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل.
- (٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٢٤٩/٣، ابن كثير . البداية والنهاية ٣١٥/٦ .
- (٣) انظر مثلاً رسالة عمر إلى القاضي أبي موسى الأشعري رواها البيهقي ١١٥/١٠، والدارقطني ٢٠٦/٤ .
- (٤) عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي : إمام محدث فقيه، ولد في عهد الصحابة وتوفي سنة ١٥٧هـ في بيروت . (انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٠٧/٧) .
- (٥) عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٤٦٣ ط ٣ سنة ١٤٩٦هـ سنة ١٩٧٦م .



ومن أمثلة رسائل العلماء إلى بعضهم في عهد السلف الصالح رسالة عبدالرحمن بن مهدي (١) الإمام المحدث إلى عالم زمانه الإمام الشافعي يسأله عن قواعد الاستنباط، فارسل إليه كتاب الرسالة (٢).

ومن أمثلة رسائل العلماء إلى العامة رسالة الإمام أحمد (الصلاة) حيث صلى مع قوم فلم يرهم يحسنون الصلاة ويسابقون الإمام فكتب رسالة مختصرة في الصلاة وأحكامها (٣).

وقد تكون الرسالة شخصية أو موجهة لوال أو نصيحة لإداري أو بحثا علميا أو استفسارا عن مسألة فتوجه لعالم أو مفتي. وينبغي للداعية استغلال هذه الوسيلة لتكون أداة مؤثرة يبلغ من خلالها ما يراه مناسبا لحال المرسل إليه، ويجيب على ملاحظاته بتفصيل وترتيب ويعطي الموضوع حقه من البحث أو ينبه للرجوع إلى ما يمكن الرجوع إليه بسهولة.

ولقد كان لوسيلة الرسائل بأنواعها وخصائصها المتميزة إسهام كبير في الدعوة إلى الله في عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله - وفي الصفحات القادمة سوف أتناول بالدراسة بإذن الله بعض الرسائل التي توضح أثر هذه الوسيلة بأنواعها المختلفة في تحقيق أهداف الدعوة إلى الله في عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - .

(١) عبدالرحمن بن مهدي البصري، امام محدث حافظ، ولد سنة ١٣٥هـ وتوفي سنة ١٩٨هـ (انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٩٢/٩ وابن العماد، شذرات الذهب ٣٥٥/١).

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج٢/ ص٦٤، مقدمة أحمد شاعر لكتاب الرسالة ص١١.

(٣) ابن ابي يعلى، طبقات الحنابلة، دار المعرفة - بيروت، ج١ ص٣٤٨، حيث روى الرسالة بسنده إلى الامام احمد وقد طبعت اكثر من مره منسوبة اليه.

وتتصف رسائل الدعاء في عهد الملك عبدالعزيز بما يأتي :-

- ١ - البداية ببسم الله الرحمن الرحيم دون الحمد وغيرها من العبارات وهم في ذلك متبعين للنبي صلى الله عليه وسلم في كتبه (١)
- ٢ - أن اسم المرسل يذكر فيه أولاً ثم اسم المرسل إليه كما قال تعالى عن كتاب سليمان (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) (٢) وكما في كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك عصره.
- ٣ - الدعاء للمرسل إليه وليس فيها إطراء له ولا مدح زائد عن حده كما هو شائع في بعض الاقطار الإسلامية بل يعيبون ذلك.
- ٤ - السلام على المرسل إليه حيث يعملون في ذلك بالنصوص المرغبة في إنشاء السلام.
- ٥ - وضوح العبارة مع عدم استخدام المحسنات البديعية المتكلفة، وقد يأتي بعضها عفواً.
- ٦ - تضمين الرسالة الأدلة من الكتاب والسنة غالباً.
- ٧ - إنهاء الرسالة بالإيحاء بتبليغ السلام لمن يشارك المرسل إليه في قرابة أو عمل.

(١) روى البخاري في كتاب بدء الوحي ٦/١ برقم ٧ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم له رقل ونصه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الاريسين و (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون).

(٢) سورة النحل آية رقم ٣٠ .

٨ - وضع التاريخ في آخر الرسالة .

٩ - وضع الختم في آخر الرسالة مقتدين في ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم . (١)

وفي عهد الملك عبدالعزيز كانت رسائل العلماء على عدة أنواع :

أولا : الرسائل الخاصة :

- وهي تشمل رسائل العلماء للملك عبدالعزيز .
- والرسائل المتبادلة بين العلماء بعضهم البعض .
- ورسائل الإفتاء والرد على أسئلة المستفتين .

ثانيا : الرسائل العامة وهي أشبه بالبيانات التي تتضمن نصائح عامة للأمة ، وغالبا ماتوجه من الملك أو العلماء إلى عامة الناس الذين تقرأ عليهم في المساجد ونفصل القول في كل نوع من النوعين :

أولا : الرسائل الخاصة وقد ذكرنا سلفا أن هذه الرسائل على أنواع :

النوع الأول :

رسائل العلماء للملك عبدالعزيز وهذه الرسائل تثبت لنا قيام العلماء بواجبهم تجاه قادة البلد وولاية الأمر، ولم يكن جهد هؤلاء العلماء مقصورا على الإجابة عن الأسئلة التي يوجهها الملك إليهم وإنما كانوا يوجهون رسائلهم إليه ابتداء، فقد كان يوصيهم أنهم (إذا بدا لهم أمر فيه خير للمسلمين أن يكتبوا بذلك كتابا يمهورونه بتوقيعاتهم ثم يعرضونه عليه حين لقائهم أو يرسلون من ينوب عنهم لتقديمه) (٢) .

(١) رواه البخاري ٢٠٣/٨ برقم ٥٨٧٥ كتاب اللباس : باب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء أو ليكتب به إلى أهل الكتاب وغيرهم .

(٢) إبراهيم محمد سرسيق، لمحات من الإصلاحات الدينية والاجتماعية في عهد صقر الجزيرة، من بحوث ندوة العلاقات المصرية السعودية، ص٣٤٧ .

ولقد كان للملك عبدالعزيز سياسة راشدة في الاخذ بقول العلماء وقبول اعتراضاتهم (١) ومناقشاتهم التي ترد في رسائلهم .  
ولهذا النوع من الرسائل نماذج كثيرة منها :-

- رسالة الشيخ سعد بن عتيق للملك عبدالعزيز التي تتضمن ملحوظاته على بعض الدعاة الذين ارسلوا إلى الحجاز لكنهم تهاونوا في القيام بواجباتهم . (٢)

- ومن هذا النوع من الرسائل الرسالة التي وجهها الشيخ عبدالله بن عبداللطيف والشيخ حسن بن حسين والشيخ سعد بن عتيق والشيخ محمد

(١) ارسل العلماء إلى الملك عبدالعزيز اعتراضا على عيد الجلوس فرد بالجواب التالي :  
(من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل .

إلى حضرات الإخوان الكرام قرّة عيني وبهجة قلبي علماء المسلمين، وفقنا الله وإياهم لما يحب ويرضاه، وجعلنا وإياهم في جماع عباده وأوليائه آمين :  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلني كتابكم المكرم الذي هو غاية مرادي، والذي ابتهج به قلبي وسرني غاية السرور .

وقد أخذته بعين القبول، وهذا الذي يجعلني أزداد حبا لكم ووثوقا بكم، وهذا الذي أرجو أن يكون دائما منكم لي ولأمثالي بالنصيحة وإن الله يجعل القبول مني وممن ولاه الله أمر المسلمين . بذلك إنني أقول (رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي) فما عملته من عمل موافق لكتاب الله فهو من الله، وما عملته مخالفا لأوامر الله فهو مني ومن الشيطان وأستغفر الله . وبحول الله وقوته سترون إن شاء الله مايسركم في كل أمر يعلى الله به كلمته، ويزيل الله به كل أمر يخالف أوامره بحوله وقوته، وإنني لا أزال رهين فضلكم ونصائحكم الثمينة . وأرجو من الله أن يحيينا على ملة الإسلام، ويقيم بنا أوامره، ويرسل الله فضله وكرمه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) . ١٠٠ ذي الحجة سنة ١٣٤٩هـ .

(نشر هذا الجواب في أم القرى العدد ٣٤١ الصادر في مكة المكرمة يوم الجمعة

١٠ صفر سنة ١٣٥٠هـ الموافق ٢٦ يوليو سنة ١٩٣١م) .

(٢) اسماعيل بن عتيق المجموع المفيد من فتاوى ورسائل الشيخ سعد بن عتيق ص ١٢٧

- ١٢٨ -

ابن عبداللطيف إلى الملك عبدالعزيز رحمه الله ينصحونه فيها بحفظ الثغور،  
ومنع الناس من الغزو إلا بإذن الإمام (١).

ومن هذا النوع من الرسائل الرسائل التي كان يرسلها إليه أفاضل العلماء  
مثل الشيخ محمد بن عبداللطيف والشيخ صالح بن عبدالعزيز والشيخ محمد  
بن ابراهيم (٢) والشيخ عبدالعزيز بن محمد الشري (٣) وهذا النوع من الرسائل  
يشير إلى وقائع معينة ويعالجها بالحكم الشرعي وهي تشكل تفاعلاً رائعاً بين  
العلماء وبين الملك عبدالعزيز رحمه الله للوصول بالامة إلى ما فيه عزها وعلو  
شأنها ورفع كلمتها واتحاد أمرها.

فكان لهذه الرسائل دور بارز في القضاء على الخرافات والبدع وفي تحقيق  
وحدة البلاد السعودية على أساس عقيدة صحيحة وشريعة ربانية.

وفي ذلك إشارة إلى أهمية معرفة العلماء بواقع البيئات التي يعيشون فيها  
من أجل تطبيق الاحكام الشرعية على الوقائع مع مراعاة الفروق المتصلة بالواقع  
والبيئة.

النوع الثاني من رسائل الدعاة الخاصة :

الرسائل المتبادلة بين العلماء أنفسهم للتباحث في بعض المسائل العلمية  
والفقهية أو للتشاور في بعض الأمور والمصالح.

ومن هذا النوع من الرسائل الرسالة التي وجهها الشيخ محمد بن عبداللطيف

(١) الدرر السنية ، ص ٢٧٧ مجلد ٥ .

(٢) انظر الدرر السنية من ج ٧ ص ٣٢٧ ومابعدها وانظر ص ٣٣٠ .

(٣) انظر صورة الرسالة الخطية في الملاحق

إلى بعض طلبة العلم يبين له فيها معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :  
( لا هجرة بعد الفتح ) (١) أي من مكة لأنها أصبحت دار إسلام ، وأن الهجرة  
لا تزال واجبة عن بلاد الكفر إذا استشعر الانسان خطرا على نفسه أو دينه أو  
ذويه (٢) .

ومن أمثلة هذه الرسائل أيضا رسالة الشيخ سعد بن عتيق للشيخ عبدالعزيز  
بن محمد الشري حول بعض مسائل الذات والصفات ومسائل أخرى في  
العقيدة الصحيحة (٣) .

وهذه الرسائل تدل على محبة العلماء بعضهم لبعض ورغبتهم في الخير  
وعدم خجلهم من السؤال عما لا يعلمون ، وكانت تلك الكتابة مبنية على أسس  
قوية مستمدة من الكتاب والسنة بواسطة القواعد الأصولية غير مغفلة لآراء  
العلماء واستنباطاتهم فكانت ذات محتوى أصولي وفقهي ، مشعرة بتفاعل علماء  
الامة بعضهم مع بعض وجهودهم في الوصول إلى الحق في المسائل الشرعية .

وهذه الرسائل العلمية مكتوبة بأسلوب سهل بعيد عن الاصطلاحات  
الغامضة والإيجاز المخل ، وتميل إلى التلقائية والبساطة والوضوح .

وأما النوع الثالث من رسائل العلماء فهو أجوبتهم على أسئلة المستفتين  
في المسائل الفقهية والعقدية .

(١) رواه البخاري ، ٢٨/٤ برقم ٢٨٢٥ كتاب الجهاد: باب وجوب النفي وما يجب من  
الجهاد والنية .

(٢) أنظر عبدالرحمن بن قاسم ، الدرر السننية ، ص ٢٠٣ المجلد الخامس .

(٣) اسماعيل بن عتيق ، المجموع المفيد من رسائل الشيخ سعد بن عتيق ، ص ٨٤-٨٥ .

فعندما تبرز مسألة شرعية يسأل المستفتون العلماء عنها فيجيبونهم بالحكم الشرعي مشافهة او كتابة، وقد أثرت هذه الرسائل الناحية العلمية عند عامة الناس وجعلتهم يسيرون بموجب أحكام الله وأدت إلى التفاهم على علمائهم، فما تكاد تحدث مسألة إلا ويكاتبون العلماء للسؤال عنها للاطلاع على الحكم الشرعي من خلال فتاوي العلماء، ثم العمل بعد ذلك بموجب فتاواهم.

فكان لهذه الرسائل دور في إرشاد الناس لأحكام الدين ورفع مستواهم العلمي وتبصيرهم بالطريق الصحيح، ومن ثم التزامهم للإسلام في كل جوانب حياتهم.

فكانت هذه الرسالة مادة تساعد الباحثين على تصوير الحياة العقلية والشرعية والاجتماعية في عهد الملك عبدالعزيز.

وقد نتج عن هذه الوسيلة ثروة علمية هائلة جمع بعضها وبقي جزء منها مخطوطا وضاع جزء آخر، ومن أمثلة الكتب التي جمعت هذه الرسائل :

— كتاب (مجموع الرسائل والمسائل) الذي طبعه الشيخ محمد رشيد رضا (١) في أربعة مجلدات كبار.

— وكتاب (الدرر السننية في الأجوبة النجدية) الذي جمعه الشيخ عبدالرحمن بن قاسم (٢) وهو عمل كبير يستحق عليه الشناء العاطر والدعاء الخالص

(١) محمد رشيد بن علي رضا، صاحب مجلة المنار ومؤلف كتاب تفسير المنار، ولد سنة

١٢٨٢هـ بالشام وتوفي سنة ١٣٥٤هـ بمصر. (انظر: الزركلي، الاعلام ١٢٦/٦).

(٢) انظر ترجمته مع العلماء في الباب الثالث من هذه الرسالة.

ليس لضخامته فحسب، بل لأن فتاوى علماء نجد ورسائلهم ونصائحهم كانت مبعثرة متفرقة معرضة للتلف فجمعها وحققها ورتبها على نهج التأليف المعروف حتى صارت عدة أجزاء في التوحيد والردود والنصائح والمسائل الفقهية.

وقد أمر الملك عبدالعزيز بطبع هذه الرسائل فانتشرت بين العلماء وطلاب العلم فصار لها أكبر الفائدة وأعظم النفع. (١)

ثانيا - الرسائل العامة :

وهذا كنوع من الرسائل يتوجه من الملك أو العلماء إلى عامة الناس وهي أشبه ماتكون بالبيانات العامة في وقتنا الحاضر وهي تعالج ظروف طارئة وأوضاع مستقلة فقد يبلغ الملك أو العلماء وقوع بعض البلاد في بعض المخالفات أو التساهل في بعض الواجبات أو المسنونات أو التحاكم إلى بعض العادات المخالفة للشريعة فيحمل هذا الملك أو العلماء إلى الكتابة إليهم لتحذيرهم عن اتیان هذه المخالفات وبيان خطرهما الجسيم وحثا لهم على فعل الواجبات والمسنونات، وذلك كله انطلاقا من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله.

وتأخذ هذه الرسائل الصفة الشخصية في المرسل والصفة العمومية في المرسل إليه فيرد في مستهلها، على سبيل المثال، الأسلوب الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالعزيز بن عبدالرحمن إلى من يراه من اخواننا المسلمين، أو من محمد بن ابراهيم إلى من يراه من المسلمين...

(١) عبدالله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ٢ ص ٤١٥.



ثم يأتي نص الرسالة مبدؤة بالسلام عليكم . ويلاحظ في الرسائل التي تكتب لعامة الناس ضرورة أن تكون سهلة الأسلوب واضحة المعنى بحيث يستطيع أن يفهمها أقل الناس قدرة على فهم الخطاب .

ويعزز من تأثير هذه الوسيلة وأهميتها قلة الدعاة في ذلك الوقت، فمن المعروف أن العالم أو الداعية قد لا يستطيع إلا مشافهة قوم محددين وبخاصة قبل انتشار المذياع والتلفاز لكنه يستطيع تربية طائفة ودعوتهم بطريقة مباشرة وتربية آخرين ودعوتهم بطريقة غير مباشر بواسطة الرسائل، فيتحقق له بالرسائل ما لا يستطيع أن يتحقق له بالمشافهة لتبليغ الدعوة وأظهار الحق .

١ - ومن هذا النوع من الرسائل رسالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن إلى الحجازيين والنجديين واليمنيين والتي ينصحهم فيها بالفقه بمعنى لا إله إلا الله فكرا وتطبيقا والفقه بمعنى النصيحة لله ولرسوله والعمل بمحكم كتاب الله والايمان بمتشابهه والعمل على توحيد المسلمين على العقيدة الصحيحة الموجودة في كتاب الله وستة رسوله والإيمان بشفاعه الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أذن الله له وتكفير الذي يفرق في الايمان بين الكتاب والسنة (١) .

٢ - ومن نماذج الرسائل العامة أيضا الرسالة التي وجهها الشيخ محمد بن عبداللطيف إلى الأخوان من أهل الأرتاوية يحثهم فيها على تقوى الله ولزوم طاعته واستعمال منهج الإسلام في الدعوة حتى لاتقع مفسدة كبيرة من أجل مصلحة صغيرة ووجوب الثبوت وعدم الطيش والعجلة والحرص على الرفق والملاطفة في الدعوة ووجوب إستفتاء العلماء الراسخين وعدم العمل بأقوال الذين لا يملكون بصيرة في العلم والدين (٢) .

(١) ام القرى، العدد ٦٤٧ الصادر يوم الجمعة ١٩ صفر سنة ١٣٥١هـ .

(٢) عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنوية، ص ٤١ من المجلد الخامس .

٣ - ومن أمثلة هذا النوع من الرسائل العامة الرسالة التي كتبها الشيخ سليمان بن سحمان في بيان معنى الطاغوت ووجوب الحكم بما أنزل الله وترك التحاكم إلى العادات. (١)

وهذه الرسائل وإن انطلقت من باعث محدد إلا أنها تعالج أمور عامة في الجملة ليس أدل على ذلك من قول الملك عبدالعزيز في رسالته السابقة (والذي حملني على هذه النصيحة هو ما رأيت في هذا الزمان وفي أهله من الفساد وما اقترفنا من الذنوب كبيرنا وصغيرنا نستغفر الله ونتوب إليه . وما عليه الحالة اليوم والناس في هذا الزمان) (٢).

فإن الباعث حمل الرعية إلى استحضر الحالة العامة للمسلمين وهو بالتالي يوجه إليهم توجيهها اجمالياً يتتبع فيه عوامل تخلفهم وجهلهم بدينهم .

وسأحلل رسالة الملك عبدالعزيز (٣) السابقة باعتبارها نموذجاً وافياً لهذا النوع من الرسائل حيث نستطيع أن نستخلص منها خصائصه ومميزاته -

هي أولاً خطاب لعدد كبير من الناس (الحجازيين والنجديين واليمانيين) .

وهي ثانياً تذكير بالإسلام في الجملة .

وهي ثالثاً عرض لسلفي ملتزم بمذهب السلف الصالح .

وهي رابعاً تنبث من شعوره بالوضع الإسلامي المؤلم .

(١) عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، ص ٢٧٤ من المجلد السادس .

(٢) ام القرى ، عدد ٦٤٧ .

(٣) انظر نص الرسالة في الملاحق .

وهي خامسا مقاومة للأفكار والبدع الغازية من الجاهلية القديمة والحديثة التي تمثل الخطر الحائق بغيرنا من الأمم.

وهي سادسا دعوة إلى انقاذ شباب الأمة وأطفالها ونسائها عن طريق التربية الإسلامية السديدة.

وهي سابعا دعوة إلى تبادل النصح واحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعل الإيمان تطبيقا حيا يمشي على الأرض والتعاون الجماعي على الخير والتقوى ويلاحظ أن أسلوب هذه الرسائل يمتاز بالاطناب والشرح والبساطة أكثر من الرسائل الخاصة حيث إنها توجه إلى مستويات كثيرة مختلفة الفكر والثقافة وإلى قطاعات كبيرة من الناس.

**المطلب السابع**  
**التعريف بالمنهج السلفي خارج المملكة**

يقف جهل الشعوب بحقيقة الدعوة السلفية عقبة دون نشر الإسلام الصحيح في مختلف البلدان العربية والإسلامية. كما يدفع هذا الجهل أعداء هذه الدعوة لإثارة الشبهات حولها. ولهذا يجب على الدعاة تجلية حقيقة الدعوة ونشرها وتفنيدها الشبهات وإظهار الحق أمام الناس بالحجة الواضحة والبراهين الساطعة وذلك برفق وصبر وتحمل واحتساب عند الله.

إن حقيقة الدعوة السلفية وأهدافها تقوم على ثلاثة أصول :-

١ - تصحيح العقيدة وتجريدها بتخليصها مما علق بها من بدع وخرافات، ومع أفراد الله وحده بكل أنواع العبادة.

٢ - تحكيم شرع الله والإلتزام بمنهج الإسلام في شؤون الحياة.

٣ - القيام بواجب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وهذه الدعوة السلفية تعبر عن مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين في العقائد والعبادات واتباع مذهبهم في احترام النصوص وابعادها عن التفاسير المجافية لذوق اللغة أو للمأثور والدعوة السلفية هي التي هذبت النفوس أمام النصوص مع الحرص على التطبيق بقدر المستطاع، وأصبح لها أبناء يستميتون في الدفاع عنها والدعوة إلى الله من خلالها بعد ما رأوا فيها المخلص من ذل الحياة الدنيا ومن عذاب الآخرة فدافعوا عنها لينشروها كما فعل المجاهدون الأولون من المسلمين باعتبارها عقيدة عالمية لاتخص العرب وحدهم بل هي لعامة الإنس والجن.

ولقد تناولت بعض الأقلام العربية والأجنبية هذه الدعوة السلفية بعين الإنصاف وأقلام اخر تناولتها بأجحاف وظلم...

ويمكن تصنيف هذه الأقلام على النحو التالي :-

أ - أقلام حاولت ان تتناول الدعوة السلفية بأخلاص وأن تصفها وصفا يكون أقرب إلى الحقيقة وقد ايدتها وسعت إلى نصرتها بناء على اقتناعها بصفاتها وامثالها للنهج القويم الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه مثل مثل الشيخ محمد سالم البيحاني في كتابه (أشعة الأنوار على مرويات الأخبار)(١) ومثل الأمير شكيب ارسلان(٢) الذي اثنا على الدعوة في كتابه (الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى اقدس مطاف)(٣).

ب - وطائفة أخرى جاهلة بالدعوة ولم توفق إلى من يقوم بتعريفها بحقائقها ونتيجة لجهلهم بالدعوة جاءت كتاباتهم مليئة بالخلط والتشوية وإن سلم قصد بعضهم مثل محمد جميل الشطي(٤) فيه كتابه الوسيط بين الأفرات والتفريط.

ج - وهناك طائفة حاربت الدعوة بالقلم والسطان وسعت إلى تشويه صورتها وصد الناس عنها بالكذب والتزيف وذلك لدوافع سياسية وطائفية ودينية

(١) لم اعثر على ترجمة وقد ذكر ناشر كتابه انه امام جامع مدينة عدن باليمن والكتاب طبعت ادارة احياء التراث بقطر سنة ١٤٠٦هـ الطبعة الأولى وقد اثنا فيه على الملك عبدالعزيز والدعوة.

(٢) شكيب بن حمود ارسلان اديب كاتب ولد سنة ١٢٨٦هـ ببلبان وتوفي بها سنة ١٣٦٦هـ (الأعلام ج٣ ص١٧٣).

(٣) انظر الطبعة الأولى سنة ١٣٥٠هـ مطبعة المنار بمصر.

(٤) ولد بدمشق سنة ١٣٠٠هـ وتوفي سنة ١٣٧٩هـ اشتغل بالقضاء والأفتاء (انظر النعت الأكمل ص٤٣١).

ولمصالح شخصية امثال يوسف الدجوي(١) الذي حشا مجلة نور الإسلام(٢) بمقالات متعددة يطعن فيها بعقيدة السلف الصالح التي دعا إليها اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد رد عليه عبدالله القصيمي في كتابه البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية(٣).  
ومثل يوسف النبهاني(٤) الذي ألف كتاب عارض به الدعوة سماه شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق وقد رد عليه الشيخ محمود الألوسي في كتابه غاية الأمان في الرد على النبهاني. وقد حال بين كثير من الناس وبين هذه الدعوة اهواء سياسية وكان يبعدهم عنها جهلهم بها(٥).

ولولا هذه الأمور لما كان هناك عائق من أن يجتمع المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها على هذه الدعوة وينظموا تحت رايتها.

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة أن حفظ هذه الدعوة السلفية منذ قرنين في الجزيرة العربية وأيدها بالدعاة والولاة، فظلت الدعوة الاسلامية صحيحة حية.

وأصحاب هذه الدعوة لم يقصروا في ابلاغها وتعريفها للناس بالكتابة وغيرها، لكن الدعوة كانت في حاجة ملحة إلى بيان أسسها وحقيقتها في خارج المملكة على اساس دعوة عالمية.

(١) يوسف الدجوي من علماء الأزهر ولد في مصر سنة ١٢٨٧هـ وتوفي سنة ١٣٦٥هـ (انظر الاعلام ج٨ ص٢١٦).

(٢) انظر المجلد الأول ص٥٨٨ المجلد الثاني ص٢٩ المجلد الرابع ص٢٥٥.

(٣) انظر الطبعة الثانية سنة ١٩٨٩م توزيع مكتبة رياض الجنة مكان الطبعة لم يبين في الكتاب.

(٤) عمل في القضاء والصحافة، توفي سنة ١٣٥٠هـ في بيروت، الاعلام ج٨ ص٢١٨ مجلة المنار ج١٠ ص٧٩٧.

(٥) القصيمي / الثورة الوهابية ص٧٣.

وفي هذا المطلب نتناول الجهود التي قام بها الملك عبدالعزيز والعلماء في مجال شرح منهج الدعوة خارج المملكة عن طريق تدعيم الدعاة والعلماء في بعض البلدان حيث كان الملك عبدالعزيز يأمل في جمع الأمة كلها على الأخوة الإسلامية.

وكان رحمه الله لعمق إيمانه وحماسه للدعوة يقول : (نحن دعاة إلى الإيمان بالله تعالى وبرسول الله وبكتابه وبسنة نبيه نحن ندعوا إلى ذلك جهد طاقتنا في السر والعلن)(١).

وقد ساعد الملك عبدالعزيز على نشره للدعوة السلفية أنه في الوقت الذي كان مشغولاً فيه بتأسيس دعائم الدولة السعودية كانت معظم البلدان العربية والإسلامية تعاني من سيطرة الاستعمار بمختلف أشكاله مما ألقى على عاتق الدولة السعودية مسؤولية دعوية كبيرة تجاه هذه البلدان باعتبار أن المملكة كانت الدولة الوحيدة التي تنعم بالاستقلال التام ولذلك كان عليها من الحقوق للمسلمين ما ليس على سواها.

فكان عليها أن تقوم بدور المرشد الديني فتبعث العلماء إلى البلدان للتعريف بالمنهج الإسلامي لما في ذلك من قيام بواجب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بالإضافة إلى دعم العلماء في مختلف البلدان مادياً ومعنوياً ليدافعوا عن هذه الدعوة ضد ما أثير حولها من شبهات.

وكان الملك عبدالعزيز يسعى قدر طاقته لتعريف المسلمين في البلاد العربية والإسلامية بالعقيدة الصحيحة بعدما طرأ عليهم من الخرافات والبدع وذلك من خلال عدة وسائل أهمها :-

(١) ألقى هذا الخطاب في مكة المكرمة مساء يوم الجمعة ٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٨هـ، انظر صحيفة أم القرى عدد ٢٨٣ الصادرة في مكة المكرمة يوم الاثنين ٦ ذي الحجة سنة ١٣٤٨هـ.



١ - اللقاء بوفود الحجيج وحثهم على التمسك بالدين الصحيح ليكونوا دعاة إلى المنهج السلفي بعد عودتهم إلى بلادهم(١) .

٢ - دعم ونشر الكتب والمجلات والنشرات الإسلامية التي توضح الدين الحق والإسهام في توزيعها وإرسالها إلى العديد من البلدان(٢) .

٣ - دعم العلماء السلفيين في مختلف البلدان ماديا ومعنويا لايضاح الحق والرد على من يحاول تشويه صورة الدعوة وحقيقتها(٣) .

٤ - ارسال الدعاة إلى هذه البلدان للتعريف بالمنهج السلفي حيث أرسل الملك عبدالعزيز الكثير من العلماء والدعاة إلى العديد من البلدان يدعون إلى توحيد الله وعبادته(٣) .

وقد وجد هؤلاء الدعاة الناس في حاجة إلى تعريفهم بدينهم الصحيح ولاسيما بعد أن نشطت الفرق الضالة في الترويج لمذاهبها وبعد أن عمل دعاة النصرانية والإلحاد في نشر مبادئهم فأجتهد هؤلاء الدعاة(٣) ليعرفوا الناس بالمنهج السلفي فنادوا إلى التمسك بالدين الصحيح وترك البدع والخرافات، معتمدين في دعوتهم على الحديث الصحيح: "كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"(٤) ويجب أن نشير إلى أن هؤلاء الدعاة كانوا يعملون في ظل ظروف صعبة: فمعظم البلدان التي نزلوها وجدوا الاستعمار قد أفسد عقائد شعوبها وأفسد أخلاقهم . ومعلوم أنه ليس هناك شيء يضعف القوى مثل فساد العقيدة ثم فساد الأخلاق .

(١) سوف يأتي توضيح ذلك ان شاء الله في المطلب الثامن من هذا المبحث .

(٢) وقد بسطت الكلام عن هذا في المبحث الثاني من هذا الفصل .

(٣) وسوف اورد ان شاء الله أمثلة من ذلك في هذا المطلب .

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٨٥١) وابن ماجه (٤٢) وصححه الألباني (-) في صحيح سنن ابن ماجه (٤٠) والدارمي (ج١/٤٤) باب اتباع السنة والترمذي رقم ٢٦٧٨ .

ومن أمثلة الدعاة الذين كان لهم تأثير في خارج المملكة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، حيث سافر للخليج وكان رئيساً لنادي دعوي في البحرين من أجل تحرير المقالات واعداد الردود على المبشرين الذين انتشروا في أطراف الجزيرة العربية والخليج العربي وكان له في ذلك جهود طيبة كما أنه، رحل عام ١٣٣٤هـ إلى قطر فتولى فيها التدريس والخطابة والقضاء نحو من ثلاث وعشرين سنة فنشر المنهج السلفي القائم على العلم الشرعي ورحل إليه الطلاب من عمان وسائر بلدان الخليج وأخذوا عنه أثناء هذه الفترة الطويلة (١) وممن قام بالدعوة خارج المملكة الشيخ عبدالله المحمود (٢) حيث ارسله الملك عبدالعزيز إلى قطر عام ١٣٥٩هـ وقد قام بالدعوة والخطابة والأفتا والتأليف بالإضافة إلى عمله في القضاء.

ولاشك أن دعوة الناس إلى خلاف ما أفوه من الخرافات أمر صعب لكنه سهل على المسلم المخلص الداعية الواعي الذي يتحلى بالصبر والحكمة.

ونظراً لمكانة مصر بين البلدان الاسلامية لوجود الجامع الأزهر بها والذي كان له دوره الكبير في مسير الحركة العلمية والثقافية بالإضافة إلى وجود العديد من المدارس العربية التي جعلت الحالة الثقافية في مصر أحسن منها في بلاد الشام وغيرها من البلدان، ونظراً لهذا كان الملك عبدالعزيز يوجه اهتمامه إلى مصر وذلك بدعم العلماء السلفيين فيها مثل الشيخ محمد رشيد رضا

(١) عبدالله البسام / علماء نجد ج٣ ص ٨٣٠ .

(٢) الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود ولد في بلدة الحوطة عام ١٣٢٩ وقد استقر في قطر حتى كتابة هذه السطور، انظر اتحاف اللبيب ص ١١٥ .

ومحمد حامد الفقي(١) ومحمد خليل الهراس(٢) وعبدالرحمن الوكيل(٣) وغيرهم من أعلام الدعوة السلفية في مصر.

وكان الشريف حسين قد سعى إلى تشويه سمعة الدعوة السلفية في البلاد الإسلامية بما يستطيعه من وسائل، واشتدت تلك الحرب الكلامية وانتشرت في كثير من البلاد الإسلامية وعلى رأسها مصر والتي كان يقيم بها رشيد رضا، وقد حرص مناصرو الشريف حسين في حروبهم للسعوديين إلى التعرض لعقيدتهم السلفية فسبوا الحركة الاصلاحية السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ووصفوها بالابتداع والخروج عن الاسلام.

ولم يقف رشيد رضا متفرجا إزاء ذلك بل أخذ قلمه يصول ويجول في خضم المعركة مناصرا لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب واتباعها - فكتب مقالات عديدة في صحف مصر ومجلاتها يشرح فيها حركة الشيخ ومبادئها وأهدافها وحالة أتباعها في عصره وأنهم هم الأمل الوحيد في إعادة ما للمسلمين من عزة ومجد لأن عقيدتهم تقوم على مبادئ الإسلام الصحيح كما أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم(٤).

وقد كانت له مقالات في صحيفة (الأهرام) القاهرية وفي مجلة (المنار) ترد على مزاعم أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية التي كان يحرص أعداؤها على تشويهها أمام شعوب العالم الإسلامي.

(١) محمد حامد الفقي ولد في البحيرة سنة ١٣٠٩هـ والتحق بالأزهر حصل على العالمية ثم عمل بالمملكة سنة ١٣٤٦هـ، حيث أصدر مجلة الاصلاح وأسهم في التدريس في الحرم المكي والمعهد العلمي ثم عاد إلى مصر وإنشأ جمعية أنصار السنة المحمدية توفي سنة ١٣٧٨هـ.

(٢) من أكبر الدعاة السلفيين في مصر وله عدة كتب في الدعوة رحمه الله.

(٣) كان معروفا بعداه لأهل البدع له كتاب هذه الصوفية.

(٤) محمد بن عبدالله السلطان، رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٣٨٩،

كما كان للشيخ محمد رشيد رضا العديد من الكتب التي توضح الحقائق وترد على أعداء الدعوة مثل كتابه (الوهابيون والحجان) حيث وضع أن حقيقة الدعوة التي انتعشت في الجزيرة تهدف إلى العودة إلى الإسلام في أصوله الأولى ومحاربة الأمور الدخيلة والبدعية في الدين.

وكان الملك عبدالعزيز رحمه الله يقدر الشيخ رشيد رضا باعتباره عالما إسلاميا مصلحا، ولهذا كان يستنير بأرائه ويصغي لنصائحه وتوجيهاته، وكانت العلاقة بينهما تقوم على أساس تمسكهما بالدعوة الإسلامية.

وكانت الرسائل المتبادلة بين الملك عبدالعزيز ورشيد رضا تحمل ألوانا من النصائح والموضوعات الشرعية ومما جاء في بعض الرسائل التي كتبها رشيد رضا إلى الملك عبدالعزيز: (ولقد عاهدناكم على أن نؤيدكم ونخدمكم في إقامة السنة وهدم البدع وإحياء الإسلام على منهاج السلف في أمور الدين ومستحدثات الفنون العصرية في أمور الحرب(١)).

وهناك رسائل أخرى في أمور شرعية تبحث في نواحي عقائدية وأحكام فقهية دارت بين رشيد رضا وعلماء الجزيرة العربية تبرز بجلاء كبير اهتمام علماء المسلمين بتصحيح عقائد المسلمين(٢).

ولقد ساعد الملك عبدالعزيز رشيد رضا وغيره في تمويل طبع الكتب السلفية التي تقوم بطباعتها مطبعة المنار ولم يقصر في تقديم أية مساعدات للسلفيين باعتبارها نصرة للسنة ومذهب السلف، ويفضل الله ثم بفضل دعم الملك عبدالعزيز قامت في بعض البلاد العربية العديد من الجمعيات السلفية وعلى رأسها (جماعة أنصار السنة المحمدية) بالقاهرة، وهي الجمعية التي

(١) مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ٤٨٣ غرة جمادى الثانية سنة ١٣٥٨ هـ.

(٢) انظر مجلة المنار المجلد ٢٩ ص ١٤٧.

أنشأها الشيخ (محمد حامد الفقي) في مصر وهو من تلاميذ رشيد رضا وتولى رحمه الله نشر العقيدة السلفية في مصر من خلال مجلته ومحاضراته وخطبه.

وبدعم من الملك عبدالعزيز تولى الفقي طبع عدد كبير من الكتب على نفقة الملك. حيث كانت لجماعة أنصار السنة المحمدية مطبعة خاصة ومن مؤلفاته (أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الإجتماعي والعمراني)(١).

ولاننسى كتب القصيمي في أول أمره حيث كان يقوم بنشر الدعوة السلفية والإنتصار لها وكانت له مؤلفات عديدة في هذا المجال(٢).

كذلك كان الشيخ عبدالله بن يابس(٣) يكتب في الصحف والمجلات وكانت له قدرة على التعبير وله مؤلفات عديدة مخطوطة ومطبوعة تدل على سعة الإطلاع.

وفي الشام قام الشيخ محمد بهجت البيطار(٤) بدعم من الملك عبدالعزيز بنشر الدعوة السلفية من خلال نشاطاته الدعوية المتنوعة.

(١) د. علي جواد الطاهر، معجم المطبوعات العربية (المملكة العربية السعودية) المجلد ٢ / ص ٢٢٠.

(٢) منها (الفصل الحاسم بين الوهابين ومخالفهم) و (الثورة الوهابية).

(٣) ولد سنة ١٣١٣هـ بالتقويمية وحفظ القرآن ثم رحل إلى الرياض فأخذ عن علمائها ثم ذهب إلى القاهرة وتوفي سنة ١٣٨٩هـ (روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد/ محمد بن عثمان الصالح ج٢ / ٣٨).

(٤) محمد بهجت البيطار من علماء الشام الذين عملوا بالحجاز أيام حكم الملك عبدالعزيز حيث عمل مدرسا بدار التوحيد وكانت له جهود سلفية أهمها قيامه باكمال تفسير المنار من حيث وقف السيد/ محمد رشيد رضا، كما كانت له مقالات قيمة عن التربية الإسلامية في صحيفة المنهل (معجم المطبوعات العربية، المملكة العربية السعودية المجلد ٢ / ص ٢١٩).

وممن كان له جهد كبير في نشر الدعوة السلفية في سوريا الشيخ عبدالقادر بدران (١) وهو الذي قام بتحرير العديد من المؤلفات في نصرة الدعوة السلفية وخدمة الفقه الإسلامي وأغلبها طبع على نفقة الملك عبدالعزيز (٢).

وفي العراق وجد الشيخ محمود شكري الألوسي (٣) الذي كان يرى أن مذهب السلف هو الوساطة الوحيدة لتحرير العقول من رق التعصب الذميمة وعدم مراعاة الدليل.

(١) هو الشيخ عبدالقادر بدران فقيه أصولي حنبلي، كان سلفي العقيدة قانعا بالكفاف، عاش وتوفي في دمشق. له تصانيف منها (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد) (شرح روضة الناظرين لابن قدامة) وغيرها من التصانيف. توفي رحمه الله في سنة ١٣٤٦هـ، انظر الاعلام للزركلي مجلد ٤ / ٣٧.

(٢) وممن كانت له جهود سلفية في الشام أبو اليسار الدمشقي وناصرالدين الحجازي وقد وجه لهما الملك عبدالعزيز رسالة ضافية جاء في بعضها:

(... فاعتنموا رحمكم الله الدعوة إلى الله وإلى دينه وشرعه، ودحض حجج من خالف ماجاءت به رسله ونزلت به كتبه من البيئات والهدى، وأن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بالحجة والبيان، حتى يمن الله الكريم عليكم بمن يساعدكم على هذا، فإن القيام في ذلك من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، وأفضل الأعمال الصالحات، لاسيما في هذا الزمان الذي قل خيره وكثر شره. ... ومن حسن توفيق الله لكم أن أقامكم في آخر هذا الزمان دعاء إلى الحق، وحجة على الخلق فاشكروه على ذلك، واعلموا أن من أقامه الله هذا المقام لأبد أن يتسلط عليه الأعداء بالأذى والامتحان، فليقتد بمن سلف من الأنبياء والمرسلين، ومن على طريقهم من الأئمة المهديين، ولا يثنيه ذلك عن الدعوة إلى الله، فإن الحق منصور وممتحن، والعاقبة للمتقين في كل زمان.) (انظر ابن قاسم/ الدرر السنية ج١ ص٣٠٤).

(٣) هو: أبوالمعالي محمود شكري الألوسي نسبة إلى الوسي قرية على الفرات ولد سنة ١٢٧٣هـ في بغداد في بيت علم ومجد حيث كان أبوه عالما وأديبا وكاتبا بارعا فأخذ العلوم عن أبيه وعلماء بغداد، توفي سنة ١٣٤٢هـ، أشهر مؤلفاته: (غاية الأمان في الرد على النبهاني)، (الآية أو الراية الكبرى عن ضلال النبهاني) ألفه ردا على النبهاني لما سب شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ رشيد رضا وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (بلوغ الأرب في أحوال العرب)، (يد السفان في الذب عن أبي حنيفة النعمان)، (تاريخ نجد)، (فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للشيخ محمد بن عبد الوهاب) وأكثرها مطبوع متداول، انظر الاعلام - الزركلي مجلد ٧ ص ١٧٢، انظر غاية الأمان في الرد على النبهاني للألوسي المجلد ١ ص ١١.

وكان رحمه الله يحمل على أهل البدع في درسه وفي المسجد ويرد عليهم في كتبه ورسائله ومما ألفه في هذا الصدد (غاية الأمان في الرد على النبهائي) ولهذا عاداه كثير من الناس وسعوا به لدى والي بغداد فأصدر السلطان عبدالحميد أمرا بنفيه إلى الأناضول فأحتج أهل الموصل وكتبوا للسلطان يحتجون فسمح له بالعودة إلى بغداد.

وقد اتصل بالملك عبدالعزيز في نجد سنة ١٣٣٣هـ وتزعم حركة الإصلاح الإسلامي في العراق وكتب عدة مقالات في مواجهة بعض المذاهب الإسلامية المنحرفة.

كما كانت في لبنان وغيره من البلاد الإسلامية جماعات سلفية لها نشاط في الدعوة ومحاربة البدع والخرافات ففي طرابلس الشام وجدت جماعة من تلامذة الشيخ محمد رشيد رضا وأقاربه يقومون بالدعوة السلفية خير قيام ويرسلون في ذلك الوفود إلى الجبل وبلاد الساحل (١).

كما وصلت مبادئ الدعوة السلفية إلى الكثير من دول شرق آسيا عن طريق الطلاب الذين كانوا يدرسون من هذه البلدان في الحرمين الشريفين، حيث عين الملك عبدالعزيز - بعد توحيد المملكة - علماء سلفيين في الحرمين انتصروا لهذه الدعوة ونشروها بين طلاب العلم.

وقد كان من حنكة الملك عبدالعزيز في مجال نشر الدعوة السلفية خارج المملكة أنه كان يختار للمناصب السياسية في المفوضية السعودية في البلدان المختلفة الشخصيات الصالحة حيث كانت هذه الشخصيات تدعو إلى الإسلام بما تحلت به من أخلاق فاضلة وفكر سديد.

(١) عبدالله بن خميس، شهر في دمشق، ص ٢٨١.

وكانت تعطي أهل تلك البلدان انطبعا صادقا عن أتباع الدعوة السلفية ومدى تمسكهم بالدين الحنيف، فعلى سبيل المثال كان الشيخ فوزان بن سابق الفوزان (١) يسافر بتجارته إلى العراق ومصر، وعينه الملك عبدالعزيز معتمدا له في دمشق.

وهناك اتصل برجال العلم وقرأ على مشاهير العلماء مثل الشيخ طاهر الجزائري والشيخ جمال الدين القاسمي والشيخ عبدالرزاق البيطار ثم نقل إلى المفوضية السعودية بالقاهرة (٢).

فكانت رحلاته إلى هذه البلدان الهامة واتصاله بالعلماء ذات أثر كبير في بيان الدعوة السلفية.

قال الزركلي :

صحبت اثني عشر عاما وهو قائم بأعمال المفوضية العربية السعودية بمصر وأنا مستشار لها وكان من التقى والصدق والدعة وحسن التبصر في الأمور والتفهم لها على جانب عظيم (٣).

ويقول القصيمي :

ها هو التقى الورع السيد الفوزان السابق معتمد حكومة هذه الدعوة في مصر يصلي في كل المساجد المصرية مع شدة احتياظه لدينه (٤).

(١) ولد سنة ١٢٧٥هـ في بريدة ونشأ فيها وتعلم في كتابها ثم رغب في العلم فشرع في القراءة على علماء بلده (عمر بن سليم) - سليمان بن مقبل - (محمد بن عمر آل سليم) ثم سافر في طلب العلم إلى الرياض والهند واشتغل بالتجارة إلى العراق بمصر. انظر / البسام / علماء نجد خلال ستة قرون / ج٣ / ٧٥٩.

(٢) البسام / علماء نجد / ج٣ / ٧٥٩-٧٦٠.

(٣) الزركلي ، الأعلام ، المجلد الخامس ، صفحة ١٦٢ .

(٤) عبدالله القصيمي ، الثورة الوهابية / ص ٦٢ بتصرف .



ولاشك أن نشاط هؤلاء العلماء في نصرة الدعوة السلفية خارج المملكة كان له نصيب كبير من النجاح ولانتشار وذلك لسبب بسيط هو أن هذه الدعوة التي جاهد رجالها من أجل نشرها هي دعوة قائمة على أساس إسلامي سليم يوافق الفطرة السليمة.

فهي دعوة سهلة الفهم بعيدة عن التعقيدات العقيدية لأنها هي الدعوة إلى الإسلام بعينه.

وكان من نتائج هذه الجهود أن ثمار الدعوة السلفية قد أبنعت في كثير من بلدان العالم مما يشير إلى أن هذا المجتمع الإسلامي ككل سوف يلتقي مع هذه الدعوة السلفية المباركة إن عاجلا أو آجلا فالمؤمنون وإن تباعدت أوطانهم واختلفت لغاتهم تربط بينهم رابطة فوق روابط الوطن والنسب والدم، وهي رابطة العقيدة.

ومن الذين أرسلوا للدعوة خارج البلاد : (عبدالعزیز بن رشید البداح الذي كانت له جولات في البلاد الإسلامية، فقد سافر إلى العراق ومصر والشام والهند وتركيا، واجتمع بأكابر علماء هذه البلدان، وبحث معهم واستفاد منهم، وكان ممن أقام علاقة قوية معه العلامة محمد رشيد رضا في القاهرة؛ وفي آخر رحلاته وفد على الملك عبدالعزيز - رحمه الله - فلما رأى معتقده ونشاطه في الدعوة بعثه إلى اندونيسيا لنشر الدعوة الإسلامية هناك فرحل وقام بمهمته خير قيام (١) رحمه الله رحمة واسعة.

(١) البسام/ علماء نجد/ ج٢/ ٤٥، آل الشيخ/ مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٣٣٩.

وهكذا نرى بعض نشاطات الملك عبدالعزيز في حقل نشر الدعوة السلفية الصحيحة خارج المملكة، وهي نشاطات عظيمة إذا قسناها ببداية المواصلات وقلّة الامكانيات وظروف الملك في توحيد الجزيرة، وإذا أخذنا في الاعتبار الصورة المشوهة التي حاول الاستعمار نشرها للدعوة السلفية والإمكانات المضادة التي كانت تواجه بها الدعوة في داخل البلاد العربية والإسلامية وخارجها !!

**المطلب الثامن**  
**استقبال الوفود**

للاتصال المباشر تأثير كبير على الفرد والمجتمع، ذلك لانه يتيح فرصة المقابلة المباشرة والحوار وتبادل الأفكار، يضاف إلى ذلك أن الإتصال المباشر في الغالب يتسم بالآلفة وتبادل المصلحة وتحقق التعارف، ولذلك كان أسلوب الاتصال المباشر بالوفود والقادمين من أبرز وسائل الدعوة التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان يقابل وفود الحجيج في مكة (١) ووفود العرب في أسواقهم، في عكاظ وغيرها من الأسواق ويدعوهم إلى الإسلام ويبذل جهده في ذلك (٢) وقد أثمر ذلك نتائج هامة للدعوة الإسلامية، حيث أسلم بعض القادمين من يثرب ثم وفدوا عليه في العام التالي وبايعوه عند العقبة (٣).

وأيضا قد اشتهر عام ٩ من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم - عند أهل

(١) انظر سنن أبي داود حديث رقم ٤٧٣٤ كتاب السنة باب في القرآن وابن ماجه حديث رقم ٢٠١ في المقدمة والترمذي في ثواب القرآن (٢٩٢٦) باب حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ القرآن.  
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. أهـ. ومسند الامام احمد الجزء الثالث صفحة ٣٢٢.

(٢) ينظر: "الفتح الرباني في ترتيب مسند الامام احمد الشيباني" للبا (٢٠/٢٦٤-٢٦٦) باب ماجاء في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه الكريمة على احياء العرب في مواسم الحج بمنى في منازلهم... الخ وقد أورد في هذا الباب أحاديث في هذا المعنى، قال عن بعضها: سنه جيد. أهـ. وانظر تاريخ الإسلام للذهبي قسم السيرة النبوية صفحة ٢٩٨.

(٣) رواه احمد ج٤ صفحة ١١٩ قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٤٨/٦): رواه احمد مرسلًا ورجاله رجال الصحيح. أهـ. وانظر ابن هشام السيرة النبوية ج١ ص ٤٢٨.

السير - بعام الوفود حيث اتته وفود العرب من أدنى الجزيرة واقصاها وحدود الشام والعراق والخليج واليمن(١)

\* \* \*

وفي عهد الملك عبدالعزيز أيضا استفادت الدعوة حيث استخدمت وسيلة الاتصال المباشر بالوفود في الدعوة إلى الله سبحانه سواء من الملك أو العلماء .

والوفود منها وفود من داخل المملكة ومن خارجها وذلك أن الله سبحانه وتعالى قد جعل استقبال بيته الشريف في هذه البلاد المباركة واجبا على المسلمين في اليوم واللييلة خمس مرات كما أوجب عليهم الوفود اليه مرة في العمر قال تعالى : (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات)(٢) فيسعى اليه المسلمون من شتى أقطار الدنيا، وقد غلبت عليهم حالة روحانية ويكونون أخرى لقبول الدعوة إلى الخير والصلاح مما يجعل مقابلة هذه الوفود من أعظم فرص الدعوة إلى الله ولقد كان الملك عبدالعزيز يحرص على راحة الوفود ويكرم قادتهم وعلماءهم ويتألف قلوبهم بالهداية مما يجعل الكثير منهم يعود داعية إلى التوحيد وتتبدل نظرتهم إلى السلفية التي قد أثيرت ضدها الدعايات الكاذبة كما أن الملك عبدالعزيز كان يخصص اجتماعا سنويا لوفود الحجيج يتقاس فيه معهم ما يهم المسلمين في دينهم ودنياهم، فمثلا في عام ١٣٤٩هـ أقام مأدبة في يوم ٦/ ذي الحجة ودعا اليها خمسمائة ونيف

(١) انظر ابن هشام ج٢ ص ٥٦٠ وذكر ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم احدا عشر وفدا وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة ج٢ ص ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج٥ ص ٧٩.

(٢) سورة الحج آية ٢٧ .

من الوافدين إلى مكة المكرمة من مختلف البلدان الإسلامية وفي مقدمتهم ملك أفغانستان والسيد أحمد السنوسي والأمير أحمد وحيدالدين من أمراء آل عثمان ووفد الأفغان الرسمي، ووزراء الأفغان المفوضون والسيد عبدالكريم الغزاوي وحسن انيس باشا وأمراء آل خليفة وحمد أديب خان وحافظ بك وغيرهم، وقد ألقى فيهم الملك عبدالعزيز خطابا ترجم إلى الأوردية، ومما ورد فيه: (إن المسلمين يتقدم مما هم عليه من تأخر وإنحطاط إلا الاعتصام بحبل الله وبكتاب الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقة الاعتصام بحبل الله هي توحيد الله جل شأنه وحده دون أحد من الكائنات... التوحيد الخالص من الشرك والبدع... يقولون إن المسلمين في تأخر، وبحثوا ليجدوا طريقة لتقدم المسلمين فما وجدوا أمامهم إلا أن يقلدوا الأوربيين ولكنهم لم يقلدوا الأوربيين بما كان سبب قوتهم ومنعتهم بل قلدوهم فيما لايسوغ في دينهم، فقد مضى على هؤلاء الذين يدعون الإسلام عشرات السنين وهم يدعون الناس بالسر والعلانية بالقول والعمل لتقليد الأوربيين، ولكن من منهم عمل إلى اليوم إبرة أو صنع طيارة أو عمل بندقا أو مدفعا... لقد قلدوهم ولكن في غير ما يعود عليهم بالنفع... قلدوهم فيما يخالف ماينتسب إليه المسلم فقلدوا ملاحظتهم في الإعراض عن دين الله ثم هم بعد ذلك يدعون أنهم مسلمون: (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم آخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)(١).

إن الإسلام هو الوسيلة لسعادة الدنيا والآخرة (ربنا آتنا في الدنيا حسنة

وفي الآخرة حسنة) (٢).

(١) سورة المجادلة آية ٢٢ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٠١ .

لقد اودينا في سبيل الدعوة إلى الله وقوتلنا قتالا شديدا ولكننا صبرنا  
وصمدنا . . . . . لقد دعونا إلى الله من قبل وندعو من بعد في المواسم وفي  
سائر المواقف حتى نقوم بالواجب المفروض علينا كما هو مفروض على كل  
مسلم من الدعوة إلى الله .

اني أدعو المسلمين جميعا في هذا الموقف إلى دعوة الله وحده والرجوع  
للعمل بما كان عليه السلف الصالح لأنه لانجاة للمسلمين إلا بهذا(١) .

وهكذا كان دأب الملك عبدالعزيز رحمه الله في كل عام مع وفود الحجاج  
إلى بيت الله الحرام، وهو أسلوب الدعوة إلى الله بالحكمة، وخاصة مع رؤساء  
الوفود من العلماء والقادة . أما الوفود من داخل البلاد السعودية فكانت تصل  
إليه بشكل يومي بالعثرات من مختلف البلدان وفي كل مكان يحل فيه وكان  
في حديثه معهم يحثهم على الحرص على إقامة شعائر الدين .

وكنموذج لاجتماعات الوفود العامة في عام ١٣٤٧هـ حينما حدثت فتنة  
الدويش، فقد توافد إلى الرياض أكثر من ثمانمائة عالم وأمير(٢)، وقد اجتمع  
بهم الملك عبدالعزيز في يوم ٢٢ / جمادى الأولى وكان مما قاله لهم :

(أيها الإخوان تعلمون عظم المنة التي من الله بها علينا بدين الإسلام،  
إذ جمعنا به بعد الفرقة، وأعزنا به بعد المذلة، واذكروا قوله سبحانه "وقل  
اعملوا فسيرى الله عملكم" (٣)، إن شفقتي عليكم وعلى ما من الله به علينا،  
وخوفي من تحذيره سبحانه بقول "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما  
بأنفسهم" (٤) .

(١) نشر هذا الخطاب في جريدة أم القرى الصادرة يوم الجمعة الموافق ١٣ ذي الحجة سنة  
١٣٤٩هـ عدد ٣٣٣ .

(٢) اورد يوسف ياسين اسماء اغلب اولئك العلماء والأمراء في جريدة ام القرى عدد ٢٠٨  
الصادر في شوال ١٣٤٧هـ .

(٣) سورة التوبة / آية ١٠٥ .

(٤) سورة الرعد / آية ١١ .

كل هذا دعاني لأن أجمعكم في هذا المكان لتتذكروا : أولا ما أنعم الله به علينا ، فنرى ما يجب عمله لشكران هذه النعمة ، وثانيا لأمر بدا في نفسي ، وهو أنني خشيت أن يكون في صدر أحد أي شيء يشكوه مني أو من أحد نوابي وأمرائي ، بإساءة كانت عليه ، أو يمنعه حقا من حقوقه فأردت أن أعرف ذلك منكم لأخرج أمام الله بمعذرة من ذلك وأكون قد أديت ماعلي من واجب وثالثا : لأسألكم عما في خواطركم ومالديكم من الآراء مما ترونه يصلحكم في امر دينكم ودنياكم(١) .

كما ان حالة بعض الاقطار الإسلامية التي لم يتمكن فيها بعض الدعاة من القيام بواجب الدعوة لأسباب كثيرة منها سيطرة الاستعمار في ذلك الوقت على كثير من البلاد مما جعل البعض من ابناء تلك الاقطار وخاصة العلما الى الوفود إلى المملكة العربية السعودية لما عرفوه من الوضع الديني والامني المستتب وكان قادة وعلماء هذا البلد يكرمون من وفد اليهم ويبدلون له العلم والمال ومن ذلك انه وفد إلى المملكة العربية السعودية حوالي سبعين رجلا من بلاد اليمن وكان كبيرهم الشيخ احمد بن سنان ثم صار بعده الشيخ يحيى بن حزام وبعد وفاته صار كبيرهم الشيخ محمد بن احمد بن سنان وكانوا يعرفون بالمهاجرين وقد اقبلوا على التعلم وخرج منهم رجال قاموا بالدعوة في بلاد اليمن وفي المملكة العربية السعودية ولا زال بقيتهم إلى يومنا هذا يدرسون القرآن والعلم في مسجد الشيخ عبدالرحمن الفريان بالرياض(٢) .

وكان الملك عبدالعزيز يوصي المشايخ في الحرمين الشريفين للحرص على اكرام الوفود وخاصة علماء اقطار البلاد الإسلامية ومن أمثلة ذلك الشيخ

(١) أم القرى عدد ٢٠٨ في شوال عام ١٣٤٧هـ .

(٢) مقابلة مع الشيخ محمد بن سنان في مسجد الشيخ ابن فريان ، بعد العصر من يوم

١٤١٣/٩/٩هـ .



محمد الأمين الشنقيطي لما قدم من غرب افريقيا من أجل الحج وكان ينوي بعد الحج العودة إلى بلاده وكان في بلاده كغيره يسمع الدعاية المغرضة ضد الدعوة الإسلامية التي تقوم بها هذه البلاد حيث يشنع عليها بأنها مذهب جديد يسمى الوهابية فلما قدم المدينة التقى بالشيخين الشيخ عبدالله بن زاحم والشيخ عبدالعزيز بن صالح وتناقشا حول هذه الدعاية وكان صريحا معهما حيث ذكر لهما ما يسمع عن هذه البلاد والدعوة فيها وكانا حكيمين فيما يعرضانه عليه فأوضحا له حقيقة الحال وما عليه أهل هذه البلاد من مذهب في الفقه ومنهج في العقيدة وقدمنا له كتاب المغني في الفقه وبعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ليظهر له صحة ما دعيا إليه فلما تمعن الشيخ الشنقيطي فيها وجدها تنهج منهاجا سليما في العقيدة السلفية تعتمد على الكتاب والسنة، فعرف زيف الدعاية الباطلة وظهر معدن الحقيقة ووجدت رغبة متبادلة في بقاءه في المدينة لافادة المسلمين فابتدأ التدريس في المسجد النبوي بأمر من الملك عبدالعزيز وانضم إلى رجال الدعوة والتعليم في هذه البلاد إلى ان توفي فيها رحمه الله(١).

وهكذا كان اسلوب استقبال الوفود، ولاسيما كبار رجال العالم الإسلامي ومن داخل البلاد السعودية من أساليب الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز لنشر العقيدة الصحيحة وللعمل على بعث الأمة الإسلامية وتحقيق وحدتها، فضلا عن تحقيق الأمن والوحدة في الجزيرة العربية وفي المملكة الناشئة.

(١) انظر ترجمة الشيخ محمد الشنقيطي تأليف محمد عطية سالم ص ٣٥ في آخر كتاب أضواء البيان، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

**المطلب التاسع**  
**إقامة الجهاد في عهد الملك عبدالعزيز**

الجهاد لغة : بذل الإنسان جهده وطاقته .

فالجهد والمجاهدة : استفراغ الوسع في مدافعة العدو . (١)

والمراد به في الشرع : بذل المسلم طاقته وجهده في نصرة الإسلام ابتغاء مرضاة الله (٢) .

والجهاد ذروة سنام الإسلام وبه ينال العز في الدنيا والآخرة كما به تحفظ الأوطان وتصان الحرمات وينشر العدل ويسود الأمن ويعم الرخاء، وتزرع الهيبة في نفوس الأعداء وتشاد به الممالك وتعلو راية الحق على كل راية وهو طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وطريق صحبه الكرام الذين أمرنا بالاعتناء بهم والسير وراءهم .

والجهاد نوعان : جهاد طلب وجهاد دفاع .  
وأعظم الجهاد وأكده على العباد جهاد الدفاع عن الدين وأوطان المسلمين وحرمااتهم ومقدساتهم فإن العزة والكرامة لا تحصلان إلا بدفع ثمنهما .  
والجهاد من أعظم وسائل الدعوة إلى الله وأشرفها .

وقد كان على رجال الدعوة إقامة شعبية الجهاد وذلك لأن حالة الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبدالعزيز كانت بالغة السوء عقديا وسياسيا وأمنيا - كما أوضحنا في التمهيد - وكانت مجزأة إلى دويلات متناحرة مختلفة الأهواء والمذاهب وكان بعض الحكام يفرضون سلطانهم بيد من حديد لتكون الطاعة لهم مطلقة وان تعارضت مع طاعة الخالق جل وعلا، وما كانوا يسمحون

(١) مفردات الفاظ القرآن - الراغب الأصفهاني ، ص ٩٩ - ط . دار الفكر

(٢) عبدالكريم زيدان ، أصول الدعوة، ص ٢٦٢

بوصول الدعوة والدعاة إلى شعوبهم بل وصول الأمر لدى بعض الحكام إلى قتل  
الدعاة وإحراق كتب الدعوة، وذلك لأن الشيطان يخوفهم من أن وصول الدعوة  
الإسلامية إلى رعاياهم يعني تهديد ملكهم وسلطانهم ولذلك كان لابد من  
الجهاد لفتح الطريق لنشر الحق ومنع الفساد والظلم والمقاومة بغير الحق  
والزام الجبابرة باحترام العقل والحرية وتحقيق الأمان لمن يريد أن ينعم  
بالشرع الحكيم.

وفي سبيل نصرة الدين الحنيف استطاع الملك عبدالعزيز أن يشكل بعد  
فتح الرياض من اثنتي عشرة قبيلة جيشاً نظامياً من المجاهدين الذين عودتهم  
طبيعة الصحراء القاسية على الصبر والجلد وعلمهم دينهم على الاستشهاد في  
سبيل الله.

ومن المعروف أن القتال لم يكن محبوباً للنبي صلى الله عليه وسلم إنما  
المحبوب المطلوب هو الدعوة إلى الله والاستشهاد في سبيله ولذا قال تعالى  
(كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى  
أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)(١).

كذلك كان الملك عبدالعزيز وجنوده كارهين للقتال وإزهاق الأرواح لكنهم  
كانوا رغبين في الدعوة إلى التوحيد وتوجيه الناس للحق والحرية والعقيدة  
السلفية والإيمان بالله وحده لا شريك له. وبالتالي فهم لا يلجؤون للجهاد إلا  
إذا أكرهوا عليه.

وقد جاء في قول للملك عبدالعزيز (لست من المحبين للحرب وشروها  
وليس أحب إلي من السلم والتفرغ للإصلاح) (١) .

والكلام عن جهاد الملك عبدالعزيز وتوفيق الله له في فتح البلاد رغم اتساع  
رقعتها، وتأمين ما كان منها مهلكة، وعن عبقريته في تجهيز السرايا وتعيين  
القواد وتحديد الزمان والمكان للجولات والصلوات وحسن معاملته للغزاة  
والمجاهدين وغير ذلك من مجالات الحرب ليس مجال البحث هنا وقد وفاها  
الباحثون (٢) . لكننا نشير إلى بعض النقاط الهامة المتصلة بموضوع بحثنا . . .

لقد كانت الدعوة للجندية وتهيئة الجيش للقتال قبل التنظيم الحديث  
عمادها أن كل فرد في نجد محارب بطبيعته يحمل السلاح منذ نشأته ويتمرن  
عليه فإذا دعي تقلد بندقيته وركب ناقته ومضى إلى المعركة .

وإذا أراد الملك عبدالعزيز دعوة الجيش أو قسم منه كتب إلى بعض  
الجهات أو كلها وأمر بتعيين أمير لكل فريق منهم ثم يصدر تعليماته إلى  
الأمرء فينفذونها (٣) .

إن الجيش الذي كان يعتمد عليه الملك عبدالعزيز في فجر حياته هو  
جيش الجهاد الذي كان مكونا من حاضرة أهل نجد مضافا إليه جيش  
(الأخوان) الذي كان من القبائل البدوية الرحالة التي وضع لها نظام الهجر  
وأنزله من البادية إلى الحاضرة وأصبحت هجرتها كثكنات عسكرية وظل هذا  
سائدا إلى سنة ١٣٤٨هـ (٤) .

(١) الوجيز / ص ٤٨ .

(٢) انظر في ذلك الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز .

(٣) من مقالات متتالية لجريدة أم القرى سنة ١٣٤٩هـ .

(٤) جريدة أم القرى بعدها الصادر في ٤ شوال سنة ١٣٦٩هـ .

ولقد كان الملك عبدالعزيز رحمه الله أثناء غزوه بجيش الدعوة يتذرع بالصبر ويتجمل بالروية حرصا منه على ألا يشعر الناس بأنهم انضموا إلى الدعوة عن طريق القوة والإكراه ولقد أبقى على باب الحوار مفتوحا ليتمكن علماء الأقاليم التي فتحها من التعرف على حقيقة الدعوة السلفية ويزيل من أنفسهم تلك الانطباعات المشوهة التي الصقها المغرضون.

وقد جرت العادة أن العلماء كانوا يصحبون الجيش في معظم المعارك للقيام بواجب الدعوة إلى الله وابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى.

وكان الملك عبدالعزيز حريصا في كل شأن خطير يعترض سبيله أن يرجع إلى العلماء والفقهاء.

ولم يكن عند الملك عبدالعزيز شغف إلى التوسع في الملك فيدفعه الغرور لأن يتعجل الأمور ويستبق الزمان حبا في الملك وطمعا في السلطان، فلقد شاء الله أن يحمل مسؤولية قيادية في تاريخ الدعوة حين آمن بأهدافها اقتناعا وتعهد بالدفاع عنها طواعية وجهادا.

ولقد حرص في كل شأن خطير يعترض سبيله أن يرجع إلى السلطة العليا - سلطة الدعوة متمثلة في العلماء والفقهاء يستنيرهم الرأي الصواب ويستشيرهم الحل الذي يتفق وأحكام الشرع وحدود الدين ويبقى عليه بفعل من مسئولية القائد المنفذ أن ينتفي السبيل الأيسر والتخطيط السليم مستعينا بخبرته وممارسته لأعباء الحياة كي يصل إلى ما يرضي الخالق في أحكامه وما يضمن النصر للدعوة وإعلاء شأنها فيزيد من عزتها ومنعتها(١) ولا شك أن وجود العلماء بصحبة جيش الدعوة كان له أثر كبير في تهذيب نفوس الجند فقد كان

(١) عمر أبوزلام، عبدالعزيز العبقريّة في التحرير والتوحيد والتحضير، ص ٥٤١.

الحماس الشديد الذي رافق جيش الدعوة يؤدي في بعض الأحيان إلى أن يزيد القواد والأفراد في عنفهم مما يستغله خصوم الدعوة لينفرو الناس منها فكان العلماء يحملونهم بمؤازرة الملك عبدالعزيز على الاعتدال والرجوع عن المور التي تضر الدعوة وتشوه من سمعتها.

كما كان العلماء يسبقون الجيش بأنفسهم أو رسائلهم إلى الأقاليم التي استدعى لتلبية نداء الدعوة السلفية فيذكرون أهلها بصفاء الدعوة ويدعونهم إلى التحاكم إلى شرع الله في الخصومات قبل تحكيم السيف.

وكان الملك عبدالعزيز يرسل مع كل جيش عالما ويكون هذا العالم هو الموجه للجيش في جميع الأمور الشرعية وكانوا يعمرن مجالسهم وجميع أوقاتهم بدروس العلم والوعظ فيرجع الجنود بحصيلة دينية جيدة.

وأيضاً فإن جيش الملك عبدالعزيز إذا فتح بلداً أزال عنها جميع ما فيها من شرك وبدع ومعاصي وجميع ما يخالف الدين ولا زالت بحمد الله آثار هذه الجيوش على البلدان إلى يومنا هذا بإقامة الدين وترك ما يضره.

ولا يقتصر دور العلماء عند هذا الحد، بل كانوا يرسلون القواد يحثونهم على الثبات والصبر وامتثال أوامر الإمام ويحذرونهم من التنازع والتفرق.

وهناك رسائل كثيرة نقلتها لنا كتب التاريخ تصور تعاون العلماء التام مع الملك عبدالعزيز ومن أمثلة هذه الرسائل الرسالة التي وجهها الشيخ سعد بن عتيق والتي يقول فيها: من سعد بن حمد بن عتيق (١) إلى جميع إخواننا المجاهدين والمرابطين وفقهم الله تعالى للعمل بما يرضيه... أما بعد.

(١) ولد في بلدة الحلوة سنة ١٢٧٩هـ... .

انظر ترجمته مع أشهر الدعاة في الباب الرابع من هذه الرسالة.

فالموجب للكتاب هو ابلاغكم السلام وتذكيركم ما من الله به عليكم من  
النعم العظيمة والمواهب الجسيمة . . .

ومن أعظم ما من الله به عليكم وأسداه من فضله وإحسانه اليكم الجهاد في  
سبيله والحراسة والرباط فيه وإغاظة أعداء الله وإنزال الضيق والضرر بهم فيالها  
من مراتب ما أعلاها ومواهب ما أشرفها وأسناها وقد تضمن كتاب الله وسنة  
رسوله صلى الله عليه وسلم من الترغيب في ذلك والحث عليه وبيان ما يترتب  
عليه من الأجر والثواب ما يحرك القلوب الواعية قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا  
هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون  
في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . . . يغفر لكم  
ذنوبكم ويدخلكم جنات) (١) . . .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل  
الصائم القائم وتوكل الله للجاهد في سبيله بأن يتوفاه أو يدخله الجنة أو  
يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة) (٢) . . .

فعليكم عباد الله بالصبر والثبات ولزوم المراكز والمعسكرات وإياكم  
والضجر والسامة والملل وغير ذلك مما يؤول بصاحبه إلى الوهن والفسل  
واحذروا التفرق والتنازع والتخالف والانسحاب عن شيء من تلك المقامات  
والمواقف فإن النصر مع الصبر وإن الله ناصر حزبه وجنده ومظهر دينه على

(١) سورة الصف ، آية رقم ١٠ - ١٢

(٢) أخرجه البخاري من رواية أبي هريرة (ج٦/٦ فتح الباري) كتاب الجهاد - باب أفضل  
الناس مؤمن مجاهد، لمسلم من طريق أبي صالح عن أبي هريرة (كمثل الصائم القائم  
القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد إلى سبيل الله)  
صحيح مسلم ١٤٩٨/٣ حديث رقم ١٨٧٨ كتاب الامارة باب مقتل الشهادة في سبيل  
الله . . .



الدين كله ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضكم ببعض وعليكم بلزوم الطاعة وملازمة الجماعة وامتنال أمر من ولاه الله أمركم وعدم الاختلاف عليه والتخلف عن طاعته فعلى الله فاعتمدوا وبه فتقوا وعليه فتوكلوا (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (١)(٠٠٠)(٢) .

وقد جاء في رسالة للشيخ محمد بن عبداللطيف: (٣)  
الحمد لله الذي فرض الجهاد بالقلب واليد واللسان وجعله أحد أركان الإسلام والإيمان ووهب لمن قام به الغرف العالية في الجنان .

من محمد بن عبداللطيف إلى كافة من يراه من اخواننا المسلمين وفقهم الله لنصرة الملة والدين وأعانهم على جهاد من خالف ما جاء به سيد المرسلين أما بعد ..

فموجب هذا الكتاب هو النصيحة لكم والوصية بتقوى الله وامتنال ما أوجبه عليكم . وأعظم الواجبات التي أوجبها الله ورسوله وفرضها عبادة بالإخلاص وترك عبادة ما سواه والتزام شرائعه والجهاد في سبيل الله .

ولا يتخلف عن الجهاد إلا منافق معلوم النفاق فالحذر كل الحذر من الأصغاء والالتفات إلى المخذلين والمشبطين وما يلقونه من الشك والريب وإساءة الظن بأهل هذه الدعوة الإسلامية الذين أقامهم الله في آخر هذا الزمان أنصارا لدين الله وأعوانا لمن قام به، فالقيام معهم ونصرتهم من الواجبات الدينية لأنهم أنصار الإسلام أولا وآخرا أظال الله للمسلمين بقاءهم وخذل

- (١) سورة الطلاق، آية رقم ٣ .  
(٢) باختصار من المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن احمد بن عتيق - جمع اسماعيل بن سعد بن عتيق ص ٨٨ - ٩٤ .  
(٣) ولد في مدينة الرياض سنة ١٢٧٣هـ .

جميع من ناوهم لاسيما فارس الإسلام وركنه وكهفه المنيع وحصنه أعنى به  
البطل الهمام والشجاع المقدم قائد جموع أهل الإسلام الإمام عبدالعزيز بن  
عبدالرحمن آل فيصل .

فإذا دعاكم أيها المسلمون إلى الجهاد والنفير فاسمعوا وأطيعوا واحذروا أن  
تكونوا كالذين قالوا سمعنا وعصينا فإن القيام معه ونصرته من الواجبات  
الدينية لأننا لانعلم أحدا على وجه الأرض اليوم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا  
تجب طاعته ويجب الجهاد معه أولى منه (١) .

ويوضح الملك عبدالعزيز نفسه أغراضه من الجهاد وتوحيد المملكة حينما  
قال لأبيه الإمام عبدالرحمن عندما أراد الخروج لمكة، وعندما احتشد أهل  
الرياض لتوديعه فقال: (إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها بل لرفع المظالم  
عنها .

إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشرع ولن يكون في مكة بعد  
الآن سلطان لغير الشرع (٢) .

لقد كان رائدة في هذا الجهاد أن يؤدي ما حملته إياه الدعوة من أمانة ابتغاء  
العودة بالمسلمين إلى النهج القويم الذي يضمن لهم سعادة الدنيا وسعادة  
الآخرة ويعيد إليهم العزة والمنعة والسيادة بعد أن ضيعتهم الأهواء فشدتهم  
إلى غير سبيل ومزقت أشرعتهم رياح الفرقة وأهواء المطامع الدنيا .

(١) الدرر السنية، ج٧ ص ١٣ - ١٥ كتاب الجهاد .

(٢) خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ص ٨٦ .

ان الملك عبدالعزيز آل سعود لم يقتحم ساح المعارك بدافع طفرة من نزق(١) أو ثورة من حمية ولم يسمح قط لعواطفه أن تستبد به وتتملك عقله مهما كانت الأسباب والمبررات، ولقد كان خوضة الحرب حينما لا يجد مفرا منها وليس هناك من لغة غيرها تفعل في الخصوم فتردعهم عن الاعتداء وإعادة الحق إلى نصابه وكان عبدالعزيز مقتنعا بشرعية مطلبه واثقا من عدالة قضيته مؤمنا بأن العناية الإلهية ستمكنه من النصر طالما بقي مصرا على نيته مصمما على بلوغه مهما غلت التضحيات وعظمت الأهوال(٢).

وهكذا كان الجهاد أحد الدعائم التي بنيت عليها الدعوة السلفية في هذا العهد، وبفضلها - بعد الله - تمهد الطريق لبناء الدولة وخوض غمار الإصلاح الشامل لجميع مرافقها، حتى أصبحت بذلك أغلب الجزيرة العربية بلدا واحدا مترابطا موحدا يسوده التآلف بعد أن كانت إمارات ضعيفة متفرقة يحارب بعضها بعضا.

(١) نزق : خف وطاش، ومنه النزق : الخفة والطيش في كل أمر والعجلة في جهل وحمق يقال في كلامه نزق - المعجم الوسيط ج٢/٩١٤ .  
 (٢) عمر أبو زلام، عبدالعزيز آل سعود العبقريّة في التحرير والتوحيد والتحضير، ص٤٤-٤٥ .

**المطلب العاشر**  
**إنشاء المدارس**

في منتصف القرن الثالث عشر الهجري كان التعليم قد نشط في كثير من البلاد العربية وبخاصة مصر والشام ولم يكن ذلك النشاط من عمل الدولة العثمانية. لأن عنايتها بالتعليم كانت محصورة في البلاد التركية أما البلاد العربية فحين بدأت افتتاح المدارس في سوريا والعراق والحجاز جعلت التعليم فيها باللغة التركية وجلبت لها مدرسين أتراكا يدرسون العلوم بالتركية وكان ذلك جزءا من حملة التتريك التي كانت تطمح من ورائها إلى هيمنة اللغة التركية على جميع الشعوب.

ولذا بقي التعليم في الجزيرة العربية بعامة على ما كان عليه من نظام المدارس البدائية (الكتاتيب) والتي كانت تحرص على تعليم الصبية مبادئ القراءة والكتابة وشيئا من قواعد الحساب والخط والإملاء.

وكانت هذه الكتاتيب تقوم بتدريب الصبية على قراءة القرآن الكريم وحفظه أو شيء منه. وكانت منتشرة في المدن والقرى. فإذا نبغ فيها الصبي ورغب هو وأهله الإستمرار في التعليم فإن عليه أن يلتحق بحلق الدرس ومجالس العلم في المساجد وبيوت العلماء والتي كانت موجودة في المدن الكبيرة مثل الحرمين الشريفين والدرعية والرياض والأحساء ونحوها ورغم ازدهار تلك الحلق والمدارس وازدياد عددها فإنها لاتستطيع أن تغني عن المدارس الحديثة خاصة وأن ما أنشأه الأتراك من مدارس كان حربا على اللغة العربية.

إلا أن هذا الوضع قد أيقظ بعض المتحمسين لنصرة اللغة العربية فانشئت المدارس التي تعني بلغة القرآن الكرم فانشئت المدرسة الصولتية (١) سنة

(١) الصولتية : نسبة إلى امرأة هندية تدعى "صولة النساء" حجت سنة ١٢٩١ هـ وأرادت أن تخدم الإسلام والمسلمين فاشترت أرضا وبنيت عليه المدرسة.  
(الأدب الحديث تاريخ ودراسات / د.أ. محمد بن سعد بن حسين / ج ٢ ص ١٦).

١٢٩٢هـ ثم المدرسة الفخرية (١) سنة ١٢٩٦هـ.

ومضى أكثر من ربع قرن والصلواتية والفخرية الوحيدتان في تعليم اللغة العربية في مكة المكرمة حتى قام تاجر اللؤلؤ محمد علي زينل بإنشاء ثلاث مدارس سنة ١٣٢٥هـ (في كل من مكة وجدة وبمباي أطلق على كل منها (مدرسة الفلاح).

وقد كان اهتمام الملك عبدالعزيز بالتعليم منذ ان استرد مدينة الرياض سنة ١٣١٩هـ بإرسال الوعاظ والمرشدين إلى مضارب البادية حيث كانت المساجد في المدن والقرى والهجر مراكز للدعوة والوعظ والإرشاد ومعاهد للعلم بجانب رسالتها العظمى وهي أنها مكان للعبادة.

وقد اتجه الملك عبدالعزيز بعد توحيد المملكة إلى إنشاء المدارس الحديثة باعتبارها وسيلة أساسية لنشر العلم وخدمة الدعوة خاصة بعد أن اتسعت رقعة الدولة وكان يهدف أول الأمر من إنشاء هذه المدارس إلى الاهتمام بالعلوم التي تخدم الدعوة وهي العلوم الإسلامية والعقيدة واللغة العربية.

(وفي غرة شهر رمضان سنة ١٣٤٤هـ صدر أمر الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بإنشاء إدارة خاصة للإشراف على التعليم أطلق عليها اسم (مديرية المعارف العامة) وكانت مهمة هذه الإدارة نشر العلوم والمعارف والصناعات وافتتاح المكاتب والمدارس وحماية المعاهد العلمية مع فرط الدقة بأصول الدين الحنيف (٢).

(١) انشأها الشيخ عبدالحق قاري بدعم من أثرياء الهند (المرجع السابق ج٢ ص١٦)

بتصرف.

(٢) نشر نظام إنشاء مديرية المعارف العامة بجريدة أم القرى بعدد رقم (٦٦) الصادر في

١٩ رمضان سنة ١٣٤٤هـ.

ونظرا لأن التعليم الابتدائي هو القاعدة الأساسية للتعليم وهو المهد الذي يحتضن النشأ ويعمل على تربيته بما يخدم دينه بالإضافة إلى أن التعليم الابتدائي هو الذي تتزود منه مراحل التعليم الأخرى لذلك فقد اهتمت الدولة بهذه المرحلة ونشر مدارسها في الحاضرة والبادية على حد سواء بهدف تهذيب النشء بما يتفق والأهداف السامية والمثل الإسلامية العليا التي دعت إليها الشريعة الإسلامية السمحاء وذلك بقراءة كتاب الله وتدبر معانيه ومعرفة العلوم الشرعية.

ومن المدرك - بداهة - أن إنشاء مدارس منظمة لتعليم البدو في مرحلة ما قبل استقرارهم وتوطينهم من الأمور التي لا يمكن القيام بها ماداموا على حالتهم من عدم الاستقرار ومع ذلك ففي هذه المرحلة قامت الحكومة الجليلة بمعالجة هذه الناحية بثلاث وسائل :

١ - إرسال الوعاظ والمرشدين .

٢ - فتح مدارس في القرى والبلدان التي ينتابها البدو ويكثرون الإقامة بقربها كالودامي والشعراء وعفيف والسييل وقد دخل بعض أبناء البدو في هذه المدارس فأدركوا حظا من التعليم .

٣ - فتح مدارس خاصة لأبناء البداية : وقد ساعدت الحكومة في هذا الأمر بإقامتها مدارس مثل مدرسة (المسيجيد) وفي عام ١٣٥٣هـ فتحت الحكومة مدرسة (أبناء الصحراء) في المسيجيد وينبع ولوحظ أن أبناء البادية على جانب عظيم من الذكاء (١) .

ولم يقتصر اهتمام الملك عبدالعزيز على المرحلة التحضيرية والابتدائية والتي بدأت سنة ١٣٤٥هـ بل إنه اهتم بسائر المراحل فقد جاء فتح أول مؤسسة

(١) مقالة للأستاذ حمد الجاسر - مجلة الإمامة - العدد الخامس ربيع الآخر سنة ١٣٧٣هـ .

تعليمية على مستوى التعليم المتوسط والثانوي وقد عرفت هذه المؤسسة باسم "المعهد السعودي" سنة ١٣٤٥هـ ثم أسس مدرسة (تحضير البعثات) بمكة المكرمة سنة ١٣٥٥هـ ثم أسست مدرسة (دار التوحيد) سنة ١٣٦٤هـ بالطائف ثم فتحت مدارس ثانوية وفصول متوسطة وثانوية ملحقة بالمدارس الابتدائية كما فتح المعهد العلمي بالرياض سنة ١٣٧٠هـ مشابهاً لمعهد مكة المكرمة وسوف أقوم بتفصيل هذه التجارب التعليمية لما في إنشائها من تأسيس قاعدة دعوية هائلة كان لها أكبر الأثر في نشر الدعوة السلفية.

### المعهد العلمي السعودي :

تأسس هذا المعهد في مستهل سنة ١٣٤٥هـ في مكة المكرمة وأطلق عليه في البداية اسم "المعهد العلمي الإسلامي" وهو أقدم مؤسسة تعليمية حكومية في المملكة لما فوق المرحلة الابتدائية. وكان الهدف من تأسيسه هو رغبة الدولة في إعداد معلمين متخصصين للتدريس في المدارس الابتدائية التي تزايد عددها في المدن والقرى وتزويد الدوائر الحكومية بالموظفين المؤهلين (١).

(وكان الملك عبدالعزيز يتابع تطور هذا المعهد وشارك في اختيار مديره وأساتذته كما أختار خمسين طالباً من نجد للدراسة فيه) (٢) وكانت موضوعات الدراسة في هذا المعهد تشمل القرآن الكريم مع التجويد والدروس الدينية والإملاء والحساب والقراءة والمحادثة والإنشاء والقواعد والخطابة ومسك الدفاتر وتقويم البلدان وسنن الكائنات والأخلاق واللغة الفرنسية (٣) وعندما تخرجت أول دفعة من المعهد سنة ١٣٤٩هـ التقى بهم الملك عبدالعزيز وخطبهم قائلاً :

- (١) د/ الدميث / التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز ص ٦٦ / الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ مكة المكرمة .  
 (٢) بدأت الدراسة الفعلية بالمعهد سنة ١٣٤٧هـ .  
 (٣) التعليم الحكومي المنظم ص ٦٧ .



(إنكم أول ثمرة من غرسنا الذي غرسناه بالمعهد فاعرفوا قدر ماتلقينتموه من العلم واعلموا أن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر وأن العلم كما يكون عوناً لصاحبه يكون عوناً عليه، قليل من العلم يبارك فيه خير من كثير لا يبارك فيه) (١)

### مدرسة تحضير البعثات :

في سنة ١٣٥٥هـ أنشئت مدرسة تحضير البعثات والتي كانت نافذة على العلوم الحديثة فبعد عشر سنوات من نجاح تجربة "المعهد العلمي السعودي" فتح المجال لتخصصات جديدة حيث أنشئت مدرسة تحضير البعثات على مستوى المرحلة الثانوية تؤهل الطالب بعد التخرج منها للإلتحاق بالكليات المتخصصة النظرية والعملية في الجامعات العربية وخاصة مصر بعد أن أصبحت الدولة في تلك المدة في حاجة ماسة إلى ابتعاث أكبر عدد من الطلاب لإكمال دراستهم العليا (٢) في التخصصات العلمية كالطب والزراعة والهندسة خاصة وأن الطلاب الذين سبق ابتعاثهم قد واجهوا صعوبات كبيرة نتيجة اختلاف المناهج بين المملكة والدول المبتعث إليها الطالب.

(وكان الأمر الملكي يقضي بإرسال أربعة عشر تلميذاً من الحجاز للتعليم في الخارج للتخصص في التدريس والقضاء الشرعي والتعليم الفني (الميكانيكا والزراعة والطب) (٣).

وتوالى بعد ذلك البعثات وأصبحت سياسة ثابتة للمملكة في مجال الاستفادة من العلوم الحديثة لكن حجم هذه البعثات كان يختلف حسب التخصص وحاجة البلاد مع النمو المستمر في نظام التعليم بالمملكة.

(١) فهد المارك / من شيم الملك عبدالعزيز ج٣ / ص ١٤٥ .

(٢) نظراً لعدم وجود تعليم عال في المملكة في هذه الفترة .

(٣) الملك عبدالعزيز والتعليم عن النشرة التربوية العدد السادس من ربيع الأول سنة

ولعل في إنشاء هذه المدرسة دليل على سعة أفق الملك عبدالعزيز إذ أن نهضة الدعوة لن تقوم على التعاليم الدينية والشرعية فحسب بل لابد من التعرف على أسباب المدنية التي تسهم في إعداد القوة المطلوبة للجهاد من أجل إعلاء كلمة الدين .

ولا يملك المرء إلا أن يتأمل ماذا كان يمكن أن يحدث لتاريخ الدولة السعودية وتاريخ المنطقة لو أن هذا البرنامج التعليمي قد طعم بقدر أكبر من العلوم الخرى إلى جانب المعارف الدينية والمعتقد الصحيح غير أن هذا التوسع في مضمون البرنامج التعليمي لم يلتفت إليه التفاتا جديا ومركزا إلا على يد الملك المصلح عبدالعزيز بن عبدالرحمن وذلك بعد أن واجهت الدولة السعودية في أطوارها المتعاقبة تجارب قاسية مع جيوش أكثر اعتمادا على الأسلحة الحديثة ودول أكثر معرفة بالعلوم الطبيعية . (١)

ولعل من تتبع هذه المدرسة والعديد من التجارب التعليمية نلاحظ أن أبرز خصائصها، الاستشراق للمستقبل والاستفادة من العلم الحديث بخطوات محسوبة في ضوء تعاليم الشريعة .

دار التوحيد :

وهي من المؤسسات التعليمية الفريدة وقد أنشئت بالطائف سنة ١٣٦٤هـ بعد إنشاء مدرسة طيبة الثانوية بالمدينة المنورة والمدرسة الثانوية بجدة كلاهما سنة ١٣٦٢هـ .

كانت هذه الدار تشبه تجربة الهجرة وتوطين البدو غير أنها تتميز بأن الملك عبدالعزيز قد فرضها إيمانا منه بقيمة العلم الديني وأثره على الدعوة حيث يتخرج منها المؤهلون لهذا العمل الجليل .

(١) د . عبدالله سعيد أبوراس - بدرالديب / الملك عبدالعزيز والتعليم / ص ٥٢ ، ٥٣

قال ذلك في رسالة كتبها إلى الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عودان (١) وأمره أن ينتخب لدار التوحيد من الطلاب الطيبين الذي يلتبس فيهم النفع للدين والدنيا (٢) .

لقد افتتحت دار التوحيد ووفق الملك عبدالعزيز في تجربة جديدة من تجاربه التعليمية وكأنما كان يستشرف المستقبل ويرى الطريق الذي ستفتحه دار التوحيد أمام تطور وازدهار مؤسسات التعليم الديني في المملكة على جميع المراحل والمستويات وأن تطور هذه المؤسسات التعليمية من الناحية الدينية ما هو إلا تطوير في الأساليب الدعوية التي كان لها أكبر الأثر في نشر الدعوة السلفية في أنحاء الجزيرة العربية .

وتعد هذه الدار - بحق - ظاهرة تربوية فريدة؛ فقد خرجت أعدادا كبيرة من القضاة والمدرسين والكتاب والشعراء المعروفين والباحثين التربويين الذين يشغلون اليوم مناصب عليا في مؤسسات الدولة التعليمية والتنفيذية (٣) .

ولكن أهم إنجاز حققته دار التوحيد هي أنها كانت منطلقا لافتتاح كلية الشريعة سنة ١٣٦٨هـ كأول مؤسسة للتعليم العالي في المملكة وتطوير وإصلاح المعاهد العلمية والتي قام الملك عبدالعزيز بافتتاح أولها سنة ١٣٧٠هـ .

وقد نشأت حركة المعاهد العلمية على نفس الأسس التي قامت عليها دار التوحيد واستمر تطور هذه المعاهد والإقبال عليها وكثرت طلبات البلاد لافتتاح

(١) ولد سنة ١٣١٥هـ في مدينة شقراء وذهب بصره وهو في الرابعة من عمره إثر إصابته بالجدرى وسافر إلى الرياض وأجاد في التوحيد والحديث ثم عين قاضيا في قرية العسيلة ثم شقراء وعنيزة كما عين مدرسا في المعهد العلمي بالرياض وتوفي سنة ١٣٧٤هـ .

(٢) من رسالة للملك عبدالعزيز بداره الملك عبدالعزيز قسم الوثائق برقم (٨٨٩) .

(٣) الملك عبدالعزيز والتعليم ص ٢٠٨

معاهد مماثلة بعد معهد الرياض سنة ١٣٧٠هـ مما جعل هذه المعاهد تجربة تعليمية تنسب بدايتها إلى الملك عبدالعزيز وإن كانت قد ازدهرت وتمت في عهد أولاده حتى زادت عن خمسين معهدا علمي سنة ١٤٠٣هـ فضلا عن الجامعات الإسلامية كجامعة الإمام محمد بن سعود والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وجامعة أم القرى فما أكبر الفارق بين الثلاثين طالبا الذين بدأت بهم دار التوحيد سنتها الأولى وبين هذا المجموع الضخم من أبناء البلاد وأبناء العالم الإسلامي الذين يدرسون حاليا دعوة التوحيد في هذه المؤسسات التعليمية الإسلامية (١) .

### كلية الشريعة :

أنشئت بمكة المكرمة سنة ١٣٦٨هـ كامتداد طبيعي لتأسيس (دار التوحيد) وازدهار (المعهد العلمي السعودي) من حيث مواصلة أبناء الوطن دراستهم للعلوم الشرعية حيث رفع مجلس المعارف إلى الملك عبدالعزيز توصياته والذي وافق على فتح الكلية بمكة المكرمة .

(وهكذا بدأت أول تجربة رائدة للتعليم العالي في المملكة العربية السعودية لتخريج المدرسين في العلوم الدينية والعربية ومناصب القضاء) (٢) .

وهكذا أصبحت هناك مدارس نظامية على مستوى جميع المراحل في المدن والقرى ذات مناهج تخدم الدعوة الإسلامية بالإضافة إلى المساجد المنتشرة في كل قرية أو مدينة كلها تعمل جنبا إلى جنب في سبيل تحقيق هدف واحد هو نشر تعاليم العقيدة السلفية .

لقد أبيض الغرس حقا وازدهر وظلت فريضة العلم ودعوة التوحيد مرفوعة مؤداة في أنحاء البلاد .

(١) المرجع السابق ص ٢١٤ .

(٢) أحمد علي / كلية الشريعة وكيف تأسست / ص ١٢ .

ولقد قام المثات، بل الألو، الذين تخرجوا من هذه المعاهد العلمية والكلليات ودار التوحيد والمدارس - بواجب تربية النشء وتدریس الدین وعلومه، وتولی مناصب الاحساب والفتوى والقضاء والتربية وغيرها - ولقد انطلق بعضهم من خلال الوسائل الاعلامية الحديثة وذهب آخرون في مهمات دعوية إلى خارج المملكة، وحصل بعضهم على شهادات عليا، والفوا المؤلفات في الإسلام وعلومه وفي النواحي العلمية الدنيوية والدينية وكل هذا بفضل الله ، ثم انشئت وزارة المعارف وكان أول وزير لها هو خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وفقه الله .